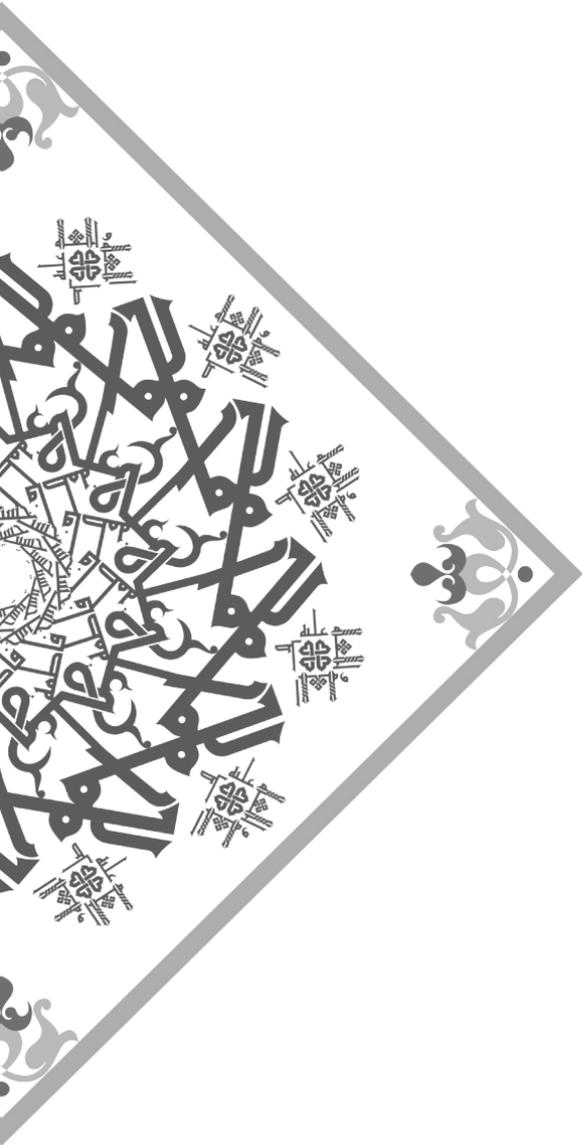


استراتيجيات إنتاج الثروة
و مكافحة الفقر في منهج
الإمام علي عليه الصلاة والسلام

السيد مرتضى الحسيني الشيرازي

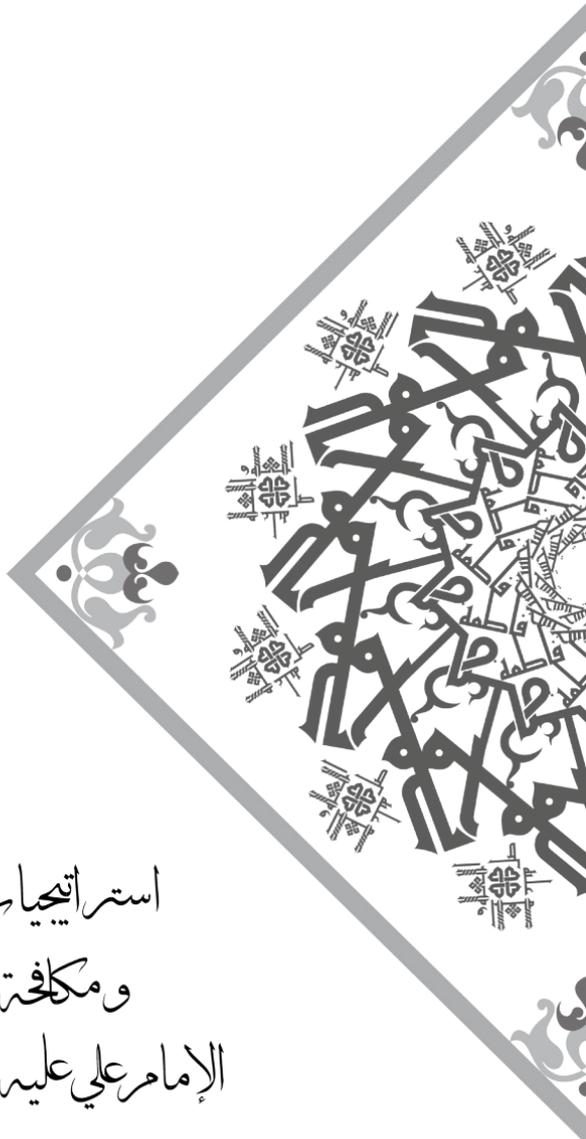
طبعة
منقحة ومزودة



استراتيجيات إنتاج الثروة
و مكافحة الفقر في منهج
الإمام علي عليه الصلاة والسلام



السيد مرتضى الحسيني الشيرازي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِنَّا نَعْبُدُكَ
لَسْتَ تَعِينُ هَذَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

المحمد لله رب العالمين

بارئ الخلائق أجمعين باعث الأنبياء والمرسلين
والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا
محمد وآله الطيبين الطاهرين
واللعنة على أعدائهم أجمعين
إلى يوم الدين
ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

إنه جذر المشكلة ..
لكن الحلول تبتعد عنه إلى الفروع.
إنه من معاول هدم البنية الاقتصادية والاجتماعية لكل بلد،
مهما اکتنزت ثرواته، وكبرت قدراته البشرية والمادية.
بينما نجد هنالك أيد صغيرة تنشغل عن قصد أو غيره، بإقامة
هذا الأمر وترسيخه والحوؤل دون انهياره.
إنه (الفقر) ..

هذه المفردة البسيطة في لفظها، العميقة في أبعادها، ما تزال بعيدة
عن أضواء البحث والدراسة والقرارات الكبيرة على صعيد بلادنا
الإسلامية وبلاد العالم، فقد ملئت أسماعنا بالحديث عن (التضخم) و
(الديون) و(المخصصة) وأخيراً (التقشف)، لكن ما السبب وراء كل
هذه الإجراءات؟

إن أرفع مسؤول حكومي وأكبر باحث أو منظر اقتصادي، لن
يتجاوز - عادة - في رؤيته بحثاً عن جواب هذا السؤال، أكثر من
العوامل والأحداث المتعلقة بالزمان والمكان، فربما يكون الصراع على
السلطة والنفوذ، وربما تكون الحروب، وربما عوامل أخرى ظاهرة على
سطح الأحداث ..

بينما الحقيقة أعمق من ذلك بكثير!.



ولم يكلف الباحثون وأصحاب القرار أنفسهم ليتنزلوا إلى مستوى الطبقة التي طالما دفعت وما تزال ثمن إثراء الآخرين ظلماً، من كبار المسؤولين في الحكومات والعصابات العالمية من الذين يحتكرون المال لأنفسهم، فهم دون غيرهم أصحاب المصانع وشركات النفط العملاقة، وكذلك البورصات وتجار السلع الأساسية والحيوية من دون رعاية الموازين العقلية والشرعية والعرفية، وغيرهم كثير تتصاعد أرصدتهم في البنوك مقابل تدني المستوى المعيشي لآخرين حتى الجفاف والأوبئة الفتاكة ثم الموت...!

من هنا نفهم سبب تقزز أمير المؤمنين عليه السلام من الفقر وتنفره منه، كما لو أنه عدوٌ مبين، حيث قال عليه السلام مقولته المشهورة:
«لومتثل لي الفقر رجلاً لقتلته».

ولا نجانب الحقيقة بالقول:

إن الغرب ومنظومته الاقتصادية الفتاكة، هي التي تشعر بالاستنفار هذه المرة من ظهور نهج أمير المؤمنين عليه السلام وسيادته في العالم، فهو عند كل منصف وحكيم، يمثل الحل الأكمل والأنجح لجميع المشاكل والأزمات التي تعاني منها البشرية اليوم، وإلا ما معنى (التضخم) إن لم يوجد هنالك جشع وطمع يحطم القدرة الشرائية للإنسان ويجعل الناس وهم يتجولون في الشوارع والأسواق، فقراء بدرجات متفاوتة؟!!

وما معنى (التقشف) إن احتكرت الثروات والأراضي وفرص العمل بيد الدولة أو مجموعة صغيرة، فيما يحرم الملايين من الناس، ويكونون مثل الغرباء على بحار النفط وعلى مساحات فسيحة من الأراضي الخصبة والتي تضم ما يعلمه الله فقط من الثروات المعدنية؟ ولهذا وذاك، جاءت مبادرة سماحة آية الله السيد مرتضى الحسيني الشيرازي للبحث في السبل الاستراتيجية - وليست التكتيكية -

لمكافحة الفقر في المجتمع ولإنتاج الثروة، وكانت البداية من بحث ألقاه سماحته في مؤتمر الإمام علي (عليه السلام) السنوي السادس في لندن، تزامناً مع ذكرى مولده (عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام) في الثالث عشر من شهر رجب المرجب، من حيث إن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو المنار الذي يضيء لنا طريق الخلاص من هذه الحالة المرضية.

يجيب هو بنفسه عن سبب اختياره لأمير المؤمنين (عليه السلام) ليكون المرشد الأول إلى البوابة التي يخرج منها الفقر إلى الأبد من كيان الأمة، وهي بالحقيقة أسباب ذاتية وموضوعية، فقد جرب الإمام (عليه السلام) وخبر الفقر وشظف العيش منذ نعومة أظفاره، كما جربها خلال مواكبته الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في مسيرته الإلهية لنشر الإسلام، وما رافق ذلك إجراءات ظالمة وتعسفية للمشركين ضد من آمن بالإسلام من أهل مكة. وبعد الهجرة كان (عليه السلام) القائد الوفي والكبير والمقدام في ميدان تطبيق القيم والمبادئ الإسلامية لاسيما في المجال الاقتصادي، فقد جسد النهج النبوي في خلق مجتمع آمن اقتصادياً ومعيشياً، فجاء عهده (عليه السلام) إلى مالك الأشتر النخعي (رضي الله عنه) بعد تعيينه لولاية مصر، يعبر عن المنظومة العلمية والقانونية لاقتصاد ناجح ومثمر لا يدع مجالاً للفقر بين أبناء المجتمع الإسلامي.

وهذه الدراسة التي بين يديك عزيزي القارئ محاولة جادة نرجو أن تتبعها محاولات أخرى عملية لمعالجة حالة الفقر في المجتمع والقضاء عليها تماماً، لأن مجرد وجود هذه الحالة يتعارض ويتناقض تماماً مع النظم والتعاليم التي جاء بها الإسلام.

وأهمية نشرها تأتي من الرؤية الاستراتيجية والشمولية لحل هذه المعضلة، فالمشكلة لا تكمن في أشخاص يفترشون الأرض ويستعطفون الناس، إنما في العوامل والأسباب العديدة والمتشابكة التي أدت إلى وجود هذه الشريحة الكبيرة وظهورها على السطح بهذه الصورة التي

طالما تشير الأسى والأسف، أكثر مما تشير الشفقة والتضامن.
بمعنى أننا لسنا أمام حل واحد، إنما حلول متتابعة ومتسلسلة
من جوانب عديدة لها كثير الدخل والتأثير في حالة الفقر.
وهذا بالتحديد ما يدعونا لمطالعة هذه الدراسة.

مؤسسة النبأ للثقافة والإعلام

كربلاء المقدسة

المقدمة المنهجية للكتاب

مقاربة لموضوع البحث

الفقر لغاً، هو العوز والحاجة، والمفردة مشتقة من انفقار الظهر، أي إنكسار فقاره، وهو الهمّ والحرص، والفقر للشئ، هو نقص به وإضطراب في تكوينه.

فالفقر في حقيقته، تعبير عن حالة العوز والنقص، والحاجة والحرمان، سواء في الجانب المادي، في عدم القدرة على تلبية الحاجات الإنسانية والمعيشية للإنسان، أو في الجوانب غير المادية، المتعلقة بمتطلبات الحياة الكريمة، التي تطلق قدرات الفرد وقابلياته على العطاء والإبداع، وبالتالي ترتفع ضرورتها ومتطلباتها، الى مستوى المجتمع والدولة، من خلال الحرية الإنسانية والعدل الاجتماعي.

وقد عبر الباحث النفسي الاجتماعي "ماسلو"^(١)، عن هذه الاحتياجات الإنسانية، في مثلثه أو هرمه الشهير، الذي وضع فيه هذه الاحتياجات، ضمن أسبقيات ضرورتها وتأثيراتها في الفرد، ثم المجتمع والدولة، فقد بدأ في قاعدة هرمه، بتثبيت الحاجات المعيشية الأساسية للفرد، ثم ارتفع في المستوى الثاني الى الحاجات الأمنية، ثم الى الحاجات الاجتماعية، وانتهاء بحاجات تحقيق الذات أو الإبداع.

وبرغم الجدول العلمي الناشئ، في الرؤية لتسلسل هذه الحاجات وأسبقياتهما، لكن المؤكد أن الإنسان في حاجة لمتطلبات ضرورية

(١) إبراهيم ماسلو (١٩٠٨ - ١٩٧٠)، عالم النفس الاجتماعي، أترى في المناهج العلمية والتدريسية والتربوية، وقد تركت أثراً كبيراً في علم الإدارة، وبخاصة نظريته الشهيرة، في الحاجات الإنسانية، والتي عرفت بهرم أو مثلث ماسلو.



في الحياة، وهذا الاحتياج يؤثر على سلوكه، وصورته في الحياة، فالحاجات غير المشبعة، تسبب إحباطاً لدى الفرد، واضطراباً في حياته، يولد آلاماً نفسية، ويؤدي ذلك إلى العديد من ردود الأفعال القاسية، في سعيه للبحث عن إشباع لهذه الحاجات، يحاول من خلالها، أن يحمي نفسه من هذا الإحباط، ويسد النقص في احتياجاته، أو أن يخلد لليأس، فيسلم في انتفاء الرغبة في الحياة، فيفقد ذاته، ويفقده المجتمع.

وعليه فإن فقدان أي مستوى من هذه الحاجات، يعد شكلاً من أشكال "الفقر"، إذ تبدأ من الحاجات ذات الضرورة القصوى، لبقاء الحياة، والمتمثلة بالغذاء، ومتطلبات المعيشة، وتنتهي في الرفاهية الإنسانية، التي هي من الحاجات الإنسانية أيضاً، وهي ليست من أشكال الترف، إذ أن بفقدانها يعاني الإنسان من حالات الكآبة والإحباط النفسي، والقلق العقلي والإعاقة الجسمانية، غير أن متطلباتها قد تكون بأسبقيات متأخرة، عن تلك الحاجات الضرورية والأساسية، التي وضعت في قاعدة هرم الحاجات والمتطلبات الإنسانية.

فكون الفقر ظاهرة لا إنسانية، أو هي تتقاطع معها، وتناقض الغرض والمقصد، الذي ينسجم والحياة الطبيعية للإنسان، فقد تمثله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، في هيئة رجل يستحق القتل، وبذلك يعتبره إجراماً بحق الإنسانية، وهو قمة التعبير الإنساني الرائع، عن جوهر هذه الآفة الإجتماعية والإنسانية، وتصوير الحاجة لمعالجتها والقضاء عليها.

معضلة البحث

يُعد الفقر، من أهم التحديات التي واجهت وتواجه البشرية، في نطاق التأريخ والجغرافية، فهو يتفاعل مع مربع الآفات الاجتماعية

والتخلف الإنساني، الذي تألفت أضلاعه، من عوامل الجهل والمرض وانعدام الأمن، ليغلق ضلعه الرابع بعامل الفقر، وليكون الفقر فيها سبباً ونتيجة. ولم يعد الفقر حالة متفردة في مجتمعاتنا، بل أصبح ظاهرة واسعة النطاق، وآفة اجتماعية تنخر في بنية المجتمع، وتفقده توازنه وإتزانه، رغم كل التطور العلمي والجهود البحثية، وبرغم البرامج والخطط الاقتصادية، التي تسعى لمعالجته والحد من خطورته، لكنه يبقى تحدياً قائماً، وخطراً كائناً، يهدد المجتمع وكيانه وهيئاته، ثم الدولة ومؤسساتها.

وعليه فإن دراسة الفقر، وإبلاء موضوعاته المتشعبة، أهمية كبيرة، ومناقشتها بشكل علمي ومنهجي، باتت من الحاجات الملحة، التي تضطلع بها المؤسسات المجتمعية المسؤولة، وفي مقدمتها المؤسسة الدينية، لتكون مخرجات الدراسة، سبيلاً للخلاص من آفته، في إزالته ورفعها، من خلال علته المبقية، وفي دفعه ومنعه، من خلال علته المحدثه، ولتكون مخرجاته علاجاً وقائياً وإجرائياً، لمقاربة نتائجه الكارثية، في الفرد والمجتمع والدولة.

أهداف البحث

يهدف البحث الى تقديم رؤى علمية وعملية، لمعالجة الفقر، ضمن تصورات استراتيجية معمّقة، إذ تتجلى أسباب الفقر ومخرجاته، في مرتكزات "الاستراتيجية الشاملة"، المتمثلة بالمجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية، كون ظاهرة الفقر، في أسبابها، وكذلك معالجتها، تتحرك ضمن العوامل السياسية والاقتصادية، المتمثلة بدور الدولة ومؤسساتها، وقطاعات الإقتصاد الوطني، في انتاج الثروات وتنميتها، وتوفير البيئة السياسية المستقرة، لتنميتها وتنشئتها، ثم تضطلع العوامل الاجتماعية، وهيئات



المجتمع المدني، بأدوارها المحورية في معالجات هذه الآفة، وضمن بيئة أمنية سليمة، توفر لها أسباب النجاح والديمومة.

وعليه فإن البحث يهدف الى مناقشة ظاهرة الفقر، وأسبابها ومعالجاتها، من منظور إستراتيجي شامل، وذلك من خلال الإسترشاد بمنهج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، واستراتيجياته المحكمة، ضمن تجربته التاريخية، في القضاء على ظاهرة الفقر.

منهج البحث ومقارباته البحثية

المنهج المتبع في البحث، هو التحليلي التركيبي، والإحصائي المستند الى معطيات البيانات الموضوعية والدقيقة، فضلاً عن المنهج النقلي والاستدلال الشرعي، المستبصر في النصوص القرآنية المقدسة، والسنة الشريفة للرسول الأكرم والأئمة الأعلام، عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

وقد جرى اختيار النهج الإستراتيجي للإمام عليه السلام، مرجعية للبحث، والذي تخلد في عهده التاريخي، لملك الأشتر رضوان الله عليه، في رسم إستراتيجية واضحة المعالم، لمرتكزات المكافحة الجذرية لظاهرة الفقر، والقضاء عليه.

فقد تميّز الإمام أمير المؤمنين، بتجربة كبيرة وخبرة واسعة، في التعامل مع هذه المشكلة، كونه قد خبر حالتي الفقر والغنى، فقد رافق الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، فترة الفقر الشديد، ثم شهد فترة الثروات الطائلة، التي انهالت على رسول الله ﷺ، في عهد دولته المباركة، فرأى وتعلّم، كيفية التعامل مع الفقر، وكيفية التعامل مع الغنى، وكيفية توظيفها، في منهج ورؤية متكاملة، في كافة أبعادها، لمكافحة الفقر.

موضوع الكتاب وعنوانه

الكتاب في الأصل، هو محاضرة علمية، ألقى في مؤتمر الإمام أمير المؤمنين، سلام الله عليه، السنوي السادس، الذي أقامه مركز الفردوس العالمي للثقافة والإعلام، تزامناً مع ذكرى مولده الشريف، في ١٣ رجب ١٤٢٧هـ، في قاعة بروجستر بالعاصمة البريطانية لندن. ولتوفر ثلاث مرتكزات في البحث، هي مباني ومقاصد إنتاج الثروة، والمعالجات الإستراتيجية لظاهرة الفقر، في شقيها الوقائي، المانع لأسبابه ومسبباته، في علته المحدثه، والإجرائي الرافع له، في علته المبقية، وذلك استرشاداً بمنهج الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وبنائه الإستراتيجي، في معالجة الفقر والقضاء عليه، فقد وسم الكتاب "استراتيجيات إنتاج الثروة ومكافحة الفقر في منهج الإمام علي عليه الصلاة والسلام".

نطاق البحث وهيكلته

ينحصر نطاق البحث في التعرف على حلول مشكلة الفقر، على ضوء التعاليم الإلهية التي أرشد إليها القرآن الكريم، والمحطاب الشريف للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وفق تصورات الإستراتيجية الشاملة، بمرتكزاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية، لتعلق موضوع البحث فيها، سبباً ونتيجة.

وقد تضمن الكتاب بعد هذه المقدمة المنهجية الشكلية، مدخلاً و باين رئيسين للبحث، تطرق الباب الأول الى الفقر بينما تحدث الباب الثاني عن الفقير، تفرع من الباب الأول ثلاث فصول رئيسية ثم مباحث فرعية بعناوين وسطية، وأخرى جانبية، فقد تصدر الكتاب مدخلاً تعريفاً بالفقر، يعرض لمعانيه ومعالمه، وأسبابه ونتائجه، في



الفرد والمجتمع والدولة.

يناقش الفصل الأول من الباب الأول "العوامل الاقتصادية لإيجاد الثروة وتنميتها والمحافظة عليها ومكافحة الفقر"، وهو دراسة للجوانب المادية في موضوعة الفقر، ويناقش الفصل الثاني "العوامل الغيبية والأخلاقية لإيجاد الثروة وتنميتها والمحافظة عليها ومكافحة الفقر"، فيكون دراسة في الجوانب الغير مادية لموضوعة الفقر، في أسبابها ونتائجها، وهي في مجموعها في هذين الفصلين، معالجات مانعة للفقر، بهدف إستباق أسبابه ومسبباته، وعوامل نشوئه، والبيئة التي ينمو فيها، في معالجات ظاهرتة ومخرجاتها، بهدف القضاء عليه، ودفعه ومنعه.

وينحصر نطاق الفصل الثالث في "محاصرة عوامل تبيد الثروة وملاحقة بواعث الفقر"، وهو دراسة في معالجات الفقر بعد نشوئه، بهدف رفعه، ومعالجة كينونته، في علته المبقية.

اما الباب الثاني فيتمركز بشكل عام على الفقير ضمن محاور ثلاث؛ المحور الاول يتحدث عن الرؤية العامة تجاه الفقر وكيف يجب ان تكون ثقافة الفقراء، والمحور الثاني يتحدث عن واجبات الفقير ومسئوليته، اما الثالث فيتحدث عن سبل واليات الاثراء المشروع والخروج عن دائرة الفقر، عبر الالتزام بالتعاليم السامية الدينية.

كما ألحق بالكتاب، ملحق وهو نص العهد الذي عهدته الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، إلى مالك الأشتر، رضوان الله عليه، مع شرح مستقى من كتاب "توضيح نهج البلاغة"، للمفكر الإسلامي الكبير، والمرجع الديني المجدد، آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي أعلى الله مقامه، لإغناء مادة البحث، ولتعلق مبانيه بمسألة البحث ومقارباته.

وقد اعتمد البحث في مراجعه ومصادره، الى النصوص المقدسة

والأحاديث الشريفة، فضلاً عن اعتماد كتب ومرجعيات، رصينة وموضوعية، وقد وفرت المراجع، مادة تعريفية وإحصائية وفيرة، قد أرجعت الى هوامش على المتن، ولكثرة وتوسع مادتها، فقد ألحقت تفاصيلها بملحق في نهاية الكتاب، وقد أثبتت المراجع والمصادر، في ثبت المصادر والمراجع، عدا ما تعذر درجه فيه، فيرجع إليه في متن الكتاب.

المدخل^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين،
 وآله الغر الميامين، واللعنة على أعدائهم إلى يوم الدين، ولا حول ولا
 قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿أَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَأَلِّمُوا نَوَاسِرَكُمْ يَوْمَ الْوَعْدِ وَلَا تَجَاسَرُوا بِأَلْسِنِكُمْ فِي الْحَبْلِ وَلَا تُنَادُوا بِالسَّلَاطَةِ وَلَا

تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(٤).

وقال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): «لو تمثل لي الفقر رجلاً لقتلته»^(٥).

وقبل البدء بهذا البحث الحيوي الهام لا بد من مدخل للبحث نشير
فيه إلى تعريف الفقر وحدوده ومدياته وإلى (مساحات الفقر) وأنواعه

(١) كان هذا الكتاب في الأصل كلمة لسماحة آية الله السيد مرتضى الحسيني الشيرازي (دام ظله) في مؤتمر الإمام علي (سلام الله عليه) السنوي السادس الذي أقامه مركز الفردوس العالمي للثقافة والإعلام، تزامناً مع ذكرى مولد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام) في ١٣ رجب ١٤٢٧ هـ، وذلك في قاعة بروجستر بالعاصمة البريطانية لندن. ثم بعد ذلك أضاف سماحته بنوداً عديدة لفصول الكتاب، كما أضاف الفصل الرابع بأكمله، وأجرى بعض التعديلات على هيكلية الكتاب وعناوين الفصول.

(٢) سورة هود: ٦١.

(٣) سورة هود: ٨٥.

(٤) سورة البقرة ٢٩.

(٥) روائع نهج البلاغة: ص ٨٤، وص ٢٣٣، شرح إحقاق الحق ج ٣٢: ص ٢١٣.



في أحاديث أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام وإلى السر في اختيار الإمام علي عليه السلام وكلماته، لتكون المعلم والمرشد؟.

(١)

ما هو الفقر؟

ولكي نعرف مدى خطورة مشكلة الفقر، يجب أن نعرفه بشكل صحيح ومتكامل. فإن الفقر لا ينحصر في الجانب المادي فحسب، كما يتوهمه عامة الناس، بل له امتدادات واسعة إلى أبعد الحدود، ذلك أن الفقر يعني في جوهره: الحاجة والحرمان وهذا هو الذي يشكل القاسم المشترك لكل تعريفات الفقر، وهو على هذا يستبطن كافة العناوين التالية:

١: الحرمان من الحب والعاطفة، وفي الحديث «وهل الدين إلا الحب»^(١)، و«ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(٢)، وفي الدعاء: «واعطف عليّ بمجدك»^(٣).

٢: افتقاد التعليم اللائق، وهو يشمل علوم الدين والدنيا، قال تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٤).

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام: الكافي ج ٢ ص ١٢٥.

(٢) عن النبي (صلى الله عليه وآله)، مستدرك الوسائل ج ٩ ص ٥٥، ح ٨.

(٣) عن الإمام علي عليه السلام: المصباح: ص ٥٦٠.

(٤) سورة الجمعة: ٢.

٣: نقص الرعاية الصحية الشاملة، وهي تشمل صحة البدن والنفس والروح والعقل، ففي الحديث الشريف: «إنما العلوم أربعة.. وعلم الطب لحفظ الأبدان»^(١).

٤: ضعف التربية البدنية وممارسة الرياضة التي يحتاجها الإنسان، للحفاظ على صحته الجسمية والروحية والعقلية، وذلك من أسباب استحباب السباحة والرمية وركوب الخيل في الإسلام.

٥: الفقر إلى المسكن المناسب الذي يلبي حاجاته الجسدية والروحية والنفسية، وقد ورد في الحديث الشريف: «من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع»^(٢).

وكذلك الفقر والحرمان عن كل من:

٦: الملابس المناسب، قال تعالى: ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ ﴾^(٣)، وقال سبحانه: ﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدَّ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ نَفْسِكُمْ وَرِيشًا ﴾^(٤).

٧: المأكل والمشرب بحيث يتمكن الإنسان من استحصال ما يحتاجه من السعرات الحرارية والعناصر الغذائية المهمة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فليَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴾^(٥).

(١) شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام: ص ٣٨٥.

(٢) الكافي: ج ٦ ص ٥٢٦.

(٣) سورة الأعراف: ٣١.

(٤) سورة الأعراف: ٢٦.

(٥) سورة قريش: ٣ - ٤.



وقال سبحانه: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ الرِّزْقِ﴾^(١).

٨: المركب، جاء في الحديث الشريف: «من سعادة المرء... ودابة

سريعة»^(٢).

٩: الجماليات والكماليات والزينة، يقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ

زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾^(٣).

كما أن هنالك مظاهر ومصاديق أخرى للفقر والحرمان قد تكون

أخطر مما مضى بكثير ومنها:

١٠: افتقاد الأمن على الصعيد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية،

قال تعالى: ﴿وَأَمْنُهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(٤)، والخوف يشمل كل ما يهدد

الإنسان سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. قال جل وعلا: ﴿وَيَضَعُ

عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(٥)، وهي الأصار والأغلال

التي حطمها رسول الله ﷺ، وهي القيود التي تحد من حرية التجارة

والزراعة والصناعة والحركة والسفر والحضر وحتى الأعراف والتقاليد

المقيدة للحرية.

١١: الحرمان من الحقوق الأولية والثانوية، مثل حق الإنسان في

(١) سورة الأعراف: ٣٢.

(٢) الفقه: الإدارة، للامام الشيرازي: ج ٢ ص ١٧٦، ط ٢ \ ١٩٩٢، دارالعلوم بيروت.

(٣) سورة الأعراف: ٣٢.

(٤) سورة قريش: ٤.

(٥) سورة الأعراف: ١٥٧.

حرية الرأي والتعبير، وحقه في السفر والإقامة، و في تملك الأراضي والعقارات وفي التجارة والاستثمار^(١)، وفي ألف شيء وشيء حسب القاعدة الفقهية المستفادة من قوله ﷺ: «الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم»^(٢)، ومن الآية الكريمة: ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ﴾^(٣)، وقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»^(٤) وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٥).

١٢: الحرمان من الفكر الصائب والثقافة السليمة والعقيدة الصحيحة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾^(٦)، وقال سبحانه: ﴿وَزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٧).

١٣: افتقاد الاستقلال الاقتصادي والسياسي.

١٤: كما أن الفقر مما لا يختص بالفرد، بل يشمل الفقر فقر المجتمع وفقر (الدولة)، حيث إن الفقر ليس خاصاً بالإنسان الفرد، فإن له مصاديقه الظاهرة في افتقار الدولة للمؤسسات الدستورية، وفي افتقار الدولة والمجتمع لمؤسسات البنية

(١) راجع (الفقه: الحريات)، و(الفقه: الحقوق) وغيرها، للمرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي رحمته الله.

(٢) الخلاف، للشیخ الطوسي: ج ٣ ص ١٧٦.

(٣) سورة الأحزاب: ٦.

(٤) الكافي: ج ٥ ص ٢٨٠.

(٥) سورة الكافرون: ٦.

(٦) سورة الأنبياء: ٥١.

(٧) سورة الجمعة: ٣.



التحتية. (١) (٢)

(٢)

الإمام علي عليه السلام ومساحات الفقر

هذه الشمولية في أبعاد الفقر تعكسها أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام. أ: فقد أشار عليه السلام إلى الفقر العلمي بقوله: «لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل»^(٣)، والجهل في حد ذاته فقر وحرمان علمي وثقافي، وهو سبب

(١) يراجع: (معالم المجتمع المدني في منظومة الفكر الإسلامي)، للمؤلف.

(٢) الفقر: هو عدم القدرة للوصول إلى الحد الأدنى من الاحتياجات المادية كالطعام والسكن والملبس ووسائل التعليم والصحة... وحاجات غير مادية مثل حق المشاركة والحرة الإنسانية والعدالة الاجتماعية. ويعرف أيضاً بعدم القدرة على تحقيق الحد الأدنى من مستوى المعيشة. ويمكن تعريف الدول الفقيرة بأنها تلك الدول التي تعاني من مستويات منخفضة من التعليم والرعاية الصحية، وتوفر المياه النقية صحياً للاستهلاك البشري والصرف الصحي ومستوى الغذاء الصحي كماً أو نوعاً لكل أفراد المجتمع، ويضاف إلى ذلك معاناتها من تدهور واستنزاف مستمر لمواردها الطبيعية، مع انخفاض مستوى دائرة الفقر.

وقد عرف البنك الدولي الدول منخفضة الدخل أي الفقيرة بأنها تلك الدول التي ينخفض فيها دخل الفرد عن ٦٠٠ دولار سنوياً، وعددها ٤٥ دولة معظمها في أفريقيا، منها ١٥ دولة يقل فيها متوسط دخل الفرد عن ٣٠٠ دولار سنوياً.

وبرنامج الإنماء للأمم المتحدة يضيف معايير أخرى تعبر مباشرة عن مستوى رفاهية الإنسان ونوعية الحياة "Livelihood" هذا الدليل وسع دائرة الفقر بمفهوم نوعية الحياة لتتضم داخلها ٧٠ دولة من دول العالم، أي هناك حوالي ٤٥٪ من الفقراء يعيشون في مجتمعات غير منخفضة الدخل، أي هناك فقراء في بلاد الأغنياء، ويكتفي هنا بذكر أن ٣٠ مليون فرد يعيشون تحت خط الفقر في الولايات المتحدة الأمريكية (١٥٪ من السكان).

(٣) نهج البلاغة: ج ٤، ص ١٤، باب الحكم، حكمة ٥٤.

من أهم أسباب الفقر الاقتصادي أيضاً.

ب: كما أشار عليه السلام إلى الفقر والحرمان من الثقافة والوعي والرشد الفكري بقوله: «أكبر الفقر الحمق»^(١).

ج: وأشار عليه السلام إلى الفقر والحرمان من الأمن والحماية الاجتماعية والسياسية بقوله: «وما أنتم بركن يمال بكم، ولا زوافر عز يفتقر إليكم»^(٢)، و(الزوافر) جمع (زافرة): وهي من البناء ركنه، ومن الرجل أهله وأنصاره، وهذا الفقر يعم الفقر الفردي وفقر الدولة وفقر المجتمعات أيضاً.

د: كما أشار عليه السلام إلى الفقر الروحي والأخلاقي بقوله: «شر الفقر فقر النفس»^(٣)، و«أكبر البلاء فقر النفس»^(٤). كما يشمله إطلاق قوله: «رب فقير أغنى من كل غني»^(٥).

بل إن الفقر هنا له مصاديق عديدة، منها الفقر في الصحة أو في الأمن أو في الحقوق وغيرها، وربما يكون هنالك فقير في ماله لكنه غني بصحته، وقد يوجد هنالك غني بماله، ولكن هذا المال عاجز عن توفير الصحة والسلامة لصاحبه، أو ربما يكون هنالك غني بماله لكنه فقير

(١) نهج البلاغة: ج ٤، ص ١١، الحكمة ٣٨.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٣٤

(٣) غرر الحكم: ص ٢٣٢.

(٤) غرر الحكم: ص ٢٣٢.

(٥) غرر الحكم: ص ٣٦٦.



من حيث حقوقه الأولية والثانوية، كحرية التعبير والرأي وحرية السفر والحضر وحرية التملك والاستثمار وغيرها، فإنه يكون أسوأ حالاً من الغني بحقوقه مع فقره من المال.

هـ: كما تمت الإشارة إلى الفقر الديني والعقائدي في قوله صلى الله عليه وآله: «الفقر سواد الوجه في الدارين»^(١)، والمقصود بالفقر هنا، الفقر من الدين والتقوى والورع والمثل الأخلاقية العليا، وهي السبب في خسران الدنيا والآخرة، فإن الفقير من الوازع الديني لا يتورع عن ارتكاب السرقة والاعتصاب والقتل ومختلف أشكال الاعتداءات.

كما أن الدولة المجردة من الوازع الديني والأخلاقي تصادر حريات الناس، وتلقي بالأحرار والأبرياء في السجون، وتقمع الأكثرية والأقلية معاً! وتلك كلها سواد الوجه في الدارين.

و: كما أن الآية الشريفة التي حكى قول نبي الله موسى عليه السلام: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٢)، وإن كان شأن نزولها الطعام، إلا أنها تشمل - إطلاقاً أو ملاكاً - كل المعاني الممكنة للفقر، فإن الإنسان مفتقر في كل شؤونه إلى كل أنواع عطايا الله سبحانه وتعالى.

ز: وقال الإمام علي عليه السلام: «أفقر الناس من قتر على نفسه مع الغنى والسعة وخلفه لغيره»^(٣).

(١) عوالي اللئالي: ج ١، ص ٤٠.

(٢) سورة القصص: ٢٤.

(٣) غرر الحكم: ص ٣٦٩.

فالفقر ليس عدم تملك الأموال والثروات، بل هو الحرمان من الاستفادة منها واستثمارها لرفع حوائج الإنسان المادية منها والمعنوية، السياسية منها والاجتماعية، العلمية منها والفكرية والثقافية، الأساسية منها والجمالية والكمالية..

إذن: فمن يملك المليارات لكنه لا يستثمرها في الدفاع عن حقوقه وحقوق أمتة فهو (فقير)، بل هو (أفقر الناس).. والدولة التي تملك مئات المليارات لكنها لا تصرفها في مؤسسات البنية التحتية وتقوية المؤسسات الدستورية فهي فقيرة أيضاً.

نعم يبقى أن (الفقر) الوحيد الحسن والنافع والذي هو عين (الغنى)، هو الفقر إلى الله تعالى، فقد جاء في الدعاء الشريف: «اللهم أغنني بالافتقار إليك، ولا تفقرني بالاستغناء عنك»^(١). وكذلك ما جاء في صحف إدريس عليه السلام: «لا غنى لمن استغنى عنك، ولا فقر لمن افتقر إليك»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٣١، مستدرک سفینة البحار: ج ٨، ص ٢٧٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ٤٦٢.



(٣)

الفقر .. التحدي الأعظم

الفقر يُعد من أهم التحديات التي واجهت البشرية على مر التاريخ، ويشكل هو والجهل والمرض وانعدام الأمن بأبعاده المختلفة،

الأضلاع الأربعة للتخلف والشقاء البشري..

ولايزال الفقر يشكل الظاهرة الأخطر، والهاجس الأكبر للبشرية، رغم كل التطور العلمي وكل البرامج والمناهج الاقتصادية على الصعيد المحلي والدولي، فقد جاء في تقرير لرئيس البنك الدولي:

(إن من بين ٦ مليارات بشر يوجد ٢,٨ مليار إنسان يعيشون بأقل من دولارين باليوم، ويوجد ١,٢ مليار بشر يعيشون بأقل من دولار في اليوم، ومن كل مائة رضيع يموت ستة قبل أن يبلغوا السنة الأولى من عمرهم، أما الأطفال الذين يبلغون سن التعليم فإن ٩ ذكور و١٤ أنثى من بين كل مائة طفل يتمكنون من الالتحاق بالمدارس الابتدائية، والباقي يكونون خلف الأبواب)^(١).

(١) يقوم البنك الدولي كل عدة سنوات بنشر تقديرات محدّثة عن أوضاع الفقر، استناداً إلى أحدث البيانات العالمية المتعلقة بتكلفة المعيشة، وكذلك إلى المسوحات الفظرية الخاصة بمعدلات الاستهلاك لدى الأسر المعيشية. وتشير التقديرات التي نشرها البنك الدولي يوم ٢٩ فبراير/شباط ٢٠١٢ إلى أن عدد من يعيشون على أقل من ١,٢٥ دولار للفرد في اليوم بلغ نحو ١,٢٩ مليار شخص في عام ٢٠٠٨، وهو ما يعادل ٢٢ في المائة من سكان العالم النامي. ويعتمد التقرير المحدث على ٨٥٠

إن مشكلة الفقر معقدة جداً، ومتداخلة مع كافة مناحي الحياة الأخرى؛ السياسية منها والاجتماعية، والنفسية والفكرية والروحية، والقانونية والدينية، وبما أن لكل عامل علاقة متبادلة مع الفقر، فهو يؤثر في خلق هذه المشكلة تارةً، ويتأثر بها أخرى، فقد بات واضحاً عجز

الإنسان عن التوصل إلى حل شامل ومتكامل لمشكلة الفقر^(١)، وإذا كان ثمة حل جذري للمشكلة، فإن مصدره السماء، حيث إن الإله الحكيم والعاقل والعالم المحيط والقادر هو الذي تكمن عنده حل المشكلة بما فيها مكوناتها الثلاث: (البشر - الثروات - النظم والمناهج). من هنا كان انطلاقنا للتعرف على حل مشكلة الفقر على ضوء التعاليم الإلهية التي أرشد إليها القرآن الكريم وكلمات رسول الله ﷺ والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

مسحاً للأسر المعيشية تم إجراؤها في ١٣٠ بلداً تقريباً. للتفصيل (براجع الملحق ١/٢٦١).

(١) حسب إحصاء قديم يعيش فوق كوكب الأرض أكثر من ٦ مليارات من البشر يبلغ عدد سكان الدول النامية منها ٤,٣ مليارات، يعيش منها ما يقارب ٣ مليارات تحت خط الفقر وهو دولاران أميركيان في اليوم، ومن بين هؤلاء هنالك ١,٢ مليار يحصلون على أقل من دولار واحد يومياً. ونصف سكان العالم تقريباً يعيشون اليوم في المدن والبلدات. في عام ٢٠٠٥، وحوالي الثلث (١ مليار نسمة) يعيشون في أحزمة الفقر. وفي البلدان النامية نجد أن نسبة ٣٣,٣٪ ليس لديهم مياه شرب آمنة أو معقمة صالحة للشرب والاستعمال، و٢٥٪ يفتقرون للسكن اللائق، و٢٠٪ يفتقرون لأبسط الخدمات الصحية الاعتيادية، و٢٠٪ من الأطفال لا يصلون لأكثر من الصف الخامس الابتدائي، و٢٠٪ من الطلبة يعانون من سوء ونقص التغذية. ويموت حوالي ٣٠,٠٠٠ طفل يومياً بسبب الفقر. وللتفصيل (براجع الملحق ٢/٢٦٣).



(٤)

لماذا انتخبنا الإمام علياً عليه السلام مُنظراً ومعلماً ومرشداً؟

لقد كان الباعث الرئيس على اعتبار كلمات وحكم وممارسات الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الاقتصادية هي المرجع الأساس للتعرف على الحلول الإستراتيجية لمكافحة الفقر، هو مجموعة من العوامل التالية:

١: لأنه عليه السلام الأعرَف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنهج السماء، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أعلمكم علي»^(١).

٢: لأنه عليه السلام خَلَف لنا في أحاديثه وكلماته وخطبه خاصة عهده للملك الأشتر، خطوطاً عريضة ترسم إستراتيجية واضحة المعالم لمكافحة الفقر على مدى التاريخ.

٣: ولأنه عليه السلام خبر المعاناة في حياته اليومية، فقد ولد في بيئة فقيرة وذاق فيها طعم الفقر، فأحس بعمق مأساة الفقراء.

٤: ولتمييزه (عليه الصلاة والسلام) بتجربة كبيرة وخبرة واسعة في التعامل مع هذه المشكلة، فقد عاش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فترة الفقر الشديد، ثم فترة الثروات الطائلة التي انهالت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأى عليه السلام وتعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يتعامل مع الفقر؟ وكيف يتعامل مع

(١) الكافي: ج ٧ ص ٤٢٤.

الغنى؟ وكيف يوظف كل ذلك لوضع خطة متكاملة من كل الجوانب لمكافحة الفقر.

٥: تحمله عليه السلام معاناة استمرت فترة طويلة، وتحولت إلى ممارسات عملية ميدانية لمكافحة الفقر. فعندما تزوج عاش حياة الفقراء مع زوجته الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، فكان أحياناً يرهن درعه ليقترض ثلاثة أصوع من الشعير لقوت يومه^(١)، وقد عمل عليه السلام وكد

(١) روى الجمهور في سبب نزول هذه الآيات في أهل البيت عليهم السلام: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْفَ طَعَامٍ عَلَىٰ حَيْوَةٍ وَمَنِّيكَمَا وَيَتِيمًا وَأَبِيرًا﴾ سورة الإنسان: (٨) ﴿إِنَّمَا نَطْعَمُكَر لَوْجِهَ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكَ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ سورة الإنسان: (٩): أن الحسن والحسين عليهما السلام مرضا، فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنذر علي عليه السلام صوم ثلاثة أيام، وكذا أمهما فاطمة عليها السلام وخادمتهم فضة، لئن برنا. فبرنا. وليس عند آل محمد عليهم السلام قليل ولا كثير، فاستقرض أمير المؤمنين عليه السلام ثلاثة أصوع من الشعير، وطحنت فاطمة عليها السلام منها صاعا، فخبزته أقرصا، لكل واحد قرص، وصلى علي عليه السلام المغرب، ثم أتى المنزل، فوضع بين يده للإفطار، فأثامهم مسكين وسألهم، فأعطاه كل واحد منهم قوته، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئا. ثم صاموا اليوم الثاني، فخبزت فاطمة عليها السلام صاعا آخر، فلما قدمته بين أيديهم للإفطار أثنامهم يتيم وسألهم القوت، فتصدق كل منهم بقوته. فلما كان اليوم الثالث من صومهم وقدم الطعام للإفطار، أثنامهم أسير وسألهم فأعطاه كل منهم قوته، ولم يذوقوا في الأيام الثلاثة سوى الماء، فأرأهم النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الرابع وهم يرتعشون من الجوع وفاطمة عليها السلام قد التصق بطنها بظهرها من شدة الجوع، وغارت عينها، فقال صلى الله عليه وسلم: واغوثاه يا الله، أهل محمد يموتون جوعا، فهبط جبرئيل فقال: خذ ما هناك الله تعالى به في أهل بيتك، فقال: وما آخذ يا جبرئيل؟ فأقرأه: ﴿هَلْ أَقَى﴾. راجع شواهد التنزيل، للحاكم الحسكاني: ج ٢ ص ٣٩٣ - ٤١٤ ج ١٠٤٢ - ١٠٧٠. مناقب المغازلي: ص ٢٧٢ ح ٣٢٠، أسباب النزول للواحدي: ج ٦ ص ٢٩٦، الدر المنثور للسيوطي: ج ٨ ص ٣٧١، ذخائر العقبى: ج ١٠٢، تفسير البيضاوي: ج ٥ ص ١٦٥، تفسير الطبري: ج ٢٩ ص ١٢٥، تفسير الفخر الرازي: ج ٣٠ ص ٢٤٣، الكشف للزمخشري: ج ٤ ص ٦٧٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢١، إحقاق الحق للتستري: ج ٣ ص ١٥٨ - ١٩٦، وج ٩ ص ١١٠ - ١٢٣، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج ١ ص ٣٠١. وقال أحد الأدباء في هذه الحادثة الشريفة - كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٩ ص ١٠١:



وكدح في التجارة والزراعة، ثم عندما انهالت عليه الثروة، بقي حاملاً منهجه المتكامل والمتميز في مكافحة الفقر والذي كان من بنوده (الضمان الاجتماعي) و(التكافل الاجتماعي) وغيرها كثير، فكان قد وظف كل ثرواته لمكافحة الفقر^(١).

٦: تميزه عليه السلام بمثابرة استثنائية وإرادة جبارة لتقديم الحلول النموذجية المقابلة للفقر، وذلك من خلال استصلاح الأراضي الشاسعة خارج المدينة، مستفيداً من فترة الإقامة الجبرية التي فرضت عليه لمدة ٢٥ سنة لمعارضته للدكتاتورية وللانقلاب على منهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وبذلك ثقف الناس على العمل والإنتاج بدلاً من انتظار مساعدة الآخرين^(٢).

٧: تألقه عليه السلام نظرياً وعملياً عندما أضحى حاكماً على الدولة الإسلامية التي لم تكن تغرب عنها الشمس آنذاك، فقدم نظرية اقتصادية متكاملة ثم طبقها على الواقع، فتحوّلت البلاد إلى جنة لا يرى فيها فقير واحد، وذلك في أقل من خمس سنوات، حتى قال

جاء بالقرص والطوى ملء جنبيه وعاف الطعام وهو سغوب

فأعاد القرص المنير عليه القرص والمرض الكرام كسوب

(١) يراجع كتاب (الضمان الاجتماعي في الإسلام). وأيضاً (السياسة من واقع الإسلام) للمرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي رحمته الله.

(٢) جاء في كتاب (السياسة من واقع الإسلام) لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي رحمته الله: (إن الإسلام اتخذ سياسة حكيمة، في ازدياد العمران والزراعة، التي بهما تكون رفعة الدولة أو سقوطها، وذلك بإباحة الأراضي لمن عمرها بالبناء، أو الزراعة، أو فتح قناة، أو شق عين، أو تشييد المصانع والمعامل، أو غير ذلك. وبالتحبيذ إلى العمل والزراعة، واتخاذ دور وسيع، وغيرها. فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له، وليس لعرق ظالم حق».

هو عليه السلام:

«ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالقرص! ولا عهد له بالشعب!»^(١)

وحتى إن أفريقيما لم يبق فيها فقير واحد، كما يذكره المؤرخون.^(٢)
ويعكس عهده عليه السلام لملك الأشتر رضي الله عنه^(٣) جانباً من منهجه الاقتصادي المتميز والمبتكر في مكافحة الفقر.

(١) نهج البلاغة: ج ٣ ص ٧٢.

(٢) يقول المرجع الديني الراحل الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي رحمته الله: (وفر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حكومته لجميع شعبيه: المسكن والرزق والماء، مع العلم بأن حكومة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كانت واسعة جداً، تشمل ما يقارب خمسين دولة حسب خارطة اليوم، منها مصر والحجاز واليمن وإيران والخليج والعراق وغيرها، فهي أكبر دولة في عالم ذلك اليوم، ومع ذلك وفر الإمام عليه السلام بسياسته الحكيمه كل ذلك لكل شعبيه.

ومن الطبيعي أن الإمام عليه السلام طبق قانون الإسلام بكامله، فالقانون الشرعي يقول: (الأرض لله ولمن عمّرها) فكان عليه السلام يعطي الأرض للناس مجاناً، ثم يساعدهم من بيت المال لأجل إحياء الأراضي وعمرانها. مضافاً إلى أن التجارة والزراعة والصناعة وغيرها كانت في حكومته عليه السلام حرة، وكان الناس ينتفعون بمختلف المكاسب ويحصلون على الأرزاق المحللة، بالإضافة إلى ما كان يقسم عليهم الإمام عليه السلام من بيت المال. وكان الناس يحصلون على الماء بحفر الأنهر والآبار، وذلك بملاحة حريتهم، ومن دون أية ضريبة أو إجازة أو أم تشبيه. وبذلك كله تمكن الإمام عليه السلام أن يهباً لعموم شعبه المسكن والرزق والماء، وهذا ما لم تتمكن منه حتى البلاد الغربية التي تدعي أنها وصلت إلى قمة الحضارة في يومنا هذا. وقد انتفت البطالة أيضاً في ظل حكومة أمير المؤمنين عليه السلام لوجود الكسب الحلال لكل إنسان. ولم يكن يوجد في بلاد الإمام عليه السلام الواسعة حتى فقير واحد، فقد قال عليه السلام في كلمة له: (لعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشعب) فان في استعماله عليه السلام كلمة (لعل) إشارة إلى نفي الفقر عن البلاد بحيث لم يكن القائد متيقناً بوجود فقير واحد. راجع كتاب (فاطمة الزهراء عليه السلام أفضل أسوة للنساء).

(٣) يمكن مراجعة نص عهد أمير المؤمنين عليه السلام في نهاية الكتاب.



وفي فصول ومباحث الكتاب سيجري عرض بعض ملامح
الأسس التي وضعها الإمام علي عليه السلام لمعالجة ظاهرة الفقر، وبعض
معالم إستراتيجيته الخالدة.



الباب الأول

العوامل الاقتصادية والغيبية
لإنتاج الثروة والمحافظة عليها
وتنميتها والأسباب الرئيسية لتبديد
الثروة وإيجاد الفقر والحرمان



الفصل الأول

◆ العوامل الاقتصادية لإنتاج الثروة
والمحافظة عليها وتنميتها ومكافحة الفقر

الحلول الإستراتيجية^(١)

تنقسم الحلول الإستراتيجية لمكافحة الفقر إلى قسمين:

القسم الأول: حلول (الدفع) أو (الموانع).. وهي تلك التي تحول دون تولد الفقر أو بتعبير أدق: هي عوامل إيجاد الثروة والغنى ثم أسباب المحافظة عليها ثم بواعث تنميتها، وترتبط بالبنية التحتية والمنهج العام والأرضية التي تعد حاضنة لمشكلة الفقر.

القسم الثاني: حلول (الرفع) أو (الروافع).. وهي تلك التي تعالج الفقر بعد حدوثه.

وسنشير إلى النوع الأول من الحلول، في هذا الفصل والفصل الثاني، وإلى النوع الثاني في الفصل الثالث، بإذن الله تعالى، على أن بعض العوامل مما يعد من حلول الدفع ومنع حدوث الفقر في علته المحدثة، يصلح أن يذكر أيضاً كعامل من عوامل الرفع للفقر في علته المبقية، أي إزالة الفقر بعد حدوثه، فإن بعض العوامل تمتلك خاصية كلا البعدين فمثلاً (ملكية الدولة للأراضي، والمعادن، والثروات، أو وضعها يدها عليها بحيث لا تسمح للناس بحيازة شيء منها إلا بعد استجازة، وروتين وشروط تعجيزية أو غير تعجيزية يعد عاملاً

(١) استعرنا مصطلح (الحلول الاستراتيجية) من نطاقاته العسكرية المعهودة، لنقصد به (الحلول النوعية، بعيدة المدى) سواء أكانت مسؤولية الدولة بالدرجة الأولى، أم مسؤولية مؤسسات المجتمع المدني، أم مسؤولية عامة الناس، أم مسؤولية مشتركة بين الجميع، كما يتضح ذلك بملاحظة البنود الأربعة عشرة الآتية.



من عوامل إيجاد الفقر، كما أنه عامل من عوامل استمراريته وديمومته وتجذره، لذا فإن منح الأراضي والثروات العامة للناس وعدم احتكار الدولة لها، ادرجناه - بتعبيرين مختلفين - في الفصل الأول والثالث مثلاً، وذلك نظراً لأهميته الفائقة وتأثيره الكبير في (الدفع) و(الرفع) معاً. ومن الضروري الإشارة إلى أن كافة العوامل التي ستذكر في الفصول الثلاثة، تتوزع بين:

- ١- عوامل فردية - شخصية، يمتلك الأفراد التحكم فيها وذلك مثل القمار، الربا، الإسراف والتبذير، الصدقة، صلة الأرحام.. الخ
- ٢- عوامل ترتبط بالدولة، وقوانينها ومنهجيتها في الحكم والإدارة الاقتصادية وطريقة تحكمها في الثروات وكيفية تعاملها مع الفقراء والأثرياء ومع عامة الناس مثل ملكية الدولة، وسرقة الحكومة، كثرة الموظفين، التسلح، سوء التوزيع، التوازن بين الريف والحضر، المرونة في الضرائب.. الخ
- ٣- عوامل ترتبط بكل من الدولة والناس ك- (ترشيح الإنفاق) (التكافل الاجتماعي) (الضمان الاجتماعي) (التقوى) (النزاهة) (الفساد المالي) (الاحتكار) و(تزوير العملة)^(١).

نعم.. لم نشر عند كل بند بندٍ إلى وجهي القضية، لكن اللبيب لا يخفى عليه ذلك ومن المهم الإشارة أيضاً إلى أن العوامل التي

(١) إذ قد تقوم الدولة بالاحتكار وقد يقوم الناس بالاحتكار، وقد يقوم - اشخاص بتزوير العملة، وقد تطبع الدولة نقوداً أكثر من الخلفية الاقتصادية لها - مما نسميه توسعاً نوعاً من تزوير العملة.

ترتبط بالدولة، يجب على الأفراد وعلى مؤسسات المجتمع المدني أن لا يقفوا سلبيين تجاهها فقط، بل عليهم الضمغط المنهج على الدولة لتغيير تلك القوانين أو المنهجية أو طريقة التنفيذ مما فصلناه في كتابنا عن الدولة والشعب^(١)، وكتابنا الأخر عن المجتمع المدني^(٢) كما فصله السيد الوالد قدس في العديد من كتبه^(٣)

(١) ملامح العلاقة بين الدولة والشعب.

(٢) معالم المجتمع المدني في منظومة الفكر الإسلامي.

(٣) الصياغة الجديدة، والسبيل إلى انهاض المسلمين، وممارسة التغيير، والفقهاء السياسة والاقتصاد، الحقوق، الدولة، وغيرها.



عوامل إيجاد الثروة أو المحافظة عليها أو تنميتها وسبل مكافحة الفقر

أولاً: منح الأرض والمعادن والثروات كلها للناس^(١)

بدون قيد أو شرط، التزاماً بحكمة الله تعالى وهندسته للحياة، حيث جعل الأرض بما فيها لعباده إذ قال: ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾^(٢) بمعنى أن كل ما في الأرض من الثروات هي لكل الناس، وهذا يعني أن الدولة لا تملك الأراضي ولا المعادن، ولا البحار، ولا الأجواء، وغيرها بل كلها للناس فيها مطلق الحرية في التملك والاستثمار، فمن حاز شيئاً كان له، وعلى الدولة تنظيم هذه العملية وحسب. وبذلك فإن تكاليف هائلة جداً ستترفع وبكل بساطة عن كاهل الفقراء، فلكي يمتلك الفقير مسكناً - مثلاً - لن يكون بحاجة إلى شراء الأرض، إذ يقول رسول الله ﷺ: «الأرض لله ولمن عمرها»^(٣)، بل يملكها بالحيازة فلا يتحمل إلا نفقات البناء فقط.

هذه الفقرة من القانون الإسلامي لها تأثير كبير جداً في توجيه

(١) يلاحظ أن التعبير بـ(منح) أيضاً تسامحي، لأن الأرض والثروات كلها خلقها الله تعالى للناس، ولا يتوقف تملك الناس لها على منح الدولة لهم، بل التملك منوط بالحيازة والإحياء، كما هو مبين في كتب الفقه، (راجع مثلاً الفقه كتاب إحياء الموات/المجلد ٨٠).

(٢) سورة البقرة: ٢٩.

(٣) وسائل الشريعة: ج ١٧ ص ٣٢٨.

أكبر ضربة للبطالة والغلاء والتضخم^(١)، وذلك لتوفير الأراضي والأحجار وكافة المعادن والخشب وشبهها، بالمجان للناس، من أجل بناء دور سكن أو مصانع أو محلات ومتاجر، أو مراعي ومزارع وشبه ذلك، وذلك يعني توفير فرص عمل هائلة، كما يعني زيادة قدرة الفقراء على الاستثمار، وذلك من خلال توفر الأرض وقسم من رأس المال الذي يحتاجه ذوو الدخل المحدود لبناء مزرعة لتربية الدواجن أو مرعى للأغنام والأبقار وسائر المشاريع الإنتاجية، إذ لن يكون هذا الإنسان بحاجة إلى دفع مبالغ للدولة للعمل في أرض زراعية أو غيرها.

وكذلك في حال إنشاء مصنع، لن يكون بحاجة إلى توفير ثمن شراء الأرض أو ثمن توفير المواد الإنشائية، بل كل ذلك يتوفر له مجاناً، فله أن يستقطع من الجبال أو من أشجار الغابة أو من المعادن ما شاء

(١) التضخم يعد من أكثر الاصطلاحات الاقتصادية شيوعاً، وبالرغم من ذلك فإنه لا يوجد اتفاق بين الاقتصاديين بشأن تعريفه، ويرجع ذلك إلى انقسام الرأي حول تحديد مفهوم التضخم حيث يستخدم هذا الاصطلاح لوصف عدد من الحالات المختلفة، مثل: الارتفاع المفرط في المستوى العام للأسعار. ارتفاع الدخول النقدية أو عنصر من عناصر الدخل النقدي مثل الأجور أو الأرباح. ارتفاع التكاليف. الإفراط في خلق الأرصدة النقدية.

وليس من الضروري أن تتحرك هذه الظواهر المختلفة في اتجاه واحد في وقت واحد، بمعنى أنه من الممكن أن يحدث ارتفاع في الأسعار دون أن يصحبه ارتفاع في الدخل النقدي، كما أن من الممكن أن يحدث ارتفاع في التكاليف دون أن يصحبه ارتفاع في الأرباح، ومن المحتمل أن يحدث إفراط في خلق النقود دون أن يصحبه ارتفاع في الأسعار أو الدخول النقدية. وبعبارة أخرى فإن الظواهر المختلفة التي يمكن أن يطلق على كل منها (التضخم) هي ظواهر مستقلة عن بعضها بعضاً إلى حد ما وهذا الاستقلال هو الذي يثير الإرباك في تحديد مفهوم التضخم.



مما يحتاجه.

وهذا المنهج هو الذي طبقه الإمام علي عليه السلام في دولته الكبيرة والمتنامية الأطراف، فكانت الأراضي مباحة للجميع، وكذا الغابات وغيرها، وحسب المصطلح الفقهي فإن (الأنفال)^(١) وهي شطوط الأنهار وسيف البحار وقمم الجبال وبتون الوديان وغيرها كانت كلها مباحة للناس، والمهم أن ينطلقوا ويمنوا ويزرعوا ويستثمروا دون أن يدفعوا فلساً واحداً لشراء ما خلقه الله بالأصل لهم، ودون أن يمروا بأي روتين إداري، ودون أن يدفعوا ضريبة لمجرد أنهم بنوا داراً أو معملاً أو مزرعة. ألم يقل تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ ؟

ومما يتبع هذا العامل، عامل توفير الحق للناس في استثمار المشتركات وسنكتفي ههنا بإشارة واحدة فقط

توفير حق استثمار (المشتركات)

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: سوق المسلمين كمسجدهم فمن سبق إلى مكان فهو أحقّ به إلى الليل وكان لا يأخذ على بيوت السوق الكراء.^(٢)

(١) الأنفال جمع (نفل)، وهو بمعنى الزيادة، وقد أطلقت على (النوافل اليومية) أيضاً لأنها زيادة على الفريضة، وربما تستعمل في العطيّة، ولعلّ المعنيين متقاربان. وقد أُطلق هذا اللَّفْظُ في الآية وأُريد منه غنائم ما أخذ من دار الحرب بغير قتال، وما أشبهه وعن الإمام الباقر عليه السلام انه عرف الأنفال بـ(منها المعادن والآجام وكل أرض لا رب لها وكل أرض باد أهلها).

(٢) الكافي (فروع): ج ٥ ص ١٥٥ ح ١.

إن (السوق) هو من (المشتركات) أي أنه من الأماكن العامة المفتوحة، التي يحق لكل إنسان أن يعمل فيها أو يتاجر، ولكل إنسان أن ينتخب أي موضع في السوق، لم يسبقه إليه غيره، لبيع ويشترى ويتعاقد ويتعامل، ولو أن هذا القانون (حرية الاستفادة من الأسواق) طُبِّق؛ إضافة إلى حرية الاستفادة من سائر المشتركات، كالحدايق العامة وكمياه البحار والأنهار والعيون التي تفجرت بنفسها والغدران والمستنقعات والمراعي العامة والمعادن والطرق العامة وغيرها، بما لا يضر بحق المارة، لتوفرت فرص عمل كثيرة للناس ولكان ذلك من عوامل محاصرة الفقر وتقليص رقعته ومساحاته.

ثانياً: أن تعطي الأولوية للإعمار والتنمية والاستثمار في البنية التحتية.

وهو القانون الذي سنّه (عليه السلام)، بأن أعطى الأولوية المطلقة للإعمار والتنمية والإنتاج، وليس للضرائب^(١). هذا القانون نصّت عليه وصية الإمام (عليه السلام) مالك الأثمة عندما ولّاه مصر:

«وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب

الخراج»^(٢).

(١) الضريبة أو الجباية هي مبلغ مالي تتقاضاه الدولة من الأشخاص والمؤسسات بهدف تمويل نفقات الدولة. أي بهدف تمويل كل القطاعات التي تصرف عليها الدولة كالتعليم متمثلاً في المدارس ورواتب المدرسين، والوزارات ورواتب عمالها، وصولاً إلى عمال النظافة الحكومية، والسياسات الاقتصادية كدعم سلع وقطاعات معينة، أو الصرف على البنية التحتية كبناء الطرقات والسدود أو التأمين على البطالة. وللتفصيل (راجع الملحق ٣/٢٦٧).

(٢) نهج البلاغة: ج ٣ ص ٩٦.



وعلى عليه السلام ذلك بتعليل يكشف عن النظرة الاستراتيجية الثاقبة والرؤية الاقتصادية الشاملة له عليه السلام: «لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً»^(١).

من هنا تخطى الحكومات عند ما تركز على الضرائب مرتين، مرة بتحطيمها قدرة المزارعين وصغار المستثمرين على الإنتاج، فيزيد ذلك من نسبة الفقراء أولاً وتعود النتيجة للحكومة سلباً، إذ سوف تتناقص نسبة الضرائب التي ستحصل عليها بشكل مؤكد، ومرة لأن التركيز على الضرائب (يهلك العباد). هذه العبارة البليغة منه عليه السلام يمكن أن نجد مصاديقها في الظواهر والحالات التالية:

أ: الاضطرابات الاجتماعية التي قد تتمخض عن ثورات تتصف بالدموية والفضوضوية، تحرق الأخضر واليابس وتزيد الوضع الاقتصادي سوءاً على سوءه^(٢).

ب: ظهور الأمراض الناجمة من الضغوط النفسية التي يواجهها المزارعون وصغار المستثمرين، نظراً لإصرار الدولة على الضرائب. وكذلك الأمراض التي تنجم عن عدم قدرتهم عندئذ على توفير مقومات العيش باطمئنان، ثم إن الأمراض تعني مزيداً من الفقر

(١) نهج البلاغة: ج ٣ ص ٩٦.

(٢) توصلت دراسة متعمقة إلى أن الشبان العرب يتوقون للتغيير لكن أحلامهم الاقتصادية توقفتها المجتمعات المتعصبة التي لا تعترف بإمكاناتهم الضخمة، وللتفصيل (راجع الملحق ٤/ ٢٦٨).

ومزيداً من الحرمان.

ج: تراجع قدرة الفقراء ومحدودي الدخل أمام فرص التعليم والتعلّم، وعلى توفير مستلزمات الحياة الكريمة، وغير ذلك، مما ينعكس بدوره سلباً على الاقتصاد العام للبلاد.

وقد سبق الإمام عليّ عليه السلام بأكثر من ألف وثلاثمائة وخمسين عاماً، أبرز اقتصادي التنمية الذين ذهبوا إلى أن (الوصول إلى معدل استثماري يصل إلى ٢٥٪ أو ٣٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي، لعدة سنوات متصلة، يقضي على الركود والتخلف ويسبب انطلاق الاقتصاد)، وهذا هو ما يراه البنك الدولي أيضاً من أن تدفق الاستثمارات والأموال يحل المشكلة.^(١)

ومنهج الإمام عليّ عليه السلام إضافة إلى أسبقيته، فإنه أكثر تطوراً بكثير، إذ لا يحدد الإمام نسبة ٢٥٪ أو ٣٠٪ بل يفتح الباب على مصراعيه للاستثمار في البنية التحتية، لتوفير ليس الحاجات الأساسية فحسب، بل حتى الكمالية أيضاً.

ثالثاً: ترشيده الإنفاق

إن (ترشيده الإنفاق) الذي نجده واضحاً جلياً في حكومة أمير المؤمنين عليه السلام، يعد من أهم أسس سلامة الاقتصاد وطرق القضاء على الفقر.

(١) راجع www.siironline.org



ولنا في ذلك عشرات النماذج والأمثلة، التي تعكس مدى دقة الإمام عليه السلام في وضع قوانين تحول دون التفريط حتى في الدرهم من حقوق الناس.

ومن الواضح أن ذلك لو كان هو المنهج العام لتم توفير المليارات من الأموال التي تبذر اليوم هنا وهناك، والتي تبدو مجرد قطرات وذرات وأموالاً تافهة، إلا أنها تشكل مجموعها ميزانية ضخمة كان ينبغي أن تصرف في تنشيط اقتصاد البلاد وتكامل البنية الاقتصادية التحتية ورفع العوز عن المعوزين.

ومن الأمثلة:

١: إطفاء الإمام عليه السلام السراج، وكان من أموال بيت المال، - أموال الحكومة بمصطلح اليوم - عندما جاءه شخص ليحدث في أمر شخصي.

٢: كان عليه السلام يقارب بين السطور في رسائله، بل إنه قد أصدر قراراً عاماً لعماله: «أدقوا أقلامكم وقاربوا بين سطوركم»^(١).

٣: من قراراته عليه السلام أيضاً: «واحذفوا عني فضولكم، واقصدوا قصد المعاني»^(٢)، وذلك يعني الاختزال في وقت الحاكم وفي وقت العمال والموظفين، والوقت له قيمته الكبرى، ومجموعة هذه الأوقات تشكل ثروة هائلة للبلاد لو صرفت في القضايا الإستراتيجية والأهم

(١) الخصال: ص ٣١٠.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٩٩ ب ١٥ ح ٢.

والأساس لا في الهوامش وترف القول، وكانت البلاد قد تقدمت
أشواطاً إلى الأمام.

هذا ما كان عليه الحال على عهد أمير المؤمنين عليه السلام في العقد
الثالث من بداية تأسيس الدولة الإسلامية المصادف للقرن السابع
للميلاد.

وإذا القينا نظرة خاطفة على محاولات ترشيد الإنفاق في بلادنا
الإسلامية التي ينعم معظمها باقتصاديات غنية وثروات ضخمة،
فإننا سنجد أول مفارقة تكشف عن أن الترشيد على يد أمير
المؤمنين عليه السلام كان يصبّ في صالح المجتمع والأمة، لكنه على يد حكام
اليوم يؤدي إلى الإضرار بالصالح العام، فإن الناس هم من يجب
أن يدفعوا الثمن وليس الوزير أو الرئيس، كما فعل الإمام عليه السلام.

ولننظر إلى نوعية واتجاه عمليات ترشيد الإنفاق في دولنا^(١):

فإن ترشيد الإنفاق في دولنا يتجه لتقليص الخدمات التي تقدمها
الحكومة للناس في المجالات كافة، لاسيما الصحة والتعليم والماء
والكهرباء ووسائل النقل والاتصال، مما يفرض تكاليف إضافية على
ميزانية الفرد والأسرة.

إضافة إلى أنه يسبب تعرض البلاد إلى الضغوط الاقتصادية
والسياسية والأمنية، بسبب ترشيد الإنفاق الخاطيء، إذ تقوم الحكومات

(١) بل حتى في الدول الديمقراطية، كما يشاهده المنتع.



والأنظمة السياسية بتوسيع مشاريعها العسكرية أو الاقتصادية ذات التأثير السلبي والمدمر على اقتصاد الدولة، من قبيل صفقات التسليح والبرامج المخبرانية الواسعة الأبعاد، أو مشاريع الاستثمار غير الناجحة التي تعطى لشركات أجنبية، وذلك كله في مقابل تقليص الإنفاق على الشؤون الحيوية.

ومما يؤكد ذلك كله رفض ومعارضة الطبقة العليا من موظفي الدولة لأي محاولة للترشيد، كونه يكلفهم التنازل عن الكثير من امتيازاتهم ومصالحهم التي اعتادوا عليها، وهذا ما نلاحظه في الكثير من البلاد الإسلامية، لذا إن كان ثمة إصرار لتطبيق الترشيدي في الإنفاق الحكومي، فإن هذه الطبقة وكبار المسؤولين يدفعون بتكاليف العملية لتقع على كاهل عامة الناس.

رابعاً: الضمان الاجتماعي^(١)

من القوانين التي شرعها الإمام علي (عليه السلام) في هذا المجال ما ذكره في عهده لملك الأشمتري:

(١) وهي اليوم تُعد مؤسسة عمومية ذات طابع اجتماعي وإداري يتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي والانتساب إليه إجباري. أما خدماته، فهو يقدم لكل الأشخاص العاملين و ذويهم وتشمل التأمينات الاجتماعية: المرض، الولادة، العجز، حوادث العمل، الأمراض المهنية، البطالة. بتقديم أداءات نقدية وعينية. أما مداخيله، فتتحقق من الاشتراكات التي يدفعها كل من صاحب العمل والعمال الأجراء وغير الأجراء وصندوق الخدمات الاجتماعية. ويعتبر الضمان الاجتماعي مؤسسة (للادخار الإجباري).

«ثم الله الله، في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين، والمحتاجين، وأهل البؤس (شدة الفقر) والزمنى (ذوي العاهات)، فإن في هذه الطبقة قانعاً (وهو السائل)، ومعتراً (وهو المتعرض للعطاء بلا سؤال)، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، من غلات (الثمرات) صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر (الطغيان بالنعمة)»^(١).

والضمان الاجتماعي في نظام حكم أمير المؤمنين عليه السلام يشمل:
أ: الأقليات من الأديان الأخرى، فمثلاً أجرى عليه السلام راتباً من بيت المال لذلك الشيخ المسيحي الذي فقد فرصة العمل.^(٢)

(١) نهج البلاغة: ص ٤٣٦.

(٢) يقول المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظلّه) في كتابه (السياسة من واقع الإسلام): انظر إلى القصة التالية وتدير في أبعاد دلالتها، ذكر الشيخ الحرّ العاملي رحمته الله في كتاب (وسائل الشيعة): إن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يمشي في سكك الكوفة، فنظر إلى رجل يستعطي الناس: فوجه الإمام السؤال إلى من حوله من الناس قائلاً: ما هذا؟ فقالوا: إنه نصراني كبر وشاخ ولم يقدر على العمل، وليس له مال يعيش به، فيكتنف الناس. فقال الإمام عليه السلام في غضب: استعملتموه على شيابه حتى إذا كبر تركتموه؟ ثم جعل الإمام عليه السلام لذلك النصراني من بيت مال المسلمين مرتباً خاصاً ليعيش به حتى يأتيه الموت. وهذا يدل على أن الفقر كاد أن لا يرى لنفسه مجالاً في الدولة الإسلامية، حتى إذا رأى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقيراً واحداً كان يستغرب، ويعتبره ظاهرة غير طبيعية وغير لائقة بالمجتمع الإسلامي، والنظام الاقتصادي الإسلامي. ثم يجعل له من بيت مال المسلمين مرتباً يرتزق به مع أنه نصراني لا يدين بالإسلام، لكيلا يكون في البلد الإسلامي مظهر واحد للفقر والجوع. ولكي يعرف العالم، والمسلمون أنفسهم أن الحكومة الإسلامية تقضي على الفقر وترفع مستوى المعيشة.



ب: كما أن الإسلام، قد أقر على بيت المال دفع أي دين للعاجز
المدين عن تسديد دينه. وهل تجد مثل ذلك في عالم اليوم؟

ج: كما أقر على بيت المال تكفل نفقات أية زوجة لا يقدر زوجها
على الإنفاق عليها، أو أي ابن لا يقدر أبوه على الإنفاق عليه، أو أي
أب لا يقدر ابنه على الإنفاق عليه.

أما في الوقت الحاضر، فإن الضمان الاجتماعي يشمل فقط أهل
البلاد الغنية بالنفط والغاز ذات الاقتصادات المتينة، كما أنه ناقص
ومشوه، أما في البلاد الفقيرة، فإن الإنسان يفتقر إلى أبسط مقومات
الحياة اليومية، فضلاً عن ضمان مستقبل حياته.

وحتى الضمان الموجود حالياً في بعض بلادنا، فإنه قانون فضفاض
لا يقوى على مواجهة التحديات الاقتصادية والسياسية، وليس
شاملاً برعايته جميع أفراد المجتمع، إلا من ارتبط بعمل وظيفي مع
الدوائر الرسمية، ويبقى القسم الأكبر من المجتمع وهم من الكسبة
والطلاب وكبار السن والنساء الأرامل وغيرهم بلا غطاء أو ضمان
يسد حاجاتهم الأساسية.

بل مؤسسات الضمان - في كثير من الموارد - أصبحت مؤسسات
تجارية لا تفكر إلا في أرباحها.

خامساً: خلق التوازن بين الريف والحضر

إن من أهم أسباب اختلال التوازن الاقتصادي وشيوع الفقر،

اهتمام الحكومات بالمدن على حساب القرى والأرياف، مما يسبب نزوح الكفاءات والخبرات من الأرياف للمدن، نتيجة وجود فرص عمل أكثر، ووجود الراحة والرفاهية وسائر المغريات. ويسبب ذلك كله ضعف الإنتاج الزراعي وزيادة نسبة الفقر في الأرياف، وتختلف الأرياف علمياً وثقافياً أيضاً، مما ينعكس بدوره على الاقتصاد.

كان الإمام علي عليه السلام أول داعية لايجاد التوازن بين القرى والأرياف وبين المدن، إذ يقول في عهده لملك الأشتر: «فإن للأقصى منهم مثل للأدنى وكل قد استرعيت حقه»^(١).

أي إن الحقوق الاقتصادية التي للأقصى، وهم أهل الأرياف والبدوادي، هي تماماً ماثلة للحقوق التي للأدنى، وهم الحضر، «وكل قد استرعيت حقه»^(٢)، فالحاكم مسؤول عن كلا الحقين، ولا يجوز له أن يفرط بأي منهما.

وقال عليه السلام: «وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم»^(٣)، فالعناية بالريف هي سبب أساسي في الحفاظ على اقتصاد سليم ومتطور.

(١) نهج البلاغة: ص ٤٣٨.

(٢) نهج البلاغة: ص ٤٣٨.

(٣) نهج البلاغة: ص ٤٣٦.



سادساً: التكافل الاجتماعي^(١)

أرسى الإمام علي (عليه السلام) دعائم التكافل الاجتماعي، حيث إن الإسلام قد وضع أسس التكافل الاجتماعي في أبعاد عديدة، فبات ذلك من أهم عوامل مكافحة الفقر، إضافة إلى كونه عامل استقرار اجتماعي.

• قال رسول الله ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع»^(٢).

• وقال ﷺ: «وليس بمؤمن من بات شبعان ريان، وجاره جائع ضمآن»^(٣).

يقول الإمام الشيرازي رحمته الله في (الفقه: الاقتصاد) وهو المجلد ١٠٧

(١) يقصد بالتكافل الاجتماعي: أن يكون أفراد المجتمع مشاركين في المحافظة على المصالح العامة والخاصة ودفع المفسد والأضرار المادية والمعنوية بحيث يشعر كل فرد فيه أن عليه واجبات إزاء الآخرين كما له حقوق، ويكون له شعور بالمسؤولية إزاء الذين ليس باستطاعتهم أن يحققوا حاجاتهم الخاصة وذلك بليصال المنافع إليهم ودفع الأضرار عنهم.

التكافل الاجتماعي في الإسلام يتحقق في المجتمع الذي يطبق الإسلام عقيدة وشرعية ونظاماً وسلوكاً وفقاً لما جاء به الكتاب والسنة الشريفة، وكما جاء في سيرة الرسول الأكرم وأمر المؤمنين (صلوات الله عليهم)، ذلك أن الإسلام أهتم ببناء المجتمع المتكامل وحشد في سبيل ذلك جملة من النصوص والأحكام لإخراج الصورة التي وصف بها الرسول ﷺ بقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٨.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٨، ص ٤٢٨.

من موسوعة (الفقه) ص ٢٩٨ :

هذا الحديث إما أخلاقي يراد به الإيمان الكامل، أو فقهي يراد به مع
الضرورة، كما في عام المخصصة حيث له أن يأخذ قدر حاجته الضرورية
مع البذل، وإن لم يستطع فالبذل والضمان على بيت المال).

ويضيف سماحة الإمام الراحل قَدْشُ: (إذا اقترض فإنه مسؤول عن
التسديد إلى سنة، وإن لم يستطع فعلى بيت المال).

• قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(١).

ومن أبرز مصاديق البر^(٢): ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾^(٣) يَتِيمًا ذَا
مَقْرَبَةٍ^(٤) أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ^(٥).

• أقر الإسلام قانون تكفل الزوج لنفقات الزوجة.

• قرر تكفل الأب لنفقات أولاده ماداموا محتاجين.

• قرر تكفل الابن لنفقات والديه ما داموا محتاجين.

كل ذلك بمعنى محاصرة الفقر من كافة أطرافه، فإن الزوجات
والآباء والأبناء يشكلون أكثرية المجتمع.

وكان ذلك كله مطبّقاً في حكومة الإمام علي (عليه السلام)^(٦).

(١) سورة المائدة: ٢.

(٢) كما حض الإسلام أشد الحض والحث على (المواساة) و(الايثار) في المنات من الآيات والروايات.
يراجع في ذلك (فقه التعاون) للمؤلف.

(٣) سورة البلد: ١٤-١٦.

(٤) ولمن يريد المزيد، مراجعة كتاب (أمير المؤمنين عليه السلام) شمس في أفق البشرية) للإمام الشيرازي
الراحل قَدْشُ، وكذلك (الفقه: الاقتصاد)، للإمام الشيرازي قَدْشُ، وكتاب (السياسة من واقع الإسلام)



سابعاً: وضع معايير موضوعية للمسؤولين الاقتصاديين والزامهم بها
وضع الإمام علي عليه السلام أسساً وضوابط دقيقة هامة لكافة من يدير
الشأن الاقتصادي في البلاد: من حاكم ووالٍ - وذلك يعني أيضاً كل
من له صلاحيات اتخاذ قرارات مصيرية في شأن اقتصاد الناس مثل:
محافظ البنك المركزي في يومنا هذا - .
ومن الضوابط:

١: أن لا يكون بخيلاً، ومن الواضح أن البخيل يميل إلى ملاء خزائن
الدولة ورفع نسبة (الاحتياطي)^(١)، حتى وإن بررها بفلسفة اقتصادية^(٢)،
بل ويحاول عرقلة أية طريقة تهدف إلى بذل الأموال للناس، فهو يعادي
التأمين الصحي، ويعارض زيادة الإنفاق على التعليم، بل و يسعى
دوماً لتقليص نسبة ميزانية كافة الأمور الإنسانية لصالح زيادة ميزانية
التسلح!

والولايات المتحدة الأميركية تصلح مثلاً، والكثير من أنظمة الدول

للمرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظلّه).

(١) اسم منسوب إلى (احتياط). وهو ما يُذخَّر تحسُّباً للظوارئ، أو ما يكون تحت الطَّلب عند الحاجة
(الاحتياطي الدولي)، (مال احتياطي).

(٢) فإن الاحتياطي الحقيقي هو في عمارة الأرض وتشبيد المصانع والمعامل، وارتفاع مستوى
التعليم وكسب ثقة الناس في الحكومة وما إلى ذلك، أما النقد فإنه يكتفى منه بالأقل الأقل اللازم من
الاكتناز، بل لو كانت الدولة صالحة فإن (النقد) بأيدي الناس سيكون هو الخلفية والسند من غير
حاجة إلى (الكنز) أبداً.

الإسلامية نموذجاً^(١).

٢: أن لا يفتقر إلى الخبرة وعلى أرقى المستويات.

٣: ولا يكون جافياً.

٤: ولا يكون حائفاً لأطراف داخلية وخارجية، أي يكون مائلاً ومتعاطفاً مع هذه الشركة أو تلك المؤسسة أو الحزب أو حتى الشخص.

٥: ولا يكون مرتشياً^(٢)، وواضح أن المرتشي يحابي الأغنياء على حساب الفقراء، فبدل أن يعطي مناقصات الدولة - مثلاً - للشركة أو للجهة التي تقدم أفضل الإنتاج وأرخص الأسعار، يعطي المناقصة للجهة التي تقدم له مالاً أكثر أو دعماً سياسياً أو ما أشبهه وإن كانت غير الأفضل، مما يعني ضربة مزدوجة للاقتصاد والفقراء.

يقول الإمام عليه السلام: «وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين: البخيل، فتكون في أموالهم نهمته. ولا الجاهل فيضلمهم بجهله. ولا الجاني فيقطعهم بجفائه. ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم. ولا المرتشي في الحكم»^(٣).

وهناك أحاديث كثيرة ترشدنا إلى ضرورة وجود معايير موضوعية

(١) تشير المعلومات الصادرة عن تقرير لجنة الأبحاث في الكونغرس الأميركي أن حجم إنفاق دول الخليج على التسليح في العام المنصرم ٢٠١٠ قد تجاوز ١٠٥ مليارات دولار أميركي بزيادة تبلغ ١١ مليار دولار عن العام الذي سبقه ٢٠٠٩، وللتفصيل (راجع الملحق ٥/٢٦٩).

(٢) الرشوة نوع من الفساد، يُطلق على دفع شخص أو مؤسسة مالاً أو خدمة من أجل الاستفادة من حق ليس له، أو أن يعفي نفسه من واجب عليه.

(٣) نهج البلاغة: ج ٢ ص ١٤.



للحكام والمسؤولين، وضرورة إلتزام المسؤولين بها، وان على الحكام أن لا يسيئوا استغلال موقعهم السياسي، في البعد الاقتصادي الشخصي.

ولنقتصر في هذه العجالة، على هذا الخبر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكيف كان يحتاط بأبلغ الاحتياط عن ان يترك موقعه السياسي والحكومي أدنى تأخير في (محابة) التجار والحرفيين، له:

عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال عليه السلام: «ثم أتى دار فرات وهو سوق الكرابيس فقال: يا شيخ، أحسن بيعي في قميصي بثلاثة دراهم، فلمّا عرفه لم يشتر منه شيئاً، ثم أتى آخر، فلمّا عرفه لم يشتر منه شيئاً فأتى غلاماً حدثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم ولبسه ما بين الرسغين^(٤) إلى الكعبين - إلى أن قال - فجاء أبو الغلام صاحب الثوب فقيل: يا فلان، قد باع ابنك اليوم من أمير المؤمنين قميصاً بثلاثة دراهم قال: أفلا أخذت منه درهمين؟ فأخذ أبوه درهماً وجاء به إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو جالس على باب الرحبة ومعه المسلمون فقال: امسك هذا الدرهم يا أمير المؤمنين، قال: ما شأن هذا الدرهم؟ قال: كان ثمن قميصك درهمين. فقال: باعني برضاي وأخذت برضاه»^(٥).

إن على الحكام وذوي النفوذ، أن لا يسيئوا استغلال موقعهم

(٤) اي: المفصل بين الساق والقدم، راجع لسان العرب: ج ٨ ص ٤٢٨.

(٥) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٣٢ ب ٩٨ ح ١٤، مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٢٤٨.

ومنصبتهم ونفوذهم، في العقود والمعاملات وخاصة في (المناقصات) حيث جرت عادة ذوي النفوذ على دفع رشايي كبيرة لمسؤولين في الدولة، كي ترسو المناقصة، عليهم.

وإن علياً عليه السلام، يعطينا درساً وأيّ درس بموقفه النادر هذا، وهذا الموقف قد يبدو بسيطاً ظاهرياً، إلا أنه يشكل منهجاً مثالياً، لو سار عليه الحكام، ولو ضغط عليهم عامة الناس لينتهجوه، لتغيرت حياة الأمة الاقتصادية، ولاختفى سبب من أهم أسباب الفقر.

ثامناً: تكريس مبدأ المساءلة والمحاسبة^(١)

لقد كرّس الإمام علي عليه السلام مبدأ المساءلة والمحاسبة والشفافية، بل وفتح باب عزل الحاكم فيما إذا خرج عن النهج الاقتصادي أو السياسي السليم الذي يعطي الناس حقوقهم.

قال عليه السلام:

«ثم تفقد أعمالهم وابتعث العيون من أهل الصدق والأمانة عليهم»^(٢).

ويعد هذا من أهم الفروق بين الإسلام وبين الأنظمة المستبدة، فيما يتعلق بالمراقبة عن بُعد، ففي الإسلام وعلى ضوء منهج الإمام

(١) يعد هذا العامل من أهم عوامل (الحفاظ) على الثروة، كما يصب بالمال إلى تنمية الثروة، وإن لم يعد عامل إيجاد للثروة.

(٢) نهج البلاغة: ج ٢ ص ٩٦.



علي عليه السلام فإن العيون (الجواسيس) يكونون على الحكام والمدراء ومسؤولي الاقتصاد، لصالح الناس.

أما في الأنظمة المستبدة فعلى العكس تماماً، فإن العيون والجواسيس توضع على الناس لعد أنفاسهم لصالح الحكام والولاة والمسؤولين!

ولنقرأ كامل القانون العلوي عليه السلام كما عهدته للأشتر:

«ثم تفقد أعمالهم، وابتعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأموهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية، وتحفظ من الأعوان فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة».

وهنا كلام طويل في التعليق على فقرات هذا الحديث العظيم تركه لمجال آخر.

تاسعاً: تنشيط حركة الأموال

كلما تحركت رؤوس الأموال أكثر، شهد الاقتصاد نشاطاً وحيوية أكثر، وتوفرت السهولة بيد الناس، وجرت التعاملات بسهولة أكثر، وانخفض التضخم.

أما اكتناز الأموال^(١) فهو يجمدها ويمنع الثروة من الحركة أولاً، ويقلل أو يبطئ من دورات رأس المال ثانياً، ولذلك حاربه الإسلام بشدة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُوْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٢).

ولمست حرمة الاكتناز منحصرة في الذهب والفضة، بل هما من أبرز الأمثلة والمصاديق على ذلك، والدول الآن تقوم بهذه العملية الخطيرة وهي تكديس الأموال باسم (الاحتياطي) حيث تتجمد المليارات بل مئات المليارات، وهنا يكون الإشكال مضاعفاً، كون هذه الأموال الضخمة تكون بيد بيروقراطية إدارية^(٣).

بينما نجد في المنهج الاقتصادي للإمام علي عليه السلام: أن الأموال التي تجبى من الضرائب أو غيرها، يجب أن تعطى للناس فوراً، ومن هنا لم يكن الإمام علي عليه السلام يستبقي أموال بيت المال حتى لليلة واحدة، بل كان يوزعها في نفس اليوم، وفي المساء كان يكنس بيت المال، للدلالة على عدم بقاء شيء.

(١) الاكتناز hoarding هو جمع المال وتكديسه والاحتفاظ بالتراكم منه نقداً سائلاً مدة زمنية غالباً ما تكون طويلة، والكنز في اللغة هو المال المدفون. وبذلك يظل المال المكتنز مجمداً بعيداً عن التداول، ومن دون فائدة مباشرة أو نفع اقتصادي.

(٢) سورة التوبة: ٣٤.

(٣) البيروقراطية أو (الدواوينية) هي مفهوم يستخدم في علم الاجتماع والعلوم السياسية يشير إلى تطبيق القوانين بالقوة في المجتمعات المنظمة. وتعتمد هذه الأنظمة على الإجراءات الموحدة وتوزيع المسؤوليات بطريقة هرمية والعلاقات الشخصية. وللتفصيل (يراجع الملحق ٦/ ٢٧٠).



هذا النهج يؤدي إلى أن تصب كل هذه الأموال في جيوب عامة الناس ومنهم الفقراء، مما يحد من نسبة الفقر بشكل كبير في المجتمع أولاً، ثم يزيد من سرعة حركة رأس المال في عجلة الاقتصاد، إضافة إلى تأثيره الإيجابي الآخر على وضع الدولة والناس، إذ أن إعطاء الأموال كلها للناس يوفر لهم فرصاً أكبر لاستثمار الأرض، بالبناء والزراعة والرعي وتشييد المصانع وإحياء المعادن وسائر الثروات مما يعني مردوداً مالياً أكبر للناس، وبالنتيجة وارداً أكبر من الضرائب - على فرض صحتها - للدولة التي تصب مرة أخرى في جيوب الناس.

وهكذا نجد أن صب (الاحتياطي) من العملة الصعبة أو الذهب في أيدي الناس، يوفر إمكانية هائلة مباشرة وغير مباشرة للقضاء على الفقر، ويزيد من رصيد وقوة الدولة والشعب، لأنه يرفع من الناتج المحلي الإجمالي بشكل كبير، وهذا هو (الاحتياطي الحقيقي الفاعل) وهذا هو الذي يشكل القاعدة الاقتصادية الأكبر لدعم العملة.

ويرى بعض الباحثين أن ضرورة تنشيط حركة رأس المال وتسريع دورانه، كانت من الأسباب الرئيسية وراء القرار الذي اتخذه رسول الله محمد المصطفى ﷺ، عندما حول نظام تبادل البضائع، إلى النظام النقدي وجعل المقياس؛ الذهب والفضة، كما أنه ثبت قيمة العملة أيضاً، فقرر: (مئقال الذهب = دينار)، و(مائة دينار = جمل)^(١).

(١) لكن هذه الدعوى بحاجة إلى تحقيق أكثر من حيث (صغرى القضية).

وواضح أن النظام النقدي^(١) ووجود واسطة سهلة الحمل والنقل والتداول، وصالحة لأن تتحول إلى كل بضاعة وبالعكس، أسرع وأكثر جدوائية لحركة الأموال والقضاء على التضخم، من طريقة تبادل البضاعة بالبضاعة، مما يبقي حاجات كثيرة معطلة أو مؤجلة، كما قد يتسبب في فساد بضائع كثيرة خلال عملية التعامل.

عاشراً: تقليص ساعات العمل^(٢)

لقد دعا الإسلام إلى تقليص ساعات العمل بطريقة مباشرة وغير مباشرة، وهذا يعني توفر مساحة أكبر للقراء للمشاركة في الإنتاج لانتشال أنفسهم من الفقر، وقد سلكت فرنسا أخيراً هذا المسلك. فقد قالت وكالة الإحصاء القومي في فرنسا: إن (قانون العمل) الذي قلص ساعات العمل من ٣٩ ساعة بالأسبوع إلى ٣٥ ساعة أتاح ٣٥٠ ألف فرصة عمل منذ بدأ تطبيقه عام ١٩٩٨ حتى ٢٠٠٢، علماً بأن توقعاتهم كانت توفير ٦٠٠ ألف فرصة عمل، أما البطالة فقد تراجعت إلى نسبة ١٠٪ حسب وكالة (الأسوشيتد برس)، لكن البرلمان الفرنسي الذي

(١) جاءت اتفاقية مؤتمر بريتون وودز لبتقرر فيها النظام الجديد للنقد الدولي، فكان لا بد من مؤسسة عالمية، تكون مسؤولة عن الإشراف على تنفيذ اتفاقية بريتون وودز، كما تكون مسؤولة عن انضباط المعاملات النقدية والمالية، ووضع قاعدة ثابتة تنضبط بها أسعار صرف العملات، كما أن لهذه المؤسسة حق المراقبة على حسن سير نظام النقد الدولي الجديد، لكن الذي حدث مع مرور الوقت هو اختلال بعض دعائم هذه الاتفاقية ووقوع العالم في أزمات نقدية أخرى.

(٢) تقليص ساعات العمل، يوفر فرص عمل للملايين من العاطلين عن العمل، لذا اعتبرناه من عوامل توفير المال للمحرومين، كما أنه يخفف الضغط على العمال والموظفين.



يسيطر عليه المحافظون عدل القانون بعد ذلك. والنقص في قانون العمل الفرنسي أنه لم يتم بعلاج المشكلة بأطرافها أي أنها كانت مفردة واحدة.^(١)

والإمام علي عليه السلام دعا إلى تقليص ساعات العمل عبر طرق عديدة:
١: التحريض على الخروج مبكراً من السوق.

٢: الالتزام بالصلوات في أوقاتها مما يعني الخروج من السوق مرتين أو أكثر يومياً.

٣: التحريض على تخصيص قسم جيد من الوقت للعبادة وللعائلة وللأصدقاء وللنزهة، ففي الحديث:
«ينبغي للعاقل إذا كان عاقلاً أن يكون له أربع ساعات من النهار، ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه...»^(٢).

الحادي عشر: المرونة في الضرائب^(٣)

تعد الضرائب المجحفة من أهم عوامل الفقر، وقد ذكرنا في بند آخر، أن من أسباب الفقر فرض الضرائب على الاستهلاك، لا على الأرباح، والإسلام قد فرض الضرائب على الأرباح كما في الخمس والزكاة والخراج لا على الاستهلاك كما هو واضح.

(١) CNN العربي بتاريخ ٢٥ \ ٦ \ ٢٠٠٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٣١، روضة الواعظين: ص ٤.

(٣) المرونة في الضرائب، تعد من عوامل الحفاظ على الحد الأدنى من أموال الفقراء، وثورات الطبقة الوسطى.

وهنا نقول:

إن من الحلول - إضافةً إلى ضرورة أن تكون الضرائب على الأرباح لا على الاستهلاك - أن يتسم النظام الضرائبي بالمرونة، إذ يجب أن تنخفض نسبة الضرائب كلما انخفضت نسبة الأرباح، وهو ما ينسجم مع العقل، وفي ذلك نطالع نص القانون الإنساني الذي أصدره أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال:

«فإن شكوا» أي أهل الخراج الذين تأخذ منهم الضريبة. «ثقلًا أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خفقت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم»^(١).

ولأن الإمام عليه السلام يعرف بثاقب نظره أن الولاة والحكومات يصعب عليهم - بل يكاد يمتنعون - عن تخفيف الضرائب، أضاف:

«ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم»^(٢)، والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم، ورفقك بهم، وربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد، احتملوه طيبة أنفسهم به، فإن العمران محتمل ما حملته،

(١) (ثقلًا): مثل آفة ضربت الزراعة أو أمراض أنقلتهم عن الإنتاج الوفير. (علة): كعلة سماوية أضرت بالزراعة، (انقطاع شرب): أي الماء الذي يسقى به الزرع، (انقطاع بالة): أي ما يبيل الأرض من ندى ومطر، (إحالة أرض): أي تحويلها البذور إلى بذور فاسدة بالتعفن.

(٢) الاجمام: الترفيه والإراحة.



وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشرف أنفس
الولاء على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبير»^(١).

الثاني عشر: توفير الحريات

إن الأصل في الإسلام الحرية، فقد عدَّ الله تعالى من أهم
أهداف بعثة الرسول ﷺ: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي
كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(٢).

وقال الإمام علي (عليه السلام): «أبها الناس، إن آدم لم يلد عبداً ولا أمة، وإن
الناس كلهم أحرار»^(٣).

وقال (عليه السلام): «من توفيق الحر اكتساب المال من حله»^(٤).

وقال (عليه السلام): «الحرية منزهة عن الغل والمكر»^(٥).

وقال (عليه السلام) أيضاً: «من أوحش الناس تبرأ من الحرية»^(٦).

ولذا فإن الحرية هي العامل الأول في النمو والازدهار الاقتصادي،
ولذلك نجد الإمام الشيرازي الراحل رحمه الله أفتى بحرمة كل ما يتسبب
في خفض الإنتاجية.^(٧)

(١) نهج البلاغة: عهده (عليه السلام) للأشتر.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٣) الكافي: ج ٨ ص ٦٩.

(٤) غرر الحكم: ص ٣٥٤.

(٥) غرر الحكم: ص ٢٩١.

(٦) غرر الحكم: ص ٢٠٤.

(٧) راجع (قراءات في فكر الإمام الشيرازي) على موقع (معهد الامام الشيرازي للدراسات) حيث

وقال قَدَسُ فِي (الفقه العولمة):

(يحرم أي قانون أو تخطيط يسبب تحجيم وتقليل الإنتاج زراعياً
كان أم صناعياً، ويحرم تخطيط وتنفيذ ما يضر بالإنسان أو يחדش
كرامته ولو بتقليل دخله اليومي)^(١).

كما أن الحرية تُعد العامل الأساسي في تفجر الطاقات وظهور
المواهب والإبداعات، مما يعني فرصة أكبر للابتكار، ومساحة أوسع
للعمل التكنولوجي، زراعياً وصناعياً، وبالنتيجة تكون الفرصة أكبر
لمكافحة الفقر بشكل أقوى وأسرع.

ومن يريد التفصيل في هذا الموضوع فليراجع (الفقه: الحريات)

يقول: إغراق السوق يعني تصدير خدمات أو سلع إلى السوق في دولة أخرى وبسعر أقل من التكلفة أو
سعر المائل في الدولة المستوردة. ويمكن أن يؤدي الإغراق إلى تسريح العمال والموظفين وإقفال المصانع
وأفلاسها وانخفاض في الإنتاج واضطرابات اقتصادية واجتماعية وسياسية كبيرة، لذلك يعتبر
الإغراق من نشاطات المنافسة غير العادلة والمخالفة للإنصاف، ولذلك يواجه معارضة حكومة البلد
المستورد وشركائه.

يقول الإمام الشيرازي الراحل رحمه الله في كتابه (فقه المرور) ص ١٧٦ — ١٧٧: التجارة حرة باستثناء
تجارة المحرمات وتجارة المواد الضارة كالخدرات، وليس شيء في بلاد الإسلام يسمى بالتهريب وما
أشبهه ذلك، نعم هناك مسألة «لا ضرر» حيث يلزم على التاجر أن لا يستورد ولا يصدر ما يوجب ضرر
المسلمين، أو ضرر غير المسلمين الساكنين في بلاد الإسلام، كما أنه لا يحق للإنسان أن يستورد ما فيه
ضرر على المسلمين كإجابه تعطيل العاملين. ولا يحق أيضاً للإنسان أن يصدر ما يوجب ضرراً على
المسلمين أو غير المسلمين كإجابه ارتفاع الأسعار الضار أو ما أشبهه ذلك. هذا وإن الجمارك والمكوس
حرام قطعاً، وأخذ المال من الناس بالباطل تحت أي اسم كان موجب للضمان، ويعزر الفاعل بالعقوبة
الإسلامية مع العلم والعمد.

(١) الفقه العولمة، للإمام الشيرازي: ص ٢١٦.



و(الفقه: الاقتصاد) و(الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام)، للإمام الشيرازي الراحل قَدَّمَ حيث برهن أن الحريات الاقتصادية في عالم اليوم لا تصل إلى ١٠٪ من الحريات الاقتصادية التي منحها الإسلام.^(١)

(١) يقول المرجع الديني الراحل الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي قَدَّمَ: الحرية في الإسلام حق قبل كل شيء، والذي يظهر للمتتبع أن الحريات الممنوحة في الإسلام مائة في المائة، بينما الحريات الممنوحة في العالم المسَمَّى بـ (العالم الحر) عشرة في المائة أو أقل منه. فقد أعطى الإسلام للإنسان حرية الفكر، وحرية القول، وحرية العمل، لكن في الإطار المعقول الصحيح، من عدم الإضرار بالآخرين وعدم الإضرار البالغ بالنفس حتى أن الأكل والشرب المضرين ضرراً بالغاً لا يجوز أن يُضار بهما لأنهما إضرار بالنفس، والسبب بالقول، والضرب ونحوهما غير جائزة لأنها إضرار بالآخرين، والاستفادة من مواهب الحياة أكثر من القدر الصحيح لا يجوز، لأنه إضرار بالأجيال القادمة.

فالحرية - إذًا - عامة لجميع الناس حتى الكفار، في مختلف أنواع الحقوق. منها: الحرية الفكرية، أي حرية البحث والمناقشة في البحوث العلمية والبحوث الدينية. ومنها الحرية الاقتصادية، أي حرية الاكتساب بجميع أنحائها. ومنها الحرية الدينية، أي التسامح نحو الأديان الأخرى. ومنها: الحرية السياسية التي تتناول العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وإن الحاكم يجب أن يكون باختيار الأمة وبمن يتوفر فيه رضى الله سبحانه وتعالى وسائر الشروط الإسلامية وهي كلها شروط يؤكد عليها العقل كأن يكون عالماً بالغاً عادلاً، إلى غير ذلك مما ذكره الفقهاء في أول مباحث التقليد. وقد ذكرنا جملة من الروايات المرتبطة باختيار الحاكم في كتاب: (الحكم في الإسلام) وفي غيره من بعض كتبنا الإسلامية وهناك مائة نموذج للحريات الإسلامية تذكر عناوينها هنا فمن الحريات الإسلامية:

- ١: حرية العبادة في أي مكان، صلاةً وصوماً وطهارةً وذكرًا لله، وقراءة القرآن، ودعاءً لله. أما الصلاة ففيها الحرية المطلقة، وقد قال النبي ﷺ: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً). ٢: والحرية في البيع.
- ٣: والحرية في الشراء. ٤: والحرية في الرهن. ٥: والحرية في الضمان. ٦: والحرية في اختراع أي عقد جديد لم يمنع عنه الشارع. ٧: والحرية في الكفالة. ٨: والحرية في الصلح. ٩: والحرية في التأمين.
- ١٠: والحرية في الشركة. ١١: والحرية في المضاربة. ١٢: والحرية في المزارعة. ١٣: والحرية في المساقاة.
- ١٤: والحرية في حيازة الأرض. ١٥: والحرية في حيازة المباحة. ١٦: والحرية في الوديعة. ١٧: والحرية في العارية. ١٨: والحرية في الإجارة. ١٩: والحرية في الوكالة. ٢٠: والحرية في الوقف. ٢١: والحرية في

الصدقة. ٢٢: والحرية في العطفية. ٢٣: والحرية في الهبة. ٢٤: والحرية في السكنى. ٢٥: والحرية في العمران. ٢٦: والحرية في السبق. ٢٧: والحرية في الرماية. ٢٨: والحرية في الوصية. ٢٩: والحرية في النكاح للرجل وللمرأة دوماً وانقطاعاً. ٣٠: والحرية في الطلاق. ٣١: والحرية في الخلع. ٣٢: والحرية في الرضاع. ٣٣: والحرية في السفر. ٣٤: والحرية في الإقامة. ٣٥: والحرية في فتح المحل. ٣٦: والحرية في الإقرار. ٣٧: والحرية في الجمالة. ٣٨: والحرية في الطباعة. ٣٩: والحرية في قدر المهر وسائر الخصوصيات المرتبطة بالنكاح. ٤٠: والحرية في امتهان أبة مهنة شاءها الإنسان. ٤١: والحرية في الثقافة بأن يطلب العلم النافع له وللبشر وللحيوان والنبات وغير ذلك فينتهي إلى أن يكون طبيباً أو مهندساً أو محامياً أو خبير سياسة أو اقتصاد أو غير ذلك، أو أن يكون فقيهاً أو خطيباً أو مؤلفاً أو نحو ذلك. ٤٢: الحرية في العهد. ٤٣: الحرية في اليمين. ٤٤: الحرية في النذر. ٤٥: الحرية في تناول الأطعمة المحللة بأي كيفية شاء. ٤٦: الحرية في إحياء الموات. ٤٧: الحرية في الأخذ بالشفعة. ٤٨: الحرية في الإرث بأن يكون الإرث للورثة على ما بيّنه الرسول ﷺ وحسب الموازين الإسلامية، فقد قال: (من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ، ومن ترك مالا فلورثته). والمراد بالضياع العائلة التي لا كفيل لها، بينما القوانين الوضعية تجعل جملة من الإرث - قد تصل أحياناً إلى تسعين في المائة - من نصيب الحكومة كما هو معروف. ٤٩: الحرية في المراجعة إلى أي قاض شرعي. ٥٠: الحرية في الشهادة والاستشهاد. ٥١: الحرية في اختيار الدية، أو القصاص، أو العفو في الموارد الخاصة. ٥٢: الحرية في الزراعة. ٥٣: الحرية في الصناعة. ٥٤: الحرية في العمارة. ٥٥: الحرية في كون الإنسان بدون جنسية ولا هوية وما أشبه من الرسوم المتعارفة الآن. ٥٦: الحرية في إصدار الجريدة. ٥٧: الحرية في إصدار المجلة. ٥٨: الحرية في امتلاك محطة الإذاعة. ٥٩: الحرية في امتلاك محطة التلفزيون للبيت.

٦٠: الحرية في العمل. ٦١: الحرية في إبداء الرأي. ٦٢: الحرية في التجمع. ٦٣: الحرية في تكوين النقابة. ٦٤: الحرية في إنشاء الجمعيات. ٦٥: الحرية في إنشاء المنظمة. ٦٦: الحرية في إنشاء الحزب. ٦٧: الحرية في الانتخاب. ٦٨: الحرية في الإمارة. ٦٩: الحرية في الولاية. ٧٠: الحرية في السفارة. ٧١: الحرية في انتخاب أبة وظيفية من وظائف الدولة. ٧٢: الحرية من جهة عدم جواز رقابة الحكومة على الناس بأجهزة الإنصات والتليفون أو ما أشبه من أساليب المباحث والبوليس السري. ٧٣: الحرية في إنجاب أي عدد من الأولاد. ٧٤: والحرية في عدد الزوجات إلى أربع على نحو الدوام، أو أكثر على نحو الانقطاع. ٧٥: والحرية في العقيدة، قال سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. ٧٦: والحرية في كيفية الأكل والشرب واللباس وما أشبه. ٧٧: والحرية في الذهاب والرجوع من البيت وإلى البيت ليلاً أو نهاراً في قبال أن بعض البلاد كموسكو ونحوها من بلاد الشيوعيين لا حرية للإنسان فيها أن يسافر إلا



الثالث عشر: على الدولة.. التخطيط والإشراف لا الإنتاج

يجب على الدولة أن تضطلع بمهمة حفظ النظام، ومراعاة العدل،
والتخطيط لازدهار الاقتصاد

وفي نفس الوقت عليها أن تتجنب أي دور اقتصادي يُعد بديلاً
عن دور الناس؛ شركات و أفراداً.

وعلى ذلك فإن (التأميم)^(١) الذي يحصر ممتلكات البلد بيد

بمقدار خاص، وكذلك لا حرية في أيام منع التجول في سائر البلاد. ٧٨: الحرية في بناء المساجد. ٧٩:
والحرية في بناء المدارس. ٨٠: والحرية في بناء الحسينيات. ٨١: والحرية في بناء المستشفيات. ٨٢:
والحرية في بناء المستوصفات. ٨٣: والحرية في بناء دور النشر. ٨٤: والحرية في بناء دور الثقافة. ٨٥:
والحرية في بناء المخانات والفنادق. ٨٦: والحرية في بناء دور الولادة. ٨٧: والحرية في بناء دور العجزة. ٨٨:
والحرية في فتح البنوك. ٨٩: والحرية في الدخول في اتحاد الطلبة. ٩٠: كما أن للإنسان الحرية في الخروج
من أية مؤسسة أو وظيفة أو ما أشبه إلا إذا ربط نفسه بشرط ونحوه. ٩١: الحرية في اختيار نوع أثاث
الدكان والمنزل وما أشبه. ٩٢: الحرية في انتقاء أي نوع من أنواع السيارات ونحوها. ٩٣: والحرية في
كيفية المعاملة. ٩٤: والحرية في الإقراض والاقتراض. ٩٥: والحرية في إعطاء التولية في الوقف ونحوه
لأي أحد. ٩٦ - والحرية في جعل الاسم لأي شخص، أو لأي محل مرتبط به، فلا يرتبط جعل الاسم
بإجازة الدولة كما هو المتعارف في كثير من البلاد الآن. ٩٧: الحرية في فتح حقول الدواجن. ٩٨: والحرية
في تقليد أي مرجع شاء جامع للشرائط. ٩٩: والحرية في انتخاب أي خطيب أراد. ١٠٠: والحرية في
تسجيل العقد ونحوه عند أي عالم في مقابل عدم الحرية في ذلك بالنسبة إلى غالب الدول حيث يقيدون
الإنسان بتسجيل عقده ونحوه عند دائرة خاصة. إلى غيرها من الحريات الكثيرة الموجودة في الإسلام.
راجع كتاب الصياغة الجديدة على موقع الامام الشيرازي على الانترنت.

(١) التأميم هو نقل ملكية قطاع معين إلى ملكية الدولة أي تحويله إلى القطاع العام. وهي مرحلة
تمر بها ما تسمى بالدولة المستقلة عادة في إطار عملية نقل الملكية وإرساء قواعد السيادة بحيث تقوم
الدولة بإرجاع ملكية ما يراد تأميمه إلى نفسها. كما أنها عملية تستمر كثيراً لإرجاع المباحث

الحكومة، يُعد خطأ فاحشاً، كما أن تدخل الدولة في الإنتاج المباشر هو خطأ آخر، علماً أن فكرة (التأميم) نشأت لتكون وسيلة تخلص الشعوب من سيطرة الاستعمار القديم على ثرواتها المعدنية والزراعية وغيرها، لاسيما النفط، لكن نجد الأمر انقلب على الشعوب ليكون نقمة بدلاً من أن يكون نعمة. إذ الواجب أن تكون (ملكية) كل ثروة عائدة للناس، وأما إدارة بعض الثروات الكبرى التي يعجز عنها أحاد الناس، فالواجب أن تكون بيد ممثلين عن الناس، ينتخبونهم، لا بيد الحكومة.^(١)

كل ذلك أدى إلى تزايد الفقر، وقد قال الإمام علي عليه السلام في عهده
لمالك الأستر:

«ثم استتوص بالتجار وذوي الصناعات و أوص بهم خيراً.. وتفقد
أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك..»
وقال عليه السلام: «وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله»^(٢).

فمسؤولية الحاكم الرعاية وتوفير الأمن الاقتصادي والعناية
بسلامة مسيرة عملية الإنتاج، لا التدخل المباشر في إنتاج السلع أو
الخدمات.

الاصلية (كالمعادن والمعادن) للدولة.

(١) يراجع تفصيل ذلك، في كتاب (ملامح العلاقة بين الدولة والشعب) للمؤلف، والفقهاء الحنابلة، والفقهاء الدولة الإسلامية، والفقهاء الاقتصاد، وغيرها.

(٢) نهج البلاغة ص ٤٣٦.



ولهذا البحث كلام طويل جداً، يمكن متابعته في (الفقه: السياسة)، و(الفقه: الاقتصاد) و(الفقه: الحقوق)، و(الفقه: الدولة الإسلامية)، للإمام الشيرازي الراحل قَدَّسَ.

هذا كله من جانب، ومن جانب آخر فان على (الحكام) و(الوزراء) و(الولاة) ونظائرهم، أيضاً أن يعملوا، وعندئذ سترفع عن ميزانية الدولة أعباء مالية كبيرة أولاً، وسيعرف الحكام والولاة قيمة العمل والعمال أكثر فأكثر مما سيبعثهم على السعي الجاد لتحسين فرص العمل وظروفه، ثانياً، كما ان ذلك سيزيد حب الشعب لحكامه والتفافه حولهم، مما يسبب استقرار البلاد واستتباب الأمن، والذي سينعكس بدوره على تحسين فرص الانتاجية الاقتصادية، ثالثاً.

والروايات التي تحرض الحكام على العمل كثيرة، كما ان التاريخ يتحدثنا عن (عمل) بعض الولاة الصالحين، وهذه إشارة سريعة لنموذج منها:

على الحكام أيضاً العمل

فقد ورد في التاريخ انه كان سلمان يسفّ الخوص - وهو أمير المؤمنين على المدائن - وبيعه ويأكل منه ويقول: لا أحب أن أكل إلاّ من عمل يدي وقد كان تعلم سفّ الخوص من المدينة.^(١)

ان على (الحكام) و(الولاة) و(الوزراء) والمسؤولين، أيضاً (العمل)، ولو

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٦٠ ب ٢٦ ح ١.

عملوا جميعاً وعاشوا من كدّ أيديهم، لما كَبَدُوا ميزانية الدولة الكثير الكثير، فإن الملايين بل مئات الملايين - في بعض الدول - يتكبدوا بيت المال وخزانة الدولة، من نفقات المسؤولين، وكم كان ذلك سموفر على الفقراء من الأموال؟!!

سُفَّ الخوص ولا تغصب أموال الآخرين

في كتاب من سلمان مولى رسول الله ﷺ إلى عمر بن الخطاب فيه: وأما ما ذكرت أنني أقبلت على سفِّ الخوص وأكل الشعير فما هما بما يعير به مؤمن ويؤنَّب عليه، وإيم الله، يا عمر، لأكل الشعير وسفِّ الخوص والاستغناء به عن رفيع المطعم والمشرب وعن غضب مؤمن حقّه وأدعاء ما ليس له بحق، أفضل وأحبّ إلى الله ﷻ وأقرب للتقوى، ولقد رأيت رسول الله ﷺ إذا أصاب الشعير أكل وفرح به ولم يسخطه. (١)

وههنا حقائق:

١- العمل شريف مهما بدا متواضعاً - بل وحتى محتقراً - في أنظار الناس.

٢- من يتعالى عن العمل، بدعوى دناءته، كثيراً ما يسقط في شرك الربح المحرم، إذ يحاول أن يسلك أسهل السبل إلى الثراء فلا يجد إلا الغش والتدليس أو الغصب والسرقعة، أو الاحتكار ورفع الأسعار، ولذا قال سلمان (... لأكل الشعير وسفِّ الخوص والاستغناء به عن

(١) الاحتجاج: ج ١ ص ١٣٠ - ١٣١، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٧، ص ١٣٤.



رفيع المطعم والمشرب وعن غضب مؤمن حقّه وأدعاء ما ليس له بحقّ،
أفضل وأحبّ إلى الله ﷺ وأقرب للتقوى...).

٣- على المؤمن أن يقنع بالموجود مهما بدا متواضعاً بل عليه أن
يفرح به كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله (إذا أصاب الشخير
أكل وفرح به ولم يسخطه)، والقناعة بالموجود بل والفرح به، تؤثر في
الصحة النفسية والجسدية، وفي هدوء الأعصاب، وينعكس ذلك كله
على (الانتاجية) والقدرة على العمل بشكل أفضل) كما ينعكس
إيجابياً على الوضع العائلي.

الرابع عشر: محاربة كافة عوامل تبديد الثروة أو تحطيم الاقتصاد
وهذا هو ما سنفرد له الفصل الثالث بإذن الله تعالى.

الفصل الثاني

◆ العوامل الغيبية والأخلاقية لإنتاج الثروة
والحفاظ عليها وتنميتها ومكافحة الفقر



والمقصود بالعوامل الغيبية، عوامل كـ(التقوى) و(تجنب الربا) حيث إنها عوامل تستجلب البركة الإلهية غيبياً وتستدعي لطف الله لرزق عبیده من خزائن غيبه حيث رآهم مطيعين لأمر، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ﴾ وقال ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

وأما العوامل الأخلاقية، كالصدق والنزاهة والإنصاف، فانها سلسلة عوامل أخلاقية، لكنها تصب بشكل غير مباشر في إثناء الثروة والحفاظ عليها، فإن الناس لو عرفوا من الكاسب أو التاجر الصدق والنزاهة والإنصاف، وثقوا به واقبلوا عليه وازداد عملاؤه، وادعوه أموالهم، وفتحوا له قلوبهم وسهلوا له أموره وأعانوه بعلاقاتهم التجارية أيضاً.

وبذلك كله يظهر أن (العوامل الغيبية والأخلاقية) هي في جوهرها من عوامل إيجاد الثروة، والحفاظ عليها، وتنميتها، مثل عوامل الفصل الأول، لكنها أفردت في فصل خاص، لأن عوامل الفصل الأول كان طابعها العام هو العوامل المادية الظاهرية التي تبنى على معادلات اقتصادية ملموسة، أما عوامل الفصل الثاني فهي عوامل غير مرئية وغير معروفة مادياً بتأثيراتها الاقتصادية، لدى أكثر الناس أو لدى الماديين منهم، لذا أفردناها في فصل خاص، لتحظى بتركيز مؤكد.



وصايا غيبية - أخلاقية ذات نتائج كبرى اقتصادية

وهذه سلسلة من العوامل والحلول الغيبية والأخلاقية، لحل مشكلة الفقر، ولزيادة الثروة والحفاظ عليها، وتنميتها، ذكرها الإمام علي بن أبي طالب على شكل (وصايا) نشير إليها بشكل موجز:

للإمام علي (عليه السلام) وصايا عامة لو عمل بها الناس - إضافة لما سبق وسيأتي - لاقتلع الفقر من جذوره، وهي تتوزع بين أخلاقية - غيبية، لكنها ذات تأثيرات اجتماعية - اقتصادية كبيرة جداً.

وهذه بعضها:

أ: إتقوا الله

«يا معشر التجار اتقوا الله عز وجل»^(١) ..

ومن الواضح أن الخوف من الله، يردع الإنسان عن امتصاص دماء الفقراء عبر الغش والخداع والاحتكار ورفع الأسعار، مما ينتج تقلص مساحة الفقر.

ب- (قدموا الاستخارة)

الاستخارة تعني طلب الخير من الله تعالى فإنها من باب الاستفعال فإن من المستحب عند بدأ كل عمل أن يستخير العبد من ربه أي أن يطلب منه أن يجعل الخير فيما هو مقدم عليه، ومن صور ذلك ان

(١) الكافي: ج ٥ ص ١٥١.

يقول (استخير الله برحمته خيرة في عافية) والأفضل أن يصلي ركعتين أيضاً، ولأن الله تعالى هو (الرزاق ذو القوة المتين) فانه سيبارك في كل عمل، قدم الإنسان فيه الاستخارة.

ج: اتخذوا السهولة منهجاً

«وتبركوا بالسهولة»^(١).. وقال أمير المؤمنين (وليكن البيع بيعاً سمحاً)

فإن أي روتين إداري أو تعقيد أو بيروقراطية، يعرقل حركة رؤوس الأموال، ويضاعف التكاليف، ويستهلك قسماً كبيراً من الأوقات، ويضخم الجهاز الإداري ويزيد عدد الموظفين، ويضغط بشدة على الأعصاب والصحة، مما يسبب بدوره الأمراض التي تضغط بشدة على الفقراء.

فأي بيع أو شراء أو تعاقد يجب أن يتم بمنتهى السهولة وبدون روتين وتعقيد، ولذا نجد أن قسماً من حكومات عالم اليوم بدأت تنحو منحى تخفيف الروتين الإداري في تسجيل الشركات وفي كافة المعاملات، وفي الإسلام: لا حاجة لذلك أبداً!!

د: اقتربوا من العملاء^(٢)

(١) الكافي: ج ٥ ص ١٥١.

(٢) أي المتعاملين معكم تجارياً، وحاولوا تجاوز الوسائط.



«واقربوا من المبتاعين»^(١)..

فإن كثرة الوسائط، تسبب الغلاء والتضخم، لأن الوساطة يعيش على رفع سقف الأسعار ليبيع - ربحاً مضاعفاً أحياناً - فكلما ألغيت الوسائط كلما رخصت الأسعار وانخفضت نسبة الفقر.. وعلى الدولة أن تخطط لإلغاء الوسائط لأنها إضافة إلى ذلك تزيد من احتمالات التلاعب بالأسواق نظراً للقدره المتمركزة الكبيرة للشركات الوسيطة.

هـ: (وتزينوا بالحلم)

(الحلم) مفتاح القلوب، وأفضل وسيلة لمدّ جسور المحبة مع الآخرين، ومن هنا فإن الناس يتهافتون على (التعامل) مع الحلِيم والتعاون معه.

فإذا أردت أن يفتح الرب لك أبواب الرزق فكن حلِيماً مع الموظفين والعمال والشركاء، ومع رب العمل، ومع العملاء والمتعاملين ومن تبيع لهم أو تشتري منهم، إضافة إلى الحلم مع الأهل والأولاد والعشيرة، وحتى الأعداء أيضاً وفي الحديث (ما وضع الحلم على شيء إلا زانه، وما وضع الخرق على شيء إلا شاناه) وورد (كاد الحلِيم أن يكون نبياً)

و: (وتناهاوا عن اليمين)

(١) الكافي: ج ٥ ص ١٥١.

وجاء في رواية أخرى عنه صلوات الله عليه (إياكم والحلف فإنه
ينفق السلعة ويمحق البركة)^(١)
وقد أوضحنا السبب في ذلك، في موضع آخر من الكتاب.

ز: كونوا صادقين

«وجانبوا الكذب»^(٢) ..

فإن الكذب في المعاملات يعني: مزيداً من الضغط على الفقراء!
لأن التاجر أو الشركة تكذب لكي تبيع المنتج بسعر أعلى أو تبيع
الرديء بعنوان أنه جيد! أو ما أشبه ذلك.

ح: «تجافوا عن الظلم»

ان قبح (الظلم) يعد من المستقلات العقلية، وكذلك حرمة، بل
هو أمر فطري، كما ان الظلم يدعو إلى الظلم فكما تدين تدان، فليحذر
التاجر ظلم العملاء، الخفي من الظلم والجلي، وإلا فسيسلط الله تعالى
عليه من يظلمه ثم لا يجد على ظالمه نصيراً وكما يقول الشاعر:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتمراً

فالظلم آخره يدعو إلى الندم

(١) - الكافي: ج ٥ ص ١٦٢، ح ٤، وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٤١٩.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ١٥١.



تنام عينك والمظلوم متنبه

يدعو عليك وعين الله لم تنم

وفي الحديث ان الله تعالى: (لا يظلم ولا يجاوزه ظلم وهو المرصَد ليَجْزِي الَّذِينَ أَسَاءُوا بما عملوا وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى مَنْ أَحْسَنَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)^(١)

ط: انصفوا المظلومين

«وأنصفوا المظلومين»^(٢) .. وفي عهده (عليه السلام) للاشتر «ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى»

ففي أية معاملة يجب إنصاف المظلوم قبل أن يرفع المظلوم شكوى، ثم لو رفع المظلوم - شخصاً كان أو شركة أو جهة - شكوى، كان على الظالم أن يتراجع فوراً، وإلا فإن ذلك يعني إضافة إلى كونه انتهاكاً لحقوق الإنسان، مزيداً من الضغط على الفقراء.. لأن المحامين سيثرون على حساب الطرفين^(٣).. ولأن الظالم أو المظلوم (حسب من

(١) بحار الأنوار ج ٧٣ ص ٣٧٣ باب ٦٧.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ١٥١.

(٣) يقول إد ماكريكين مؤسس شركة سيلكون جرافكس انكوربوريتد: (وأظن أن جميع شركات وادي السيلكون تقريباً قد رفعت ضدها قضايا مرات متعددة - مثل هيولت باكارد - وانتل وشركتنا، والحقيقة أنه عند مقاضاة إحدى الشركات وعند التوصل إلى تسوية مالية كبيرة فإن حملة الأسهم لا يحصلون كأفراد على أي شيء منها. وإنما يحصل عليها في الحقيقة بيل ليرتاش (وهو محامي بارز)

هو الخاسر) سيحاول استرجاع ما بذل من أجور للمحامين وشبه ذلك،
برفع الأسعار أو باتخاذ قرار بعدم زيادة أجور العمال.. مما يعني ضغطاً
على الفقراء أيضاً.

ي: تجنبوا الربا

«ولا تقربوا الربا»^(١)..

وقال في نهج البلاغة راوياً قول رسول الله (يا علي ان القوم سيفتنون
بأموالهم... فيستحلون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع)
والسبب في اننا اعتبرنا تجنب الربا بنداً غيبياً، مع أنه بند اقتصادي لأنه
نوع من أنواع زيادة ثراء الأثرياء، السبب هو: أن الربا سلوك مادي، لكن
عدم الربا هو سلوك غيبي لزيادة الثروة، بمعنى أن الإنسان إذا تجنب
الربا، فإن الله سيمبارك في أمواله، ويفتح له أفاقاً غير متوقعة لنماء ثروته
أو للحفاظ عليها أو سيدفع عنه أخطاراً محدقة - كحادث اصطدام
أو شبه ذلك - مما لو كان يرايبي، لأبتلي به فحسر صحته وأمواله في
العلاج أو في دفع تلك الداهية دون طائل.
وقد تحدثنا عن ذلك في بند آخر.

ك: عليكم بالنزاهة

وأصدقاؤه الذين حققوا كثيراً من الأموال من وراء ذلك)، المصدر كتاب في صحبة العمالقة تأليف جاجر
وأورتنيز ص ٣١٧.

(١) الكافي: ج ٥ ص ١٥١.



قال الله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْمِيزَانِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (١) ..

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تحجف بالفريقين من البائع والمبتاع» (٢). وهذا يعني تحريم التلاعب بالأسواق، وقد سبق.

ل: تاجروا الله بالصدقة

يقول الإمام علي (عليه السلام):

«إذا أملتكم فتاجروا الله بالصدقة» (٣).

والصدقة لها تأثير مباشر في احتواء الفقر كما هو بديهي.

كما لها تأثير غير مباشر لكنه أساسي وإستراتيجي جداً، فإن الصدقة تقوي النسيج الاجتماعي وتزيد أواصر المحبة بين أفراد المجتمع مما ينعكس إيجاباً على الإنتاجية.

هذا كله إضافة إلى عامل الغيب، فإن الرزق بيد الله، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٤).

وقال الإمام علي (عليه السلام): «الغنى والفقر بعد العرض على الله» (٥).

(١) سورة هود: ٨٥.

(٢) نهج البلاغة: عهد الإمام مالك الأشتر.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٢٥٨.

(٤) سورة الذاريات: ٥٨.

(٥) نهج البلاغة: ص ٥٥٥.

وإذا رأى الله من عبده الإنفاق رغم حاجته، فإنه يفتح له باباً إلى الرزق من حيث يحتسب وقد يرزقه من حيث لا يحتسب. وهذا العامل مشترك يشمل الأفراد والشركات والدول أيضاً. ثم إن منهج الصدقة لو شاع، فإنه يعود بالفائدة على الإنسان نفسه، وذلك عندما تنعكس الظروف، فالיום هذا يتصدق على ذاك، ثم تدور الأيام ليتصدق الثاني على الأول، فالصدقة إذن نوع أساسي وهام وشمولي من أنواع التكافل الاجتماعي.

م: صلوا أرحامكم

إن صلة الرحم عامل مهم من عوامل القضاء على الفقر، غيبياً ومادياً أيضاً.

قال الإمام علي عليه السلام:

«ألا لا يعدلن أحدكم عن القرابة، يرى بها الخصاصة، أن يسدها بالذي لا يزيده إن أمسكه، ولا ينقصه إن أهلكه»^(١).

ويذكر عليه السلام فوائد ذلك منبهاً على أن (القرابة):

١: هم أعظم الناس حيطة من وراءه.

٢: وألمهم لشعثه.

٣: وأعطفهم عليه عند نازلة أن نزلت به.

٤: ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير من المال يرثه

(١) نهج البلاغة: ص ٦٥.



غيره^(١).

فصلة الرحم - عاطفياً ومالياً وغير ذلك - تؤثر مباشرة في تقليص مساحة الفقر كما هو واضح، وتصنع البنية التحتية الاجتماعية للقضاء على الفقر أيضاً، إذ بصلة الرحم تتقارب القلوب وتتكاتف الأيدي فيكون المجموع - بالتعاون - أقدر على مكافحة الفقر وعلى النهوض الاقتصادي المتواصل.

ولذا نجد أن كثيراً من الشركات العائلية نجحت ما دامت متمسكة ببصلة الرحم، وتهاوت عند ما دب الخلاف وقطعت الرحم وانفصمت عرى المودة والمحبة.

ثم إن صلة الرحم تعدّ من أهم عوامل سلامة الأعصاب والقضاء على الكآبة، والثقة بالنفس، وكل ذلك ينعكس بشكل إيجابي على قدرة الإنسان على النهوض الاقتصادي.

وبالعكس فإن (قطع الرحم) هو من أهم عوامل الكآبة ودمار الأعصاب والعديد من الأمراض الأخرى، مما يسبب تضاؤل القدرة على التخطيط الاقتصادي السليم، وعلى الإدارة المتميزة، والأداء الجيد، كما يسبب قصر العمر أيضاً، ولذلك قال الإمام علي عليه السلام:

«يا نوف صل رحمك، يزد الله في عمرك»^(٢).

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «صلة الأرحام تحسن الخلق وتسمح

(١) نهج البلاغة: ص ٦٥.

(٢) بحار الانوار: ج ٧٤ ص ٨٩.

الكف وتطيب النفس وتزيد في الرزق وتنسي من الأجل»^(١).
وقال الإمام علي (عليه السلام): «حلول النقم في قطيعة الرحم»^(٢).
وقال (عليه السلام): «إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار»^(٣).
إن قطيعة الرحم هي من أهم عوامل تفكك الأسرة وضياع الأولاد،
مما يعني أيضا:

١: إن أموال الأسرة تنتقل - بالإرث وغيره - إلى أولاد أشرار.
٢: إن أموال الأسرة ستصرف - نتيجة تفكك العائلة وفسادها - في
المحرمات: القمار، الخمر، الزنا وغير ذلك، مما يعني وصول الأموال لأيدي
الأشرار.

٣: إن أموال الأسر الصالحة التي قطعت الرحم تنتقل إلى الأسر
غير الصالحة التي وصلت الرحم، نتيجة إفلاس شركات الأسر الأولى
- على ضوء النزاع وغيره - ونتيجة تعاون الأسر غير الصالحة^(٤)، ولذلك
كله وغيره قال الإمام الباقر (عليه السلام): «صلة الرحم تعمّر الديار، وتزيد في
الأعمار، وإن كان أهلها غير أختيار»^(٥).

ن: استعينوا بمفاتيح الغيب

-
- (١) الكافي: ج ٢ ص ١٥١.
 - (٢) غرر الحكم: ص ٤٠٦.
 - (٣) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٣٨.
 - (٤) حول الصدقة وصلة الرحم ونظائرها يراجع (الفقه: الآداب والسنن)، وكتاب العشرة من بحار الأنوار، والوسائل، والكافي وغيرها.
 - (٥) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٩٤.



عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: «من تعذر عليه رزقه وتغلقت عليه مذاهب المطالب في معاشه ثم كتب له هذا الكلام في رق ظبي أو قطعة من آدم وعلقه عليه أو جعله في بعض ثيابه التي يلبسها فلم يفارقه وسَّع الله رزقه وفتح عليه أبواب المطالب في معاشه من حيث لا يحتسب وهو: اللهم لا طاقة لفلان بن فلان بالجهد ولا صبر له على البلاء ولا قوَّة له على الفقر والفاقة، اللهم فصلِّ على محمد وآله محمد ولا تحظر على فلان بن فلان رزقك ولا تقتصر عليه سعة ما عندك ولا تحرمه فضلك ولا تحسمه من جزيل قسمك ولا تكله إلى خلقك ولا إلى نفسه فيعجز عنها ويضعف عن القيام فيما يصلحه ويصلح ما قبله بل تنفردُ بلم شعته وتولي كفايته وانظر إليه في جميع أموره، إنك إن وكلته إلى خلقك لم ينفعوه وإن الجأته إلى أقربائه حرموه وإن أعطوه أعطوه قليلاً نكداً وإن منعوه منعوه كثيراً وإن بخلوا بخلوا وهم للبخل أهل، اللهم أغن فلان بن فلان من فضلك ولا تخله منه فإنه مضطر إليك فقير إلى ما في يديك وأنت غني عنه وأنت به خبير عليهم» ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ^(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرٍ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ ^(٢) ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ^(٣) ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ^(٤) ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ^(٥)

(١) سورة الطلاق: الآية ٣.

(٢) سورة الشرح: الآية ٦.

(٣) سورة الطلاق: الآيات ٢ - ٣.

(٤) مهج الدعوات: ص ١٢٦.

إن أول صفة للمؤمنين هي أنهم (يؤمنون بالغيب) ثم تليها (ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) والله تعالى هو الخالق وهو الرازق، وقد جعل للرزق أسباباً منها المادي ومنها المعنوي، فهل يبقى مجال بعد ذلك للاستغراب من الروايات الكثيرة التي تذكر طرقاً كهذه الرواية، لفتح ما استغلق من أبواب الرزق؟

س: أتركوا أموراً ضارة وعادات مُفقرّة

عن سعيد بن علاقة قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول:

«ترك نسج العنكبوت في البيت تورث الفقر،

والبول في الحمام يورث الفقر،

والأكل على الجنابة يورث الفقر، والتخلل بالطرفاء^(١) يورث الفقر،

والتمشط من قيام يورث الفقر،

وترك القمامة في البيت يورث الفقر،

واليمين الفاجرة تورث الفقر،

والزنا يورث الفقر،

وإظهار الحرص يورث الفقر،

والنوم بين العشائين يورث الفقر،

(١) الطرفية: شجرة وهي الطرف، والطرفاء: جماعة الطرفية شجرٌ وقال سيبويه: الطرفاء واحد وجمع، والطرفاء اسم للجمع، وقيل واحدها طرفاء، لسان العرب: ج ٩ ص ٢٢٠.



والنوم قبل طلوع الشمس يورث الفقر،
وترك التقدير في المعيشة يورث الفقر،
وقطيعة الرحم يورث الفقر،
واعتماد الكذب يورث الفقر،
وكثرة الاستماع إلى الغناء يورث الفقر،
وردّ السائل الذكر بالليل يورث الفقر». وههنا مجموعة من النقاط الهامة:

١- هذه العوامل، بعضها عوامل غيبية ميتافيزيقية، وبعضها عوامل مادية ظاهرية وبعضها مزيج منهما.

٢- إن هذه العوامل (تورث الفقر) بنحو الاقتضاء لا العلمية، والمقتضي لا يؤثر إلا مع وجود الشرائط وإنتفاء الموانع، كما أن باب التزام مُشرعٍ على مصراعيه، والغلبة والرجحان للأقوى من الملاكين، فربّ عاملٍ فقيرٍ، زاحمه عاملٌ غنيٌّ أو عواملٌ غنيٌّ، أقوى منه، فرجحت عليه، فصار الشخص غنياً، والعكس بالعكس، فلا يقال: كيف يعبر بـ(يورث كذا الفقر أو الغنى) مع أننا كثيراً ما نجد الواقع الخارجي على العكس؟

ويتضح ذلك أكثر بملاحظة اللغة العلمية واللغة العرفية أيضاً؛ فإن (الطبيب) يقول: الدواء الفلاني علاج للمرض الكذائي، مع أننا كثيراً ما نجد المريض يلتزم بشرب الدواء ولا يشفى، وما ذلك إلا لأن الدواء مقتضى للشفاء، وهناك شروط لا بد من توفرها، وموانع ومزاحمات

لا بد من رفعها أو القضاء عليها، كما أن مما لا شك فيه صحة القول بأن النار محرقة، وذلك لا يعني عدم وجود شرائط للإحراق، كالمحاذاة الخاصة، كما لا ينفي اشتراط انتفاء الموانع، كأن لا يكون الجسم مطلباً بمادة كيماوية عازلة.

٣- إن هذه العوامل تتوزع بين (محرمات) كالزنا وقطع الرحم والغناء والكذب واليمين الفاجرة، وبين (مكروهات) وهي الكثير من غيرها مما ذكر في الرواية.

٤- إن هذه المحرمات، وتلك المكروهات، على درجات، فبعضها أشد تأثيراً وأقوى وأسرع في استجلاب الفقر، وبعضها أضعف وأبطأ.

٥- كما أن الحديث عن كل مفردة مفردة، وفلسفتها الاقتصادية أو آثارها الكيماوية أو الفيزيائية أو الطبية - على المخ والأعصاب - أو السيكولوجية أو الاقتصادية أو غيرها، يحتاج إلى عقد مبحث مستقل ولعلنا نوفق له في المستقبل بإذن الله تعالى.

ع: قوموا بأفعال نافعة وعبادات جامعة

ثم قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ألا أنبئكم بعد ذلك بما يزيد في الرزق قالوا: بلى يا أمير المؤمنين فقال:

«الجمع بين الصلاتين يزيد في الرزق

والتعقيب بعد الغداة وبعد العصر يزيد في الرزق

وصللة الرحم تزيد في الرزق



وكسح الفناء^(١) يزيد في الرزق
ومواساة الأخ في الله ﷺ يزيد في الرزق
والبكور في طلب الرزق يزيد في الرزق
والاستغفار يزيد في الرزق
واستعمال الأمانة يزيد في الرزق
وقول الحق يزيد في الرزق
وإجابة المؤذن يزيد في الرزق
وترك الكلام في الخلاء يزيد في الرزق
وترك الحرص يزيد في الرزق
وشكر المنعم يزيد في الرزق
واجتناب اليمين الكاذبة يزيد في الرزق
والوضوء قبل الطعام يزيد في الرزق
وأكل ما يسقط من الخوان يزيد في الرزق
ومن سبَّح كل يوم ثلاثين مرة دفع الله ﷻ عنه سبعين نوعاً من
البلاء أيسرها الفقر^(٢).

وهذه العوامل^(٣) تتوزع بين:

١- ما يرتبط بعلاقة الإنسان بخالقه، (كالجمع بين الصلاتين،

(١) الكسح: الكنس.

(٢) الخصال: ج ٢ ص ٥٠٤ ح ٢ (أبواب الستة عشر).

(٣) وكذلك عوامل الفقر السابقة، تنقسم وتتوزع كذلك، فلاحظ وتدبر.

والتعقيب بعد الصلاة ...) وحيث إنه تعالى مصدر الرزق، فإنه سيكون التزام الشخص بتلك الأسباب، سبباً لاستمرار الرحمة الإلهية وبعثاً لإفاضته تعالى الرزق على عبده.

٢- ما يرتبط بعلاقة الإنسان بمجتمعه (كصلة الرحم، المواساة، وقول الحق و...).

٣- ما يرتبط بعلاقة الإنسان بالطبيعة (ككسح الفناء، الكلام في الخلاء، الوضوء قبل الطعام و...).

٤- وما يرتبط بالبعد الاقتصادي مباشرة (كالبكور في طلب الرزق، والأمانة المالية بل مطلقاً و...).



الفصل الثالث

◆ محاصرة عوامل تبديد الثروة
وملاحقة بواعث الفقر

محاصرة عوامل تبديد الثروة وملاحقة بواعث الفقر^(١)

هناك أسباب كثيرة تقضي على الثروة والغنى، وتزيد نسبة الفقراء في المجتمع بشكل مباشر أو غير مباشر، مثل موجبات ارتفاع الأسعار وظاهرة الغلاء^(٢).

وهذه مجموعة من أهم تلك العوامل المباشرة وغير المباشرة:

١ : ملكية الدولة

تملك الدولة لمصادر الثروات الطبيعية مثل الأراضي، والمعادن، والغابات، والبحار وثرواتها، وواضح أن كل هذا يسبب الفقر والحرمان، وأيضاً الغلاء، فإن الأرض وغيرها لو كانت متاحة ومجانية للجميع،

(١) المقصود ملاحظتها في العلة الميقية، وبنحو الرفع وأما ملاحظتها في العلة المحدثة وبنحو الدفع فإنه يندرج في الفصل الأول.

(٢) (عوامل تبديد الثروة) مثل (القمار) و(الإسراف والتبذير) و(بواعث الفقر) مثل (ملكية الدولة) فإن تملك الدولة للأراضي العامة، واحتكارها لها، وتملكها للمعادن والثروات العامة، هو من أهم أسباب تحول شرائح كبيرة من المجتمع إلى فقراء، ومثل (كثرة الموظفين) فإن ذلك يحوّل مئات الآلاف من الناس أو الملايين - حسب الدول - من عناصر منتجة إلى عناصر مستهلكة مما يخفض الإنتاجية العامة، ويلقي بثقل الموظفين على كامل الشعب - حيث تقتطع لهم الرواتب من الضرائب، أو ما أشبه، وعموماً فإن العوامل المذكورة في هذا الفصل تتوزع بين النمطين، وإن كان كل منها يصب بوجه في الآخر أيضاً.

ويمكن تصنيفها بوجه آخر: وهو أن يراد بعوامل تبديد الثروة: العوامل الشخصية، ويراد ببواعث الفقر، بواعث الفقر العامة التي تقف الدول وراءها والعوامل الخمسة عشر، الآتية، كلها تتوزع بين النمطين، وتلحق الشركات والمؤسسات الصغيرة بالعوامل الشخصية، والشركات العابرة للقارات بـ(الدولة) بلحاظ حجم تأثيراتها.



فإن تكاليف هائلة ستسقط عن كاهل الفقراء، وتنخفض نسبة الفقر بشكل آلي، كما تتوفر للفقراء فرص ومصادر سهلة للإثراء المشروع. إن الإسلام يؤكد على أن مصادر الثروة تلك، مملوكة لله، ثم هي للناس عامة، ولا حق للدولة بأن تمنع أحداً من امتلاكها. قال تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(١). وقال رسول الله ﷺ: «من سبق إلى ما لم يسبقه إليه المسلم فهو أحق به»^(٢).

وقد أطلق الإمام علي (عليه السلام) للناس حرياتهم وأعطاهم مطلق الحق في أن يزرعوا ما شاءوا من الأراضي، أو يبنوا ما شاءوا، أو يرعوا حيثما شاءوا، أو أن يستثمروا ويحوزوا كما شاءوا من الغابات والمعادن وغيرها^(٣).

٢: كثرة الموظفين

إن الإسلام يرى ظاهرة كثرة أعداد الموظفين في دوائر ومؤسسات الدولة، تمثل عبئاً على الفقراء، حيث يعيش هؤلاء ويستهلكون دون إنتاج، بينما الفقير يجهد نفسه لينتج، لكنه بالكاد يتمكن من الاستهلاك والحصول على ما يريده. وهذه مشكلة شائعة في الدول التي يسيطر عليها الاقتصاد

(١) سورة البقرة: ٢٩.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ١١١.

(٣) راجع (السياسة من واقع الإسلام) و(حكومة الرسول ﷺ) والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

الحكومي المغلق.

ومن الأمثلة:

الآلاف من العاملين والمنتسبين في أجهزة الأمن والشرطة والجيش.
الآلاف من الموظفين والعاملين في دوائر السفر والجنسية والجوازات
والمخافر الحدودية.

الآلاف من الموظفين في الدوائر والمؤسسات التابعة لوزارات الدولة.
ولقد قام الإمام علي عليه السلام بأمر مدهش في مجال القضاء على
تضخم الموظفين، حيث إنه عليه السلام وبتخطيط استراتيجي شامل ومتكامل
سياسياً واقتصادياً وإدارياً، استطاع أن يحكّم العدل في الكوفة ذات
الأربعة ملايين نسمة، بقاض واحد!

كما أن رسول الله ﷺ اكتفى بعد أن فتح مكة، بأن نصب شخصاً
واحداً حاكماً على مكة يدعى (عتاب).

رغم أن مكة كانت عاصمة مناهضة للرسول ﷺ طوال عقود من
الزمن وكانت تعج بالمعارضة المسلحة.^(١)

٣: سباق التسليح

إن سباق التسليح والأسلحة تستهلك سنوياً مئات المليارات من

(١) لمعرفة عمق مأساة تضخم الموظفين وأسباب المقدرة على تحقيق ذلك راجع: (الصياغة
الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام) و(الفقه: الدولة الإسلامية)، و(الفقه: القضاء) للإمام
الشيرازي قدس سره، وكذلك كتاب (دولة الرسول ﷺ) للدكتور محسن الموسوي.



الدولارات. مما هي خارج الحاجات الدفاعية للبلدان،
فحسب تقرير أعدّه معهد أبحاث السلام، فإن النفقات العسكرية
العالمية عام ٢٠٠٤ تجاوزت الألف مليار دولار!!
وفي عام ٢٠٠٦ قاربت ألفين وثمانمائة ملياراً، أي تريليونين و ٨٠٠ مليار
دولار!!

ومن البديهي أن هذه الأموال الضخمة التي كان يجب أن تنفق
على توفير الحاجات الأساسية للناس، أنفقت على أدوات وأجهزة
الموت وأسلحة الدمار الشامل.

ثم إن للأسلحة نتائج سلبية منها:

أ: إنها تثقل كاهل الناس، إذ توفرها الحكومة من الضرائب مما
يشكل عبئاً إضافياً على الفقراء، أو أنها تستقطعها من وارد الدولة
ومن الثروات الطبيعية كالنفط، وهذا يعني سرقة أموال الناس تحت
شعار تعزيز القوة العسكرية، وضمان ديمومة النظام الدكتاتوري الحاكم،
أو حتى الدكتاتوري بلباس ديمقراطي.

ب: تجد هذه الأسلحة وبسهولة طريقها نحو الصراعات الداخلية
والحروب، بل أحياناً يخطط تجار الأسلحة حول العالم، وكذلك تفعل
الدول المنتجة للسلاح لإثارة الحروب ولو بالوكالة، لتسويق تلك
الأسلحة، ثم العمل على ديمومة هذه الحروب، والحرب هي بالحقيقة
الدمار الشامل للبلاد، وأحد أهم أسباب فقر الشعوب.

وقد أوضح الإمام الشيرازي رحمته الله أن بقية الله الأعظم الإمام المهدي

المنتظر عليه السلام يعيد وسائل الحرب والقتال إلى ما كان سائداً في الماضي، فيعود السيف والرمح - مثلاً - مما يعني أولاً صبّ كافة الأموال التي تتوفر من ذلك في جيوب الناس والفقراء.

ومما يعني ثانياً: تضاؤل أخطار وأضرار الحروب بدوافع سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية إلى الأقل من الواحد بالمائة ألف!^(١)

٤: سرقات الحكومة

السرقه قد تكون (مقنعة)^(٢)، وقد تكون غير مقنعة.

ولهذا البند حديث طويل يترك لمحلّه. ونكتفي بالمثال التالي: فقد احتج تلميذ الإمام علي عليه السلام أبو ذر الغفاري على معاوية عندما بنى لنفسه قصرًا بأربعة ملايين دينار ذهبي! فقال له: إن كنت بنيت قصرك هذا بأموال الله، فقد اجترحت إثماً، وارتكبت حراماً، وإن كنت بنيته بأموالك فقد أسرفت!

٥: سوء التوزيع

إن الله تعالى هو خالق الأرض كلها، وهو خالق البشر كلهم، وقد جعل الأرض بثرواتها كلها للبشر بأجمعهم، وصرح قائلاً:

(١) راجع كتاب (الإمام المهدي) عجل الله تعالى فرجه الشريف، للشيرازي رحمته الله.

(٢) السرقه المقنعة: كالضرائب، وكذا بيع ما هو ملك الناس لهم! كبيع الدول النفطية الغاز والنفط للناس، مع أنه ملك الناس.



﴿ خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾^(١).

فـ ﴿ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ هو (لكم) جميعاً.

لكن البشر لجهلهم جزؤوا العالم ووضعوا الحدود الجغرافية فكان أن أتخم بلد بالثروات وناء بلد آخر تحت ضغط الحاجة.^(٢) وللحدود الجغرافية ضرر مزدوج، فهي من جهة حرمت البلاد الفقيرة من ثروات كانت لهم فيها حصة حسب القانون الإلهي، ومن جهة أخرى منعت التبادل التجاري الحر بين البلاد وكانت وراء وضع الجمارك مما أضر بفقراء كلا البلدين.

ولذلك نجد رسول الله ﷺ ألغى الحدود الجغرافية بين الدول التسع التي خضعت لحكومته، وألغى الإمام علي عليه السلام الحدود الجغرافية بين الدول الخمسين التي خضعت لحكومته. وسيلغى الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) الحدود الجغرافية بين دول العالم كافة، عندما يظهر في آخر الزمان «فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً».^(٣)

(١) سورة البقرة ٢٩.

(٢) أظهر تقرير المخاطر العالمية لعام ٢٠١٢ التابع للمنتدى الاقتصادي العالمي الذي عقد في منتجع دافوس بسويسرا: أن التفاوت الحاد في الدخول والأوضاع المالية غير المستقرة للحكومات يشكلان أكبر تهديد اقتصادي يواجه العالم. وللتفصيل (راجع الملحق ٧/٢٧١).

(٣) يقول المرجع الراحل الإمام السيد محمد الشيرازي قدس في كتابه: (القرن الحادي والعشرون وتجديد الحياة):

يلزم في الوقت الراهن، رفع الحدود الجغرافية بين البلدان كافة، وليس فقط بين بلاد المسلمين، ذلك لأن الحدود الجغرافية تجعل الإنسان أقل قدراً من الخنافس والفتران والطيور والبهائم، فهل لهذه المخلوقات حدود تحجزها؟ أم أنها تمشي وتطير أنى شاءت، والأسماك تسبح حيث تريد، لكن الغرب قيد الإنسان

٦: المقامرة

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِتْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (١).

إن القمار من العوامل الأساسية لتدمير البناء الاجتماعي للفقراء، وأيضاً للحياة الأسرية، مما ينعكس سلباً على الإنتاج، لأنه عملية استهلاك خالصة، فليس المقامر منتج بل يعيش على جيوب الآخرين! وهناك تفصيل حول الموضوع في الكتب المتخصصة. (٢)

وكتبه بشروط الجنسية والإقامة والهوية وغيرها مما يعيق حركته ويقيد نشاطه والعودة عن بلوغ غايته التي يريد، وهكذا فلكل بلد حدود لا يدخل الإنسان أو يخرج منها إلا بجواز أو أذونات رسمية، أو غير ذلك مما هو معهود بين الدول... هذا على حين نرى أن الرسول الأكرم محمد المصطفى ﷺ قد أسقط جميع الحدود بين بلاد الإسلام، فأينما حل المسلم - وقتذاك - فهو في بلده وبين مواطنيه. وربما يتوهم أن ذلك يوجب الجنابة والإخلال بالنظم أو ما أشبهه، لكن حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد، حسب المثل الفلسفي..

إن وضع الحدود هو خلاف الإنسانية وخلاف العقل وكرامة الإنسان، وإنما صارت بسبب جهل الحكام بهدف تقييد الإنسان بما يشاؤون، فاللازم حيث توسعت آفاق المعرفة وزالت معظم الديكتاتوريات، أن تزول تلك الحدود أيضاً، وأن الحدود إنما راجت في أشد أزمته الاستعمار على الشعوب، وحين زال الاستعمار فينبغي أن تزول.

(١) سورة البقرة: ٢١٩.

(٢) يظهر تقرير نشر في شبكة النبا المعلوماتية تحت عنوان (المقامرة.. سرطان الحضارة الغربية المتصاعد)، أن الغرب يعج بأماكن رسمية للفساد والدعارة وغسيل الأموال بصورة غير مباشرة، وتوفرت مع تطور التكنولوجيا إمكانات ضخمة لدى مروجي ومستخدمي تلك الأماكن في جذب الزبائن والمستثمرين من كافة أنحاء العالم بالطرق الاعتيادية أو عبر شبكة الانترنت من خلال شركات خاصة. وللتفصيل (يراجع الملحق ٨/٢٧٦).



٧: الفساد المالي

قال الإمام علي عليه السلام: «إنما هلك من كان قبلكم، أنهم منعوا الناس الحق فاشتروه، وأخذوهم بالباطل فاقتدوه»^(١).

وقال عليه السلام: «لا ينبغي أن يكون الوالي المرتشي في الحكم، فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع»^(٢).

إن الرشوة تزيد الفقراء فقراً، وهو زيف واستغلال وفساد وإفساد، فإن المرتشي يستغل حاجة الطرف الآخر فقيراً كان أم غنياً مما يزيد نسبة الفقر أو درجته في الحالتين، وأما الأغنياء فإنهم يعوضون خسائرهم من الرشوة بزيادة قيمة منتجاتهم وبضائعهم.^(٣)

٨: الاحتكار (٤)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون»^(٥).

(١) نهج البلاغة: ص ٣٦٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٣١.

(٣) كشف التقرير الدولي للفساد ٢٠٠٩، والذي أعدته (منظمة الشفافية الدولية) أن العالم ينفق ما بين ٢٠ و ٤٠ مليار دولار على الرشاوي سنوياً، وتعادل قيمة هذه الرشاوي حوالي ٢٠٪ إلى ٤٠٪ من المساعدات التنموية الرسمية. وهو ما يلحق الضرر بالتجارة والتنمية والمستهلك. وللتفصيل (يراجع الملحق ٩/٢٧٧).

(٤) الاحتكار لغة من (الحكرة) وهو السيطرة. واصطلاحاً: هو حبس الطعام أو كل ما يضر الناس أو يعسر عليهم وقت الحاجة الماسة وأينما تكون قليلة أو نادرة حتى يرتفع ثمنه فيعرضه للبيع. وللتفصيل (يراجع الملحق ١٠/٢٨٠).

(٥) الكافي: ج ٥ ص ١٦٥.

وقال الإمام علي (عليه السلام) في عهده للأشتر: «فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) منع منه، وليكن البيع سمحاً بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع»^(١).

وقد أرشدنا الإمام علي عليه الصلاة والسلام، في روايات عديدة، إلى ماهية الاحتكار، وحدوده، وحقيقة المحتكر وشاكلته النفسية وغير ذلك، وسنقتصر في هذه العجالة، على الإشارة لبعض كلماته صلوات الله عليه فقط.

فقد قال الإمام علي (عليه السلام): «الحكرة في الخصب أربعون يوماً، وفي الشدة والبلاء ثلاثة أيام، فما زاد فصاحبه ملعون»^(٢).
(الاحتكار) شؤم على المجتمع، وعلى صاحبه أيضاً، لذا فإن صاحبه ملعون، أي مطرود عن رحمة الله تعالى، وبعيد عن الخيرات والبركات.

ويحتمل أن يكون تحديد الأربعين يوماً في الرخاء، والثلاثة أيام في الشدة والبلاء، من باب القضية الخارجية، لا الحقيقية، وإن الأمر ليس على نحو التشريع العام، بل الأمر مرتهن بالشروط الموضوعية، فربما زاد أو نقص، ويكون الأمر موكلاً إلى الحاكم الجامع لشرائط رضا الله ورضا الناس، حسب ما فصله السيد الوالد (قدس سره) في (الشورى في الإسلام) و(الفقه: الدولة الإسلامية) وغيرهما.

(١) نهج البلاغة: ج ٣ ص ١٠٠.

(٢) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٦، الكافي: ج ٥ ص ١٦٥.



وعن الإمام علي (عليه السلام): «الاحتكار شيمة الفجار»^(١).
إن المجتمع طوائف، ولكل طائفة (شاكلة نفسية) و(شيمة)
و(الشيمة) هي الطبيعة والجبلّة.

و(الفجار) لهم شاكلة نفسية، وتركيبية سيكولوجية، وهندسة
فكرية وبرمجة عصبية خاصة، و(الاحتكار) يعدّ واحداً من مظاهر
الشاكلة النفسية لـ(الفجار) فـ(من احتكر) فأعرف شاكلته النفسية
وجبلته من احتكاره!

وقال الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «المحتكر محروم من نعمته»^(٢).
ان (المحتكر محروم من نعمته) حتى لو ربح أموالاً وتضخمت
أرصده، وذلك لأنه خسر كرامته ونقاوة وجدانه وصفاء ضميره، ولأنه
خسر سمعته عند الناس ومكانته في المجتمع، ولأنه يخسر (النعمة)
نفسها، إذ (النعمة) تتحول إلى (نقمة) بالاحتكار.

أ - فبدل أن ينتفع بها، (لعاجل دنياه)، بتكثير حركة دوران أمواله
وبضائعه مما يسبب تنشيط الحركة الاقتصادية وبما يكسبه أرباحاً أيضاً،
تجده يكنزها ويحتكرها فتجمد وتركد ويجمد ويركد، فتكون ويكون هو
كالماء الأسن كلما ظل راكداً، ازدادت عفونته.

ب- وبدل أن ينتفع بها (لأجل آخرته) بالانفاق والبذل والاحسان
وتأسيس المؤسسات ومختلف أنواع الباقيات الصالحات، تراه يحتكر

(١) غرر الحكم: ج ١ ص ٣٣، مستدرك الوسائل: ج ١٣ ص ٢٧٦.

(٢) غرر الحكم: ج ١ ص ٢٨ الفصل الأول ح ٥٢٠.

نعمة الأموال، والثروات وسائر المنح الإلهية، فهو بذلك كله هو المحروم حقاً من نعمته).

وقال عليه السلام أيضاً: «المحتكر البخيل جامع لمن لا يشكره وقادم لمن لا يعذره»^(١).

ان (النظرة المستقبلية) تُحكّم على المحتكر البخيل وتدينه أيضاً، فإن المحتكر البخيل يخلّف ثروته العريضة، لأولاده، وسائر ورثته، وهم سرعان ما ينسونه ليغرقوا في إلتهاام ثروته وتبديدها في نزواتهم، وقلّ منهم من تجده يلتزم الجادة المستقيمة، وإن فعل فإنه لا يحمد أباه المحتكر بل تجده ساخطاً عليه أو خجلاً منه فعلام يشكره؟ ثم إن هذا المحتكر البخيل، يقدم، في آخرته، على من لا يعذره أيضاً، فأبي خاسر أخسر منه؟

٩: الربا

قال الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾^(٢).
وقال الإمام عليه السلام: «يا معشر التجار، الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر، والله للربا في هذه الأمة ديبب أخفى من ديبب النمل على الصفا»^(٣).

(١) غرر الحكم: ج ١ ص ٩٣ الفصل الأول ح ١٨٦٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٦.

(٣) تهذيب الأحكام: ج ٧ ص ٦٦ ب ١٦ ح ١٦٦.



وهو إشارة لتحريم الربا المقنَّع أو الاحتيال في الربا، كما في مثال
علبة الكبريت!!

أما كيف ينشر الربا آفة الفقر في جسد الأمة، فنشير هنا إلى
حالتين من حالات عديدة تجعل عملية الاقتراض سبباً في تكريس
ظاهرة الفقر:

أ: أن يكون المقترض بحاجة ماسّة للقرض، كما لو احتاج إلى
عملية جراحية أو علاج مستعجل، أو احتاج المال لتغطية تكاليف
زواج ابنه، أو لتسديد دين أو لدفع غرامة أو ضريبة، أو غير ذلك.

ومن الواضح أن هكذا إنسان هو عادةً من ذوي الدخل المحدود،
والألمة اضطر للاقتراض، فأخذ الربا منه حتى ولو بنسبة قليلة يعني
تشديد الضغوط عليه، وزيادة حالة الفقر لديه، أو تحوله من الطبقة
المتوسطة إلى الطبقة الفقيرة.

ب: أن يقترض للتجارة أو التوسع في التجارة.

ومن الواضح أن أخذ الربا من هذا المستثمر يؤدي - كنتيجة نهائية -
إلى تشديد الضغط على الفقراء أيضاً، فهو من أجل أن يعوض نسبة
الربا المفروضة عليه، يضطر إما لتخفيض أجور العمال، وهم عادة من
ذوي الدخل المحدود، وإما لزيادة قيمة منتجاته، مما ينعكس سلباً على
الفقراء.

ثم إن الربا يخلق شريحة غير منتجة في الأمة، إذ إن كثيراً من الناس
سيدفعهم هذا الإثراء السهل إلى التحول إلى مرابين، بدءاً من محيط

القرية الصغيرة، وانتهاء بالمستوى العالمي، وما يعني خلق شريحة غير منتجة، بل شريحة تعتمد في إثراءها على امتصاص دماء الآخرين، مما يسبب توسيع الهوة بين الأغنياء والفقراء، فيزداد الأغنياء غنىً والفقراء فقراً، وهذا بدوره سستمنخفض عنه سلسلة من الاضطرابات الاجتماعية على المدى القصير والبعيد.

فعلى المدى القصير، يؤدي الضغط الاقتصادي إلى تحطيم بناء الأسرة ويخلق أمراضاً نفسية مثل الكآبة ويسبب تدهور الأعصاب، بل يوفر الأرضية لحدوث أمراض عديدة متنوعة أخرى، مما ينعكس كل ذلك على الإنتاج مباشرة، ويزيد الفقراء فقراً من عدة جهات.

وقد توصلت (اليابان) أخيراً إلى الأضرار الكبيرة للربا، فخفضت نسبة الفائدة إلى أن أوصلتها إلى قريب من نسبة الصفر، ثم أوصلتها إلى الصفر في الشهر السادس أو أواخر الشهر السابع^(١).

وفي الاتجاه المعاكس فإن تحريم الربا يدفع للإنتاج الواقعي المثمر: المزارعة.. المضاربة.. البناء.. وما إلى ذلك.

وتعبير آخر فإن الربا يحول النقد من واسطة سليمة لتبادل البضائع إلى (بضاعة كاذبة)^(٢).

(١) حسب ما ورد في مجلة (نيوزويك) وغيرها.

(٢) يقول المرجع الراحل الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي قَتْنُ في كتابه (فقه العولمة): ويميز العولمة الإسلامية من الجانب المادي والمالي: عدم المراباة، فإن عدم المراباة هو الميزة الجوهرية للاقتصاد الإسلامي، حيث لا يُظلم صاحب رأس المال ولا يُظلم، كما قال تعالى، وهذه الميزة اللاربوية هي من



مفاخر وخصائص هذا الاقتصاد السماوي السليم، وبها يتميز ويتفرد وبشكل واضح عن الاقتصاد الرأسمالي وعن الاقتصاد الشيوعي والاشتراكي البائد، وقد أخذت العديد من البنوك في العالم نظريات البنك اللاربوي في الإسلام، الذي هو واقعاً مصداق البنك التساهمي، والذي لا يحيف بزبائنه، بل يتحمل كل منهم كلاً من الربح والخسارة، مع الخضوع لمتغيرات السوق وتقلباته. ويضيف تَكْتُمُ يحرم الربا وتحرم المعاملات الربوية، فقد كتب الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان فيما كتب من جواب مسأله:

«علة تحريم الربا إنما نهى الله عزوجل عنه لما فيه من فساد الأموال، لأن الإنسان إذا اشترى الدرهم بالدرهمين كان ثمن الدرهم درهماً وثمن الآخر باطلاً ببيع الربا وشراؤه وكَس على كل حال على المشتري وعلى البائع، فحظر الله تبارك وتعالى على العباد الربا لعله فساد الأموال، كما حظر على السفينة أن يدفع إليه ماله لما يتخوف عليه من إفساده حتى يؤنس منه رشداً، فلهذه العلة حرم الله الربا، وبيع الربا بيع الدرهم بدرهمين، وعلة تحريم الربا بعد البينة لما فيه من الاستخفاف بالحرام المحرم وهي كبيرة بعد البيان وتحريم الله تعالى لها لم يكن ذلك منه إلا استخفافاً بالمحرم للحرام والاستخفاف بذلك دخول في الكفر، وعلة تحريم الربا بالنسيئة لعله ذهاب المعروف وتلف الأموال ورغبة الناس في الربح وتركهم القرض وصنائع المعروف، ولما في ذلك من الفساد والظلم وفناء الأموال». وسأل هشام بن الحكم أبا عبد الله عليه السلام عن علة تحريم الربا؟ فقال: «إنه لو كان الربا حلالاً لترك الناس التجارات وما يحتاجون إليه فحرم الله الربا ليفر الناس من الحرام إلى الحلال وإلى التجارات وإلى البيع والشراء فيبقى ذلك بينهم في القرض».

ويقول آية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي قدس سره في كتابه (الاقتصاد):

تدور فكرة الإسلام عن الملكية على نقطة واحدة، هي من حيث التحليل والتحريم من منابع الثروة، وهي قانون (تكافؤ الفرض) فالعمل سبب لتنمية المال، فينفسه لا ينمو، والنقود لا تلد النقود، ولو مر عليها ألف سنة... من وحي هذه الفلسفة الواقعية ينظم الإسلام برنامج اقتصادياته، ويرسم الحدود والقيود للمكاسب وعلى هذا الضوء يحرم أشياء ويحلل أشياء. ويضيف الشهيد قدس سره: الربا عصب الرأسمالية ودعامتها الراسية، لأن الربا لا يكون إلا في المجتمع المضطرب، فيه الثري الذي نقوده أكثر من نفقاته وتجارته، وفيه المحتاج الذي سدت في وجهه السبل، فلم يجد منفذاً يرتزق منه أينما اتجه، حتى التجأ إلى المعاملات الربوية بدافع الحاجة والاضطرار، وإن خسر الفائض كل يوم، لكنه كالمقدم على الانتحار... وهكذا الربا ينمو ويزيد أضعافاً مضاعفة، فما هي إلا سنوات حتى تتسرب ثروات هائلة من أنامل الكادحين إلى مخازن المترفين. انتهى.

وإلى بعض ما سبق، وغيره أشار الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله هشام بن الحكم قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن علة تحريم الربا؟
فقال عليه السلام: «إنه لو كان الربا حلالاً لترك الناس»^(١) - والمقصود كثير
من الناس -- «التجارات وما يحتاجون إليه، فحرم الله الربا لتنفر الناس
عن الحرام إلى التجارات وإلى البيع والشراء فيتصل ذلك بينهم في
القرض»^(٢).

١٠: تلويث البيئة

من أهم أسباب الفقر الإضرار بالبيئة، وقد حذر الله من ذلك
بقوله: ﴿وَإِذَا قَوْلِي سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ
وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(٣).

وإفساد البيئة عامل تتعاون فيه الحكومات والشعوب.
فالحكومات هي السبب الرئيس في إفساد البيئة، ومن الأمثلة

(١) من لايحضره الفقيه ج ٣ ص ٥٦٧.

(٢) في تقرير نشر على شبكة النبا المعلوماتية يظهر أن الكثير من الاقتصاديين اعتبر التمويل والصناعة المالية الإسلامية أثبتت بعد الأزمة المالية العالمية أنها النظام الوحيد الممكن لتلافي الأزمات المتكررة. فيما بعد قيام الحكومات الغربية بتأميم فعلي لشركاتها المتعثرة، ردة على مبادئ وأساسيات الاقتصاد الرأسمالي، مما يثبت انقضاء تلك الحقبة. وللتفاصيل (راجع الملحق ٢٨١/١١).

(٣) سورة البقرة: ٢٠٥.



على ذلك:

رفض أميركا للدخول في اتفاقية كيوتو للحد من انبعاث الغازات السامة التي تسبب أضراراً بليغة بطبقة الأوزون. ومثال المعمل النووي في الإتحاد السوفياتي السابق (تشرنوبيل)، وغير ذلك.^(١)

كما أن (الشعوب) مسؤولة أيضاً.

وواضح أن إفساد البيئة يزيد الفقراء فقراً، كما يسبب تحول مجاميع كبيرة من الطبقة المتوسطة إلى الطبقة الفقيرة، إذ فساد البيئة يعد من أهم أسباب الأمراض، والأمراض هي من أهم أسباب الفقر، لأن المرض:

أ: يسقط العامل عن العمل والإنتاج، فتحرم الأسرة من عائلها.
ب: ويضع تكاليف هائلة على أكتاف الأسرة، مما لا تستطيع حتى الأسر المتوسطة في كثير من الأحيان تحمل ذلك.
وفساد البيئة يضر بالإنتاج الزراعي أيضاً، مما ينعكس سلباً على الفقراء.

(١) قالت دراسة: إن تدهور البيئة يمكن أن يدفع قرابة ٥٠ مليوناً إلى النزوح عن مواطنهم بحلول عام ٢٠١٠. وإن العالم بحاجة لتعريف نوع جديد من اللجوء اسمه (اللاجئ البيئي). وأظهرت الدراسة التي أعدها معهد البيئة والأمن البشري التابع لجامعة الأمم المتحدة أن التصحر وارتفاع مستويات المياه في البحار والفيضانات والعواصف المرتبطة بتغير المناخ ربما تؤدي لنزوح مئات الملايين. وقدر أن نحو ٢٠ مليوناً اضطروا بالفعل للنزوح بسبب مشكلات مرتبطة بتدمير البيئة تراوحت بين تآكل الأراض الزراعية إلى تلوث إمدادات المياه. وللتفصيل (يراجع الملحق ١٢/٢٨٣).

وللتفاصيل راجع (الفقه: البيئـة) للإمام الشيرازي رحمـة الله عليه.

١١: الإسراف والتبذير

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ﴾^(١).

وقال الإمام علي عليه السلام: «التبذير عنوان الفاقة»^(٢).

والفاقة هي الحاجة، فإذا أردت أن تكون محتاجاً إلى الآخرين، ماداً يدك إليهم، ملتمساً فئات موائدهم، فما عليك إلا بتبذير أموالك وإنفاقها على الحفلات والأكلات والسفريات والكماليات ونظائرها.

وقال عليه السلام: «من افتخر بالتبذير احتقر بالإفلاس»^(٣).

وقال عليه السلام: «كن سمحاً ولا تكن مبدراً، وكن مقدراً ولا تكن

مقتراً»^(٤).

وما أكثر التبذير في عالم اليوم؟

وقال عليه السلام: «ذر السرف فإن المسرف لا يُحمد جُوده ولا يُرحم

فقره»^(٥).

واللفتة الرائعة في هذه الرواية، إنها جمعت الأمر بترك الإسراف، إلى

التعليل والحكمة، والسبب في ذلك النهي، والسبب هو إن المسرف

(١) سورة الإسراء: ٢٧.

(٢) غرر الحكم: ص ٣٥٩.

(٣) غرر الحكم: ص ٣٦٠.

(٤) نهج البلاغة: ص ٤٧٤.

(٥) غرر الحكم: ج ١ ص ٣٦٥ الفصل الثاني والثلاثون ح ٢٨.



ليس جوده وبذله غير المدروس، بمحمود ولا ممدوح، كما أن فقره الذي نتج عن إسرافه، لا يستتبع رحمة الله له ولا رحمة الناس، لأنهم يرونه المقصّر في فقره، بتهوره وإسرافه.

وقال عليه السلام: «سبب الفقر الإسراف»^(١).

وهذا حديث صريح في أن الإسراف هو سبب الفقر، وإطلاقه يحكم بأن ذلك صحيح سواء على مستوى الأفراد أم الجماعات أم الدول.. وما أكثر إسراف الدول!

وقال عليه السلام: «من أشرف الشرف الكف عن التبذير والسرف»^(٢).

إذن: شريف هو من لا يرمي النواة وبها بعض الفاكهة.. وشريف هو من يغلق حنفية الماء أثناء الوضوء أو غيره.. وشريف هو من يطفأ المصابيح في غير وقت الحاجة.. وشريف هو من لا يرمي الأجهزة المستعملة في القمامة، وكذا الملابس، والفرش، وحتى الانقاض، بل يجد لها المصرف الملائم، أو يبيعهها لطلابها.. بل كل ذلك من أشرف الشرف.

وقال عليه السلام: «ويح المسرف ما أبعد عن صلاح نفسه واستدراك

أمره»^(٣).

وهذا يعني ان الصلاح والإسراف، ضدان لا يجتمعان، كما يعني

(١) غرر الحكم: ج ١ ص ٣٩٠ الفصل الثامن والثلاثون ح ٢٠.

(٢) غرر الحكم: ج ٢ ص ٢٥٦ الفصل الثامن والسبعون ح ١٣٨.

(٣) غرر الحكم: ج ٢ ص ٣٠٣ الفصل الثالث والثمانون ح ٣١.

ان الإسراف يعني قَصْرَ النظر ويعني التفريط بعاقبة الأمر.

استثناء الإسراف في أفعال الخير

قال علي عليه السلام: «الإسراف مذموم في كل شيء إلا في أفعال البر». ^(١)

وفلسفة هذا الاستثناء، أن (أفعال الخير) تعود بالمردود الاقتصادي والاجتماعي والنفسي - إضافة للأخروي - على الإنسان نفسه، فإن من ينفق بسخاء في أفعال البر - كالفقراء والأيتام وكتأسيس المساجد والمدارس والمكتبات والحسينيات والمعاهد ومراكز الدراسات والجامعات والحوزات - فإنه يكسب ثقة الناس وحبهم، فيمد الجميع إليه يد العون ولا يسمحون بان تنهار تجارته أو يخسر في صفقاته، ولئن سقط رَفَعَهُ الجميع معهم وأسنده كل منهم بنوع وشكل وطريقة فيعود أقوى مما سبق، ولذلك قال أيضاً عليه السلام: «في كل شيء يذم السرف إلا في صنائع المعروف والمبالغة في الطاعة». ^(٢)

ولعل خروج الإسراف في (صنائع المعروف) عن المذمة هو خروج تخصصي، أي انه ليس في جوهره إسرافاً لأنه مال الله وقد أنفقه العبد في طاعة الله أو في ما أمر الله به من المعروف، وليس الخروج خروجاً تخصصياً. فتأمل.

(١) غرر الحكم: ج ١ ص ١٠١ الفصل الأول ح ١٩٦٠.

(٢) غرر الحكم: ج ٢ ص ٥٦ الفصل الثامن والخمسون ح ٨٥.



وعلى أية حال فإن هاتين الروایتين لا مجال لاستغرابهما بعد مطابقتهما لكتاب الله، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ كما يحتمل ان يكون الاستثناء لإيجاد التوازن.

٢١: الغش والتطفيف

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (١).

وفي رواية:

«ما ظهر البخس في الميزان إلا وظهر فيهم الخسران والفقير» (٢).

وقال تعالى: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (٣).

وهذا ما يقوم به الدول وبعض التجار الآن، وهو من أسباب الفقر لأن التطفيف في الميزان ينعكس سلباً على الطبقة محدودة الدخل بشكل مباشر.

وكما التطفيف، كذلك الغش فإنه يضغط على الفقراء مباشرة، وقد نهى الإمام الباقر عليه السلام هشام من أن يبيع السابري - وهو نوع قماش ثمين - في الظلال وقال عليه السلام:

(١) سورة المطففين: ١ - ٣.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٢٣٤، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٣ ص ٤١٠.

(٣) سورة الأعراف: ٨٥.

«يا هشام إن البيع في الظلال غش والغش لا يحل»^(١).

ومن إرشادات الإمام الصادق (عليه السلام): «ولا تكتم عيباً يكون في تجارتك، ولا تغبن المسترسل فإن غبنه لا يحل، ولا ترض للناس إلا بما ترضى لنفسك، وأعط الحق وخذه ولا تخن ولا تخف»^(٢).

وواضح أن عدم كتمان العيب وعدم غبن البسطاء، له أثر مباشر في تخفيف الضغط على الفقراء، وله أثر غير مباشر من حيث إشاعته الثقة بين الناس، مما ينعكس إيجاباً على العلاقات الاجتماعية، ويخفف بؤر التوتر والاضطراب الاجتماعي مما يوفر الأرضية لاقتصاد مستقر مزدهر، إضافة إلى أنه يدفع الجميع نحو الإلتقان في الإنتاج - بدل الغبن والتطفيف - مما يحسن الجودة، فتطول أعمار المنتجات، فيقل الضغط على الفقراء، لعدم اضطرابهم لشراء البضاعة من جديد بعد فترة قصيرة، نظراً لخرابها أو تعطلها أو ما أشبهه.

٣١: تزوير العملة

فإنه من أسباب الغلاء والفقر، لأن طباعة النقد والعملة أكثر من واقع الخلفية الاقتصادية الحقيقية له يعد من أسباب التضخم، ولذا نجد الإمام الكاظم (عليه السلام) نظر إلى دينار، فلما شاهد أنه مغشوش أخذه

(١) تهذيب الأحكام: ج٧ ص١٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٣٨٥.



بيده ثم قطعه نصفين وقال:

«ألقه في البالوعة حتى لا يباع شيء فيه غش».

وكان في ذلك رسالة مهمة لكل من يقوم بعملية تزوير العملات.
وقد قال الإمام علي عليه السلام في نظير المقام متحدثاً عن العالم الفاسق
(ونصب للناس اشراكاً من حبائل غرور وقول زور)
وقال أمير المؤمنين أيضاً (فان أموال المسلمين لا تحتمل الاضرار)^(١)

٤١: فرض الضرائب على الاستهلاك

وهذا خطأ فادح وقعت فيه حكومات عالم اليوم، بينما نجد أن
الإسلام يضع الضرائب على الفائض من الأرباح، فإن الضريبة
على الاستهلاك تضغط على الفقراء بشدة، وتزيدهم فقراً إلى
فقر.

فإننا نجد في الدول الغربية أن الضريبة تجعل على كل بضاعة
حيث إن كل ما يشتري من السوبر ماركت أو السوق فإن ضريبته
معه، مما يشكل أكبر العبء على الفقراء.^(٢)

أما ضرائب الإسلام، وهي الخمس والزكاة مثلاً، فلا تؤخذ إلا إذا
فاض شيء عن احتياجات الشخص (من مأكلاً وملبساً ومشرباً

(١) الخصال: ص ٣١٠، وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٤٠٤.

(٢) ضريبة على القيمة المضافة هي ضريبة مركبة تفرض على فارق سعر التكلفة وسعر المبيع
للسلع، وقد ظهرت للمرة الأولى سنة ١٩٥٤ في فرنسا.
للتفصيل (يراجع الملحق ١٣/٢٨٦).

ومركب ومسكن وزواج وسفر ونزهة على حسب شأنه وشبهه ذلك) فيؤخذ منه الخمس بعد مرور سنة كاملة على الربح^(١) وبعد استثناء كافة المؤن والنفقات.

وقد قال الإمام علي^{عليه السلام} في عهده مالِك الاِشْتَرِ «وَلْيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أْبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخِرَاجِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ؛ وَمَنْ طَلَبَ الْخِرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا. فَإِنْ شَكُوا ثِقَلًا أَوْ عِلَّةً، أَوْ انْقِطَاعَ شَرْبٍ أَوْ بَالَةٍ، أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ، أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ، خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرَجُّو أَنْ يَصْلِحَ بِهِ أَمْرُهُمْ؛ وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمُؤُونَةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذَخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ، وَتَزْيِينِ وَلايَتِكَ، مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنِ ثَنَانِهِمْ، وَتَبَجِّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ، مُعْتَمِدًا فَضْلَ قُوَّتِهِمْ، بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ، وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرَفَقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَّثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ احْتِمَالُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ؛ فَإِنَّ الْعُمَرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا، وَإِنَّمَا يُعَوِّزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوَلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ، وَسَوْءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ».

٥١: إغراق الأسواق

وقد حرم الإسلام ذلك، لأنه يسبب الأضرار بالاقتصاد الوطني،

(١) وقيل: على بدء الاستثمار والتجارة.



وهو يعد منافسة غير عادلة، ويسبب إغلاق المصانع وتسريح العمال، كما يسبب اضطرابات اجتماعية وسياسية، كما يؤدي إلى خفض الإنتاج الوطني.

وقال رسول الله ﷺ: لا ضرر ولا ضرار. وقال أمير المؤمنين عليه السلام رادعاً عن كل ما يضر بالعمامة (أن في كثير منهم - أي التجار وذوي الصناعات - ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع... وذلك باب مضرة للعمامة).

لذلك أفتى الإمام الشيرازي رحمته الله في (الفقه: المرور) ^(١) بتحريمه، لقاعدة لا ضرر.

والإغراق هو أحد أهم أدوات الدول الاستعمارية لتحطيم الشعوب الناهضة وهي من أهم أضرار العولمة أيضاً.

(١) الفقه المرور: ص ١٧٦ - ١٧٧.



الباب الثاني

الفقير
تنقيفه واجباته ومسؤولياته
وطرقه نحو الثراء



الفقير: تثقيفه، واجباته ومسؤولياته، وطرقه نحو الثراء

تمهيد:

تتوزع مباحث هذا الباب على محاور ثلاثة:
المحور الأول: يبحث عن الرؤية العامة تجاه الفقر، وعن الثقافة التي ينبغي للفقراء ان يثقفوا بها أنفسهم حسب ما يستفاد من تعليمات أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.
المحور الثاني: يتضمن الإشارة إلى بعض أهم واجبات الفقير كما يتضمن - وبالذلة الالتزامية - بعض أهم مسؤولياته.
المحور الثالث: يدور عن الطرق والسبل والآليات والعلل المعدّة^(١) التي يمكن للفقراء أو التي يلزم عليهم ان يلتزموا بها كي يخرجوا من دائرة الفقر.

وغير خفي أن الكثير من هذه الطرق والآليات، وتلك المسؤوليات والواجبات، ليست خاصة بالفقراء، بل هي عامة تشمل الطبقة المتوسطة والأغنياء أيضاً^(٢)، إلا اننا خصصنا الفقراء بالذكر لمسييس

(١) العلة المعدّة هي - حسب المصطلح - ما يلزم من وجوده وعدمه الوجود، ويقصد بها المقدمات الطبيعية التي ينبغي توفيرها للوصول إلى الغاية المنشودة، والتي بتتابعها وتعاقبها وتوفرها على الشروط الأخرى، تقتضي ذلك.

(٢) فان الأغنياء مرشحون لأن يتحولوا إلى فقراء إذا أهملوا سبل المحافظة على الثروة كما ان ثرواتهم ستكون الطريق المعبّد نحو (الشقاء) لا السعادة، لو أهملوا واجباتهم ومسؤولياتهم.



حاجتهم إليها .

كما أن من الضروري التنبيه على أن بعض ما أدرج في دائرة المسؤولية، يصلح أن يدرج في محور الطرق والسبل، وبالعكس، مع بعض التحوير والتطوير نظراً لاشتغال تلك العناوين على كلتا جهتي المسؤولية والطريقة والعلية الاعدادية^(١) .

ولم نأخذ على عاتقنا استيعاب كلمات ورؤى أمير المؤمنين حول هذه المحاور الثلاثة، فان ذلك يستدعي كتابة مجلد ضخم بل أكثر، بل اقتصرنا على مقتطفات وشذرات ودرر وفوائد، وباختصار وإيجاز. ثم إننا اعتمدنا في اختيار كلمات الأمير عليه السلام على كتاب (المال، أخذاً وعطاءً وصرفاً) الذي يقع ضمن موسوعة (الفقه) الكبرى للسيد الوالد قدس، فاقتطفنا بعض ما استعرضه من أحاديث شريفة، وأضفنا عليه بعض التعليق أو الشرح والتوضيح.

(١) فمثلاً (ساعدوا أهاليكم) هي مسؤولية، إذ مساعدة المرء لأهله تعد من أهم مسؤولياته الإنسانية، كما هي في الوقت نفسه آلية من آليات المحافظة على الثروة وتنميتها إذ التعاون يعد من أقوى سبل الحفاظ على المكتسبات وتنميتها. وكذلك الحال في (التزم الرفق والقصد) وهكذا، فتدبر جيداً

(المحور الأول)

الرؤية العامة تجاه الفقر وكيف يجب أن تكون ثقافة الفقراء؟

طلب الحلال عبادة

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سأل ربه سبحانه وتعالى ليلة المعراج فقال: يا رب أي الأعمال أفضل؟ - إلى أن قال -: فقال الله تعالى: يا أحمد، إن العبادة عشرة أجزاء، تسعة منها طلب الحلال فإن أطيب مطعمك ومشربك، فأنت في حظي وكنفي.^(١)
وهنا سؤالان:

السؤال الأول: كيف يكون طلب الرزق الحلال عبادة؟

الجواب: إن (العبادة) هي ما يتقرب به إلى الله تعالى، وهي ما يتعبدنا به الرب وكما يتقرب العبد إلى الله تعالى بـ(الصلاة) لأنها مما يحبه الله تعالى، كذلك يتقرب العبد إلى الله تعالى بطلب الحلال لأنه مما يحبه الله تعالى.

وكما يطلب العبد رضا الله تعالى بالصلاة والحج، فانه يطلب رضاه بأن يتبع منهج الله تعالى ودساتيره وقوانينه في طلب المال الحلال دون المال الحرام

(١) جامع أحاديث الشيعة: ج ١٧ ص ٨٦، إرشاد القلوب: ج ١ ص ٢٠٣.



وكما ان (العبد) يتألق بالسمو الروحي، ويقترب إلى الله أكثر فأكثر بذلك، كذلك فانه يتألق بالنزاهة المالية، ويقترب إلى الله أكثر فأكثر بذلك.

السؤال الثاني: لماذا (العبادة عشرة أجزاء، تسعة منها طلب الحلال)؟

الجواب: لعل من أسباب ذلك، إن (طلب الحرام) هو المنشأ الأكبر لفساد الآخرة والدنيا، إذ ليس من طلب الحرام: السرقة بأنواعها، الغش، الرشوة، الاحتكار، الربا، الغصب، القمار، وهذه نظائرها تنسف أسس المجتمع والأمة وتحطم دعائم الحضارة، وتقضي على القيم والأخلاق، وتسلب الناس أمنهم الاقتصادي، بل وأمنهم الاجتماعي أيضاً هذا إضافة إلى أن من طلب الحلال، صحت عباداته، اما من طلب الحرام، فسكن في دار اشتراها من أموال محرمة أو لبس ملابس ملوثة بالحرام مثلاً، فإن (صلاته) - وهي عمود الدين - لا تقبل منه!

الكسب فريضة

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: طلب الكسب فريضة بعد الفريضة.^(١)
 (الفريضة) المعروفة هي الصلاة وهي (عمود الدين) و(معراج المؤمن) وهناك (فريضة) أخرى - يصرح بها هذا الحديث - وهي: فريضة

(١) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ١٧ ب ١٧ ح ٧٩، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٧ ص ١٤.

(الكسب) والاكْتِسَاب، فإن الانفاق على النفس وعلى الزوجة والأولاد والأبوين والأجداد - وأيضاً: الجدات ولكن فتوى على رأي واحتياطاً على رأي - واجبة، وكذلك الانفاق على ما تملكه من طائر أو دابة ومواشي وأنعام ودواجن.

من أنواع الجهاد: الجهاد الاقتصادي

عن موسى بن بكر، قال لي أبو الحسن (عليه السلام): من طلب هذا الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله ﷺ، فإن غلب عليه ذلك، فليستدن على الله ﷻ وعلى رسوله ما يقوت به عياله، فإن مات ولم يقضه كان على الإمام قضاؤه فإن لم يقضه كان عليه وزره، إن الله ﷻ يقول: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَةَ فَلُوْهُمُ فِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ ﴾^(١) فهو فقير مسكين مغرم.^(٢)

يسفقد من هذا الحديث والأحاديث التالية وغيرها: أن هناك نوعاً من الجهاد هاماً جداً هو (الجهاد الاقتصادي).

ولعله لا يقل أهمية عن الجهاد العسكري، أي (جهاد الطواغيت والمعتدين)، فإن (الجهاد الاقتصادي) هو العلة المبقية لما يتحقق بالجهاد العسكري، من مكاسب وانجازات، وهو الضمانة لاستمرار الحياة

(١) سورة التوبة: الآية ٦٠.

(٢) الكافي (فروع): ج ٥ ص ٩٣ ح ٣.



بالشكل السليم.

ولهذا الجهاد ركنان:

١- أن يطلب الرزق من مصادر مشروعة.

٢- أن ينفقه في بناء الأسرة الصالحة ورعاية شؤونها، لأن (الأسرة) هي اللبنة الأساس الأولى في بناء المجتمع، فإن صلحت صلح المجتمع وإن فسدت فسد.

أما لو أغلقت الأبواب كلها على المرء، فعليه أن يستدين، فإن (الدين) باب من أبواب الحياة، وعليه أداء الدين، فإن لم يستطع فعلى بيت المال، وإذا لم يقدِر بيت المال - الذي تستحوذ عليه الحكومات في عالم اليوم - بذلك، كان الوزر والإثم والعقاب من نصيب القائمين عليه، أي كافة المسؤولين ممن ترتبط به هذه الأمور بوجه!

ثم إن الحديث عن (بيت المال) في معادلة الدولة وعن بيت المال الذي هو بحوزة الإمام العادل، ثم الذي يصل من الأموال إلى الفقهاء الجامعي الشرائط وتحديد الأولويات والحدود وغيرها، لهو حديث طويل وقد بحث السيد الوالد جوانب كثيرة من ذلك في (الفقه: الدولة الإسلامية) (الاقتصاد) وغيرهما، ولعل الله تعالى يوفق لكتابة دراسة مستوعبة عن ذلك.

هرم السعادة: التقوى، الصحة، والمال

وقال عليه السلام: ألا وإنّ من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال

صحة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب.^(١)
 إن (سعة المال) هي من النعم الإلهية، وليس (الفقر) فانه مصيبة،
 لكن الرواية تحدد في الوقت ذاته (هرم السعادة) إذ تقع في أعلى الهرم
 (تقوى القلب) والورع عن محارم الله، لأن (التقي) هو السعيد حقاً
 حقاً، ثم تقع (صحة البدن) في وسط الهرم، ثم تقع في آخر الهرم (سعة
 المال) لوضوح ان صحيح البدن وإن كان فقيراً هو أسعد حالاً من
 سقيم البدن - كمبتلى بمرض عضال كالسرطان أو الايدز، أو الزهايمر
 أو حتى أمراض القولون وشبهها - وإن كان سقيم البدن ذا مال، وهذا
 يعني أن لا يضحى المرء بصحته لأجل أن يحصل على أموال لمجرد
 أن يتضخم رصيده في البنك مثلاً.
 من غايات الشروة وأهدافها:

أ- الاعطاء في النوائب وتخفيف أثقال الناس

عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله ﷺ: «الفقر خير
 لأمتي من الغنى، إلا من حمل كلاً أو أعطى في نائبة».^(٢)
 (الغنى) لا يحمل قيمة ذاتية، بل قيمته طريقية، إذ يهدف به:

من جهة إلى أن (يحمل كلاً) كتكفل شؤون الأيتام والأرامل
 والمساكين بل وكتكفل شؤون الأسرة، بل وحتى تكفل شؤون
 (العشيرة) و(المنظمة) و(النقابة) وكتكفل شؤون وأعباء (المرجعية) أيضاً.

(١) غررالحكم: ج ١ ص ١٧٢ الفصل السادس ح ٢٥.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ١٥ ح ٥٢.



ومن جهة أخرى الى ان (يعطي في نائبة) كالمساعدة في حوادث الزلزلة، والأعاصير والفيضانات، بل وفي أمواج الكساد التي تعصف أحياناً بالسوق وغيرها.

ب - صيانة الأعراض

قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: إن أفضل الفعال صيانة العرض بالمال. ^(١)

إن الحصول على المال، مطلوب، ولكن لا لذاته، بل لتحقيق جملة من الأهداف ومنها (صيانة العرض)، والعرض أعم من عرض الشخص والأسرة والشعب والأمة، والحضارة والدين أيضاً، وهذا يعني ضرورة أن تبذل الأموال حفاظاً على (الكرامة الاجتماعية) وعلى (حسن السمعة) ثم إن لصيانة العرض بالمال، مردوداً اقتصادياً أيضاً، فإن التاجر ذا السمعة الحسنة يكسب، بأمانته وحسن سمعته، ثقة الناس، فيقبلون على التعامل معه، فتزداد ثروته .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام إنه قال: حصنوا الأعراض بالأموال ^(٢). وهو أمر والأمر دال على الوجوب والظاهر إنصراف (الأعراض) إلى ما كان حفظه واجباً، وإلا استحب التحصين.

وقال عليه السلام أيضاً: خير أموالك ما وقى عرضك. ^(٣)

(١) الكافي: ج ٤ ص ٤٩، وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ١٩٢.

(٢) غرر الحكم: ج ١ ص ٣٤٤ الفصل الثامن والعشرين ح ٤١.

(٣) غرر الحكم: ج ١ ص ٣٤٨ الفصل التاسع والعشرين ح ١٢.

فإن (الخير) بالجواهر لا المظهر، ويسمو الروح لا فخفخة المادة،
والعرض هو الجوهر وهو الجوهرة، والمال هو المادة والشكل والمظهر.
وقال عليه السلام أيضاً: لم يذهب من مالك ما وقى عرضك. ^(١)
وذلك لأن (المال) تحول إلى قيمة أسمى وتجسد في صورة عليا ولأنه
يجرّ إليك (الأموال) أيضاً، كما سبق.
وقال عليه السلام أيضاً: من النبل أن يبذل الرجل نفسه ويصون
عرضه. ^(٢)

(العرض) معانيه ودوائره

(العرض) مفهوم متعدد الأبعاد، ذو دوائر متعددة:
الدائرة الأولى: العرض بالمعنى الأخص، ويعني الشرف الشخصي
والعائلي في بعده الأخلاقي.
الدائرة الثانية: العرض بالمعنى الأعم، ويشمل كافة ما يرتبط
بالمكانة الاجتماعية وحسن السمعة الأخلاقية، والمالية، والإدارية
وغيرها، كما يشمل عرض الشخص، وعرض عائلته، وعرض حزبه أو
عشيرته أو خطه وتياره، وعرض دولته، وعرض أمته أيضاً.
قال في مجمع البحرين مادة عرض (قيل هو موضع المدح والذم من
الإنسان، سواء كان في نفسه أو سلفه أو من يلزمه أمره. وقيل هو جانبه

(١) غرر الحكم: ج ٢ ص ١٣٩ الفصل الرابع والسبعون ح ١٦.

(٢) غرر الحكم: ج ٢ ص ٢٥٣ الفصل الثامن والسبعون ح ٩٦.



الذي يصونه من نفسه وحسبه ويحمي عنه ان يُنتقص ويعاب).
وفي الرؤية العامة تجاه المال، لا بد أن يكون (المال) هادفاً، ومن أهم
الأهداف صيانة الأعراض في كلتا الدائرتين.

وعلى هذا فلا بد للأفراد، والعوائل، والتجمعات والمنظمات
والأحزاب والدول، والشعوب أن تخصص مقادير جيدة، من الأموال،
لكي تحظى بسمعة حسنة وذكر جميل، بين الأمم، وفي داخل دوائر
المجتمع، ولدفع أنواع التهمة والغيبة والانتقاص، ولكي يشتهر
الشخص بالأمانة والإخلاص والأخلاق والبرِّ والتقوى والعمل الصالح
والكفاءة والخبروية والجد والاجتهاد والروح الرياضية والشورية، إضافة
إلى تحليته واقعاً بكل ذلك. وقد قال النبي إبراهيم (واجعل لي لسان
صدق في الآخرين).

كما تلزم صيانة العرض الأهم بالعرض أيضاً ولذا قال عليه
السلام: وقَرَّ عرضك بعرضك تكرم وتفضّل تُخدم وأحلم تقدّم.^(١)
والروايات الواردة عن أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام ترشدنا
إلى أن من اللؤم انتهاج عكس ذلك، فقد قال عليه أيضاً: من اللؤم أن
يصون الرجل ماله ويبذل عرضه.^(٢)

وقال عليه أيضاً: وفور الأموال بانتقاص الأعراض لؤم.^(٣)

(١) غرر الحكم: ج ٢ ص ٣٠٥ الفصل الثالث والثمانون ح ٥١.

(٢) غرر الحكم: ج ٢ ص ٢٥٣ الفصل الثامن والسبعون ح ٩٧.

(٣) غرر الحكم: ج ٢ ص ٣٠١ الفصل الثالث والثمانون ح ٩.

بل أن (الأعراض) تبلغ أهميتها درجة أن يقول الإمام عليه السلام كما سبق (من النبل أن يبذل الرجل نفسه ويصون عرضه).^(١)

وهذا يعني فيما يعني (التضحية) بالنفس في سبيل صيانة (العرض) ومن الناحية الشرعية لذلك مصاديق منها: الدفاع عن (العرض) أي عن أهله - من أم وأخت وزوجة وبنت وغيرهن - أن تنتهك أعراضهن ومنها: الدفاع عن (العرض) أي عن سمعة الإسلام والمسلمين أن تلوث بل تبلغ أهمية العرض: درجة أن افتى بعض الفقهاء - ومنهم السيد الوالد - بحرمة إجراء (الحدود) إذا كان فيها تلويناً لسمعة الإسلام والمسلمين على تفصيل ذكره في (الفقه الدولة الإسلامية) وغيرها.

وقال عليه السلام أيضاً: وقوا أعراضكم ببذل أموالكم.^(٢)

ج - الإنفاق في طريق الطاعة

قال الإمام علي عليه السلام: إن أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالاً في غير طاعة الله فورثه رجل فأنفقه في طاعة الله سبحانه وتعالى فدخل به الجنة ودخل الأول به النار.^(٣)

(المال) هو الجسر الرابط بين الدنيا والآخرة:

فقد يشتري به الإنسان (السعادة) في الدنيا و(الجنة) في الآخرة،

(١) غرر الحكم ج ٢ ص ٢٥٣ فصل ٧٨ ح ٩٦.

(٢) غرر الحكم: ج ٢ ص ٣٠١ الفصل الثالث والثمانون ح ٨.

(٣) نهج البلاغة: قصار الحكم: حكمة ٤٢٩.



وهذا هو الذي يكسب المال من حِلِّه وينفقه في محله.
 وقد يشتمري به (الشقاء) و(الأعداء) و(البغضاء) في الدنيا و (النار)
 في الآخرة، وهذا هو الذي (كسب ما لا في غير طاعة...) .
 وقال الإمام علي عليه السلام: «لم يرزق المال من لم ينفقه»^(١).
 هل للمال قيمة (موضوعية)؟.. كلا وألف كلاس.. إذ ما قيمة المال
 (الجامد) المخزون في الصناديق أو المكتنز في الأرض أو حتى في المصرف
 والبنك؟

بل (المال) له القيمة (الطريقية) بأن تستخدمه في إسعاد عائلتك
 وجماعتك وشعبك، وفي تنشيط الحركة الاقتصادية وقد قال تعالى:
 (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ
 بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)

ولذلك يقول الإمام (لم يرزق المال من لم ينفقه) فمن لا ينفق
 المال في (التعليم) و(الصحة) و(الأمن) و(التقدم والازدهار) لنفسه
 وأسرته ومجتمعه، هو في الواقع (محروم من المال).

د - (السعادة في الدنيا) و(الفلاح) في الآخرة

عن أمير المؤمنين عليه السلام: يا ابن آدم، لا يكن أكبر همك، يومك الذي
 إن فاتك لم يكن من أجلك فإن همك يوم فإن كل يوم تحضره يأتي
 الله فيه برزقك، واعلم أنك لن تكتسب شيئاً فوق قوتك إلا كنت فيه

(١) غرر الحكم: ج ٢ ص ١٣٩ الفصل الرابع والسبعون ح ١٣.

خازناً لغيرك تكثر في الدنيا به نصيبك وتحظى به وارثك ويطول معه يوم القيامة حسابك، فأسعد بمالك في حياتك، وقدم ليوم معادك زاداً يكون أمامك، فإن السفر بعيد، والموعد القيامة، والمورد الجنة أو النار. (١)

(المال) ليس هدفاً بل هو وسيلة، والهدف أمران:

١- أن تكون سعيداً في الدنيا (فأسعد بمالك في حياتك) وجوهر السعادة في أن تُرضي بأموالك ربك، وبأن تُرضي بأموالك أهلَكَ وجيرانك وعشيرتك وشعبك، بأن تبذل لهم وتنفق عليهم وتمنحهم من العطايا والهدايا والخيرات والمبرات ما يجعلك القمة في الإنسانية، وبذلك كله تُرضي ضميرك ووجدانك أيضاً.

٢- أن تعمر بأموالك، آخرتك فإنها دار مقرِّك وفيها مستقرُّك؛ وكما وجدنا فإن الهدفين مترابطان برباط وثيق، بل أن أحدهما هو الوجه للآخر.

الفقر ضارٌّ

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الفقر يُخرس الفطن عن حجته، والمقل غريب في بلدته». ولكن لماذا يخرس الفقر الفطن عن حجته؟ والجواب هو أن الفقير لا يملك وسائل وأليات الدفاع عن حجته وحمايتها، والترويج لها، وإقناع الآخرين بها، وهل يسمح الفقر بامتلاك جرائد ومجلات وإذاعات وفضائيات؟ وهل بمقدور الفقير أن يؤسس مدارس

(١) مستدرك الوسائل: ج ١٣ ص ٣٥ ب ١١ ح ٧.



ومعاهد لتخريج علماء يحملون الفكر ويدافعون عنه بالحجة، ويوصلونها
للآخرين؟

إذن.. على الفقراء أن يمتلكوا الثروة، إذا كانوا ذوي فكر ورسالة
وهدف في الحياة .

(والمقل غريب في بلده) لأن (المقل) - الفاقد للأموال، والمعدات
والأجهزة ومؤسسات البنية التحتية - لا يلتف حوله الناس، إذ لماذا
يلتفون حوله؟ لذلك يكون عادة غريباً وهو في بلده.. فلا تكن مُقلّاً إن
أردت أن لا تكون غريباً.

أفقر الناس

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أفقر الناس من قتر على نفسه مع
الغنى والسعة وخلفه لغيره». (١)

وهل الفقر إلا الحرمان؟ وأي فقير أفقر من واجدٍ فاقد؟ وأي فقير
أفقر من جامعٍ لغيره وحارمٍ لنفسه رغم مسيس حاجته؟

ثقافة (الأمير) لا (الأسير)

وقال عليه السلام: استغن بالله عمّن شمّت تكن نظيره واحتج إلى من
شمّت تكن أسيره وأفضل على من شمّت تكن أميره. (٢)
الناس على أصناف ثلاثة:

(١) غرر الحكم: ج ١ ص ٢٠٩ الفصل الثامن ح ٥١٧.

(٢) كنز الفوائد: ج ٢ ص ١٩٤.

- ١- (الأمير) وهو من يحسن إلى الناس ويفيض عليهم من أفضله.
- ٢- (الأسير) وهو من يمدّ الحاجة إلى الناس.
- ٣- (النظير) وهو الذي لا يحسن للناس ولا يمدّ يده إلى الناس .
فأي الأقسام الثلاثة أفضل، وأي الناس تحب أن تكون؟
إن ثقافة (ان تكون أميراً) محسناً للناس، لو سادت المجتمع لتحوّل
أكثر الفقراء إلى أغنياء محسنين بدل أن يكونوا فقراء أسراء..
ثم إن هذه الثقافة لو سادت لزادت إنتاجية المجتمع بشكل
كبير جداً، فبدل أن يعتاد الفقراء، العيش على الصدقات والمعونات
الاجتماعية وعطايا الناس أو الدولة، فانهم لو تحوّلوا إلى تجار أو مزارعين
مبدعين أو صناعاً أو غير ذلك، الا يكون عندئذ اقتصاد الوطن بشكل
عام أقوى وأمتن وأكثر عمقاً ورسوخاً؟ نعم ستبقى فئة لا يمكنها أبداً
تجاوز حاجز الفقر - لعاهة أو غيرها - وهنا يجب على الآخرين ان
يقوموا بدورهم من (الاحسان) الذي أمر الله تعالى به (إن الله يأمر
بالعدل والإحسان).

الأعمدة الخمسة

روي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا فرغ من الجهاد يتفرّغ لتعليم
الناس والقضاء بينهم فإذا فرغ من ذلك اشتغل في حائط له يعمل فيه
بيده وهو مع ذلك ذاكر لله تعالى جلّ جلاله.^(١)

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٢٥، إرشاد القلوب: ج ٢ ص ٢١٨.



والمستفاد من الحديث كون الأعمدة الخمسة التالية، أساسية وضرورية، حيث أعطاها أمير المؤمنين صلوات الله عليه، الوقت والألوية:

- ١- الجهاد في سبيل الله.
- ٢- تعليم الناس وتثقيفهم.
- ٣- القضاء وفصل الخصومات.
- ٤- العمل باليد والكدح.
- ٥- ذكر الله تعالى حين العمل.

العامل في الدنيا هو الرابع في الآخرة

وعن النبي صلوات الله عليه وآله أنه قال: من أكل من كدّ يده مرّ على الصراط كالبرق الخاطف. ^(١)

ولعل من أسباب ذلك أن التعب والنصب والجهد وبذل الجهد في الدنيا، على طلب الحلال وعدم التحوّل إلى كلّ وعباً على الآخرين، يقابله في الآخرة - وكجزء له - اليسر والسهولة والخلاص من مصاعب ومخاطر الصراط، والوصول للمقصد والفلاح (أي الجنة الموعودة) كأسرع ما يكون.

العامل أفضل من حواربي عيسى

(١) جامع الأخبار: ص ١٣٩ الفصل التاسع والتسعون، مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٢٣ - ٢٤ ح ٥.

روي أنهم - الحواريون - اتبعوا عيسى عليه السلام وكانوا إذا جاعوا قالوا:
يا روح الله، جعنا، فيضرب بيده على الأرض سهلاً كان أو جبلاً فيخرج
لكل إنسان منهم رغيفين يأكلهما.

فإذا عطشوا قالوا: يا روح الله، عطشنا فيضرب بيده على الأرض
سهلاً كان أو جبلاً فيخرج ماء فيشربون.

قالوا: يا روح الله، من أفضل منا إذا شئنا أطعمتنا، وإذا شئنا
سقيتنا، وقد آمنّا بك واتبعناك؟

قال: أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه، فصاروا
يغسلون الثياب بالكرء.^(١)

وهذا يعني أن العمل والاعتماد على النفس، في توفير ما يحتاجه
الإنسان شخصياً، أفضل من الاستناد إلى الغير وإن كان ذلك الغير
نبياً وإن كان الطعام الذي يوفره غيبياً وبالاعجاز، وفي ذلك رسالة لكل
من يترك العمل الجاد، ويعوض عنه بالالتجاء إلى الدعاء أو التوسل
فقط، وفي الحديث (اعقل وتوسل).

حتى الأنبياء عليهم أن يعملوا

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أن أمير المؤمنين قال: أوحى الله ﷻ
إلى داود عليه السلام: إنك نعم العبد، لولا أنك تأكل من بيت المال ولا تعمل

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٤٤٨، مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٣٣ ب ٨ ح ٣. والكرء: أجر المستأجر،
راجع لسان العرب: ج ١٥ ص ٢١٨.



بيدك شيئاً.

قال: فبكى داود عليه السلام أربعين صباحاً^(١)، فأوحى الله ﷻ إلى الحديد، أن لن لعبدي داود، فالآن الله ﷻ له الحديد، فكان يعمل كل يوم درعاً فيبيعها بألف درهم، فعمل ثلاثمائة وستين درعاً، فباعها بثلاثمائة وستين ألفاً واستغنى عن بيت المال.^(٢)

وهذا يعني أنه حتى الأنبياء - وهم قمم البشرية، والمسؤولون عن تبليغ الرسالة وإرشاد الناس وهدايتهم - عليهم أن يعملوا لتأمين معاشهم، لا أن يتكلوا على بيت المال.

ولعل السبب في ذلك: أن يكونوا أسوة في العمل، ليقتدي بهم الناس، فلا ينفي ذلك لزوم التخصص، كالمعلم والمبلغ، والذي ليس بمقدوره إذا أراد أن يبدع أو حتى أن يؤدي مسؤوليته كاملة، إلا أن يعتمد على بيت المال أو خزانة الدولة.

العمل باليد هو سنة الأنبياء

الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه قال: رأيت أبا الحسن - أمير المؤمنين عليه السلام - يعمل في أرض له وقد استنقعت قدماه في العرق.

(١) والذي يبدو أنه لم تكن هناك (فرص للعمل) أمام داود، أو كان يجهلها أو يجهل وظيفته بالضبط، فكان يكاؤه، خوفاً من الله أو استعطافاً له ليرشده إلى نوع العمل الذي يرتضيه الله له.

(٢) الكافي (فروع): ج ٥ ص ٧٤ ح ٥.

فقلت له: جعلت فداك أين الرجال؟.

فقال: يا علي، عمَل باليد من هو خيرٌ مِنِّي ومن أبي في أرضه.

فقلت له: من هو؟

فقال: رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين وآبائي عليهم السلام كلهم قد عملوا

بأيديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والصالحين.^(١)

وبذلك يوضح الإمام لنا، أن (العمل) هو سنة وسيرة الأنبياء

والمرسلين والصالحين، ولم يكن قضية في واقعه أو حادثة خاصة

لسبب خاص.

والعمل بما يصحبه من عرق وتعب، له فوائد وآثار عديدة ومنها:

١- الوصول إلى الاكتفاء الذاتي في الحياة الشخصية.

٢- وصول الأمة إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي، فيما إذا اعتاد الجميع

على العمل المنتج.

٣- الصحة والسلامة البدنية، ولذا نجد القرويين والعمال أقوى

بنية وأصح أجساماً وأبعد عن الأمراض، من الخاملين وأرباب المكاتب

والأدوار الروتينية.

٤- تطهير البدن من الجراثيم والمكروبات والسموم - عبر خروج

العرق وغيره -.

٥- صقل شخصية الإنسان، بما يجعله يتعود على (الإنتاج)

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٩٨ ح ٢٨.



ويمتعد عن (الاتكالية).

٦- انه يمنح الإنسان لمحة تواضع، كما يزيد ارتباطه بالطبيعة.

٧- ويمنحه طول النفس، والصبر والجلد والقوة والشكيمة في

مواجهة الملهمات والنوازل.

٨- ويزيد الإنسان عزةً وكرامةً ومكانةً، ويعطيه مصداقية أكبر.

من علائم الزمن الغادر: صدارة الأشرار وبخل التجار و...

وقال عليه السلام: يأتي على الناس زمان عضوض بعض الموسر فيه

على ما في يديه ولم يؤمر بذلك، قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ

بَيْنَكُمْ﴾^(١) تنهد فيه الأشرار، وتُستذل الأحيار، ويباع المضطرون، وقد

نهى رسول الله صلوات الله عليه وآله عن بيع المضطرين.^(٢)

(الإخبار) قد يراد به (الإيشاء)، وقد يستلزمه، أو يدل عليه بدلالة

الاقْتِضَاءِ وقد يكون ملزومه، وعلى ذلك فإنه يستفاد من الحديث أمور

وأحكام:

١- لا تعض على ما في يدك ولا تبخل، بل عليك بالجود

والسخاء والعطاء.

٢- لا تجعل موقع الصدارة للأشرار، ولا تسمح لهم بتسنم موقع

الصدارة الاقتصادية أو غيرها، لأنهم إن صاروا في القمة كانوا كما قال

أمير المؤمنين عليه السلام: (يخضمون مال الله خضم الإيل نبتة الربيع)

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٧.

(٢) نهج البلاغة: قصار الحكم: حكمة ٤٦٨.

٣- ولا تستنذل الأحميار، ولا تُهنهم ولا تحقرهم، بقول ولا فعل ولا موقف، ولا تسمح لأحد بأن يفعل ذلك.

٤- لا تنتهز الظروف الصعبة للطرف الآخر، كي تشتري منه منزله أو متجره أو بضائعه، بأبخس الأثمان.

النظرة المتوازنة للعمال والعمل

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لن يفوتك ما قسم لك فأجمل في الطلب»^(١).

وفي الحديث (الرزق رزقان: رزق تطلبه ورزق يطلبك).

والمراد من (لن يفوتك ما قسم لك)، ومن الحديث الآتي (الأرزاق لا تنال بالحرص والمغالبة)، ومن (إن سعيه لا يزيده فيما قدر له منها) هو (الرزق الذي يطلبك)، أي ما كان من دائرة اللوح المحفوظ، وبذلك تعطينا الروايات نظرة متوازنة، فلا تترك الطلب والكسب بالمرة، ولا تكن حريصاً أشد الحرص شرهاً، بل (أجمل في الطلب)، أي أطلب لكن بحكمة واعتدال وجمال، ولا يكونن كدك كدأ فاحشاً.

وأما الرزق الذي تطلبه، فهو ما كان من دائرة لوح المحو والإثبات، وهو ذا حدود وموْطر بإطار اللوح المحفوظ، فهناك مساحة للحركة، وقد تكون واسعة، إلا أنها ليست معلقة مطلقاً أو لا نهائية كاملاً، فأطلب

(١) غرر الحكم: ج ٢ ص ١٣٠ الفصل الثاني والسبعون ح ٣٧.



إذن لكن من حله وانفق إذن لكن في محله. (١)

الثروة والنعمة قد تتحول إلى نقمة

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «اعلموا يقيناً أن الله لم يجعل للعبيد وإن عظمت حيلته و اشتدت طلبته و قويت مكيدته أكثر مما سمى له في الذكر الحكيم، و لم يحل بين العبد في ضعفه و قلة حيلته و بين أن يبلغ ما سمى له في الذكر الحكيم، و العارف لهذا العامل به أعظم الناس راحة في منفعة و التارك له الشاك فيه أعظم الناس شغلاً في مضرة و رب منعم عليه مستدرج بالنعمة، و رب مبتلى مصنوع له بالبلى فزد أيها المستمع في شكرك و قصر من عجلتك و قف عند منتهى رزقك». (٢)

والحديث كله رائع، لكن سنقتصر على قوله (عليه السلام) «و رب منعم عليه مستدرج بالنعمة» فنقول:

المال والجمال والشهرة والقوة، نعم، لكن العبرة بالخواتيم، فقد تتحول كلها نقماً إذ (رب منعم مستدرج بالنعمة)، فقد تجرّ الأموال، صاحبها إلى الظلم والعدوان والغرور والطغيان، وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَضَ ﴿٧﴾ وَقَالَ ﴿٨﴾ أَنَّمَا أَمْلِيَ لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴿٩﴾. (٣)

(١) أي لا في تشييد مؤسسات الضلال والإضلال أو في تأييد الظالم، أو في الفسار والبغاء وغيرها.

(٢) نهج البلاغة: ص ٥٢٣.

(٣) سورة العلق: آية ٦ - ٧.

(٤) سورة آل عمران: آية ١٧٨.

(المحور الثاني)

واجبات الفقير ومسؤولياته

هل (على الفقير) ان يستسلم لفقره؟ بل هل (للفقير) أن يستسلم لفقره؟ أم إن عليه واجبات عقلية وشرعية، تكفل له ان التزم بها الخروج - في المدى البعيد - من تحت خط الفقر، كما عليه مسؤوليات تحدد إطار وكيفية تعامله مع نفسه ومع الآخرين، ما دام يعيش حالة الفقر والحرمان؟

هذا هو ما تتناوله عناوين هذا الفصل بإيجاز.

عليك بالاكْتفاء الذاتي

قال عليه السلام: «ومن فتح على نفسه باباً من المسألة فتح الله عليه باباً من الفقر»^(١).

وهذا يعني: لا تسأل ولا تستجد بل أعمل ثم أعمل وهذا يعد من أهم واجبات الفقراء. وقد أشرنا إليه في موضع آخر.

عَفٌّ عن الحرام

وقال الإمام علي عليه السلام: «العفاف زينة الفقير، والشكر زينة الغني»^(٢).
ان تعفَّ عن الحرام والسرقه والغش والخداع والاستجداء والتذلل،

(١) كنز الفوائد: ج ٢ ص ١٩٣.

(٢) كنز الفوائد: ج ٢ ص ١٩٣.



هو العفاف وهو زينة الفقر، و(العفاف) يعد من أهم مواصفات الفقراء.

تكتم على ضرّك

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من أبدى إلى الناس ضرّه فقد فضح

نفسه»^(١).

و(الضر) عنوان عام يشمل (الأمراض) و(الخلافات) و(العداوات)

و(النواقص) و(الفقر)

وعلى من ابتلي بالضر ان يحافظ على كرامة نفسه فلا يبتذلها

عند هذا وذاك بان يذكر نقاط ضعفه ونواقصه، أو بان يستجدي الرثاء

ويستعطي الأموال، بل عليه أن يسعى لكي يرفع نواقصه، ويعالج

ضرّه بالحكمة والعمل الدؤوب والصبر على مشاق الكفاح والنضال

من أجل التطور والتكامل.

اترك السؤال

وقال عليه السلام: «خير الغنى ترك السؤال»، فإن (السؤال) ليس إلا

(سمكة) تحصل عليها، ثم تعود محتاجاً من جديد، أما لو تركت

السؤال وانشغلت بالعمل والكفاح فإنك تكون قد حصلت على

(الشبكة) وعلى مصدر الطاقة المتجدد.

اترك الخضوع

(١) كنز الفوائد: ج ٢ ص ١٩٤.

وقال عليه السلام: «وشر الفقر لزوم الخشوع»، فان (الخشوع) ذل، وهو فقر نفسي يستتبع فقراً مادياً، وشر منه أن يتحول إلى عادة متجذرة في النفس، وهو ما عبر عنه الحديث بـ(لزوم الخشوع).

كن قانعاً

وقال عليه السلام: «لا ملك أذهب للفاقة من الرضا بالقنوع»^(١).
إن الرضا بالقنوع هو رمز السعادة، وأية ثروة أعظم من ثروة السعادة؟ لذا فانها الملك الأعظم .

ثم إن الفاقة والحاجة لا تزول بكثرة الأموال، بل أن كثرة الأموال تزيدها تجذراً، وتشد الثري إلى الأموال بحبال الجشع، أما الرضا بالقنوع فهو الغنى النفسي الذي يجعلك مستغنياً عن (الماديات) .

ولا يعني ذلك إهمال المال وترك طلب الثروة، بل يعني ان لا تكون أسير المال وعبد الثروة، بل كن السيد والحاكم، فامتلك الثروة ثم وجهها في وجوه الخير، وأيضاً أقنع بما لديك، ولا تطلب الأكثر، عبر سلوك طريق الحرام.

مبّر بين الإسراف والاقتصاد

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كلّ ما زاد على الاقتصاد إسراف»^(٢).

(١) كنز الفوائد: ج ٢ ص ١٩٤ .

(٢) غرر الحكم: ج ٢ ص ٨٥ الفصل الثاني والستون ح ٧٣ .



وهذه ضابطة عامة، ومقياس واضح، فإن أحد الضمدين قد يُعرَّف بالآخر لأوضحيته وعرفته، أو لعدم وجود شبهة أو وسوسة أو شبهها فيه .

(والاقتصاد) افتعال من القصد وهو بمعنى (التوسط) دون إفراط أو تفريط ودون تبذير ولا تقتير .

قال السيد الوالد قدس: (وقد يكون الاقتصاد باعتبار الكم وقد يكون باعتبار الكيف.. وقد يكون في الأمور المادية وقد يكون في الأمور المعنوية)^(١) .

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ما فوق الكفاف إسراف»^(٢) .
والكفاف هو ما يكفي الإنسان بما هو هو، فأن يكون لك داران أو سيارتنا مثلاً إذا كان يكفيك احدهما، فإن الأكثر إسراف .
ومن الحكمة تنوع الدوال على المقاييس والضوابط، كي يهتدي بكل منها جماعةً .

إعمل لصالح الأسرة

وعن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: ما غدوة أحدكم في سبيل الله بأعظم من غدوته يطلب لولده وعياله ما يصلحهم.^(٣)

(١) الفقه: الاقتصاد/ج١٠٧ من موسوعة الفقه ص٧-٨ .

(٢) غرر الحكم: ج٢ ص ٢٥٩ الفصل التاسع والسبعون ح١٣ .

(٣) دعائم الإسلام: ج٢ ص ١٥ الفصل الأول ح٩ .

وهذان جناحان بهما تستقيم شؤون المجتمع: جناح الجهاد وجناح الاكتفاء الذاتي واصلاح الأوضاع المعيشية للأسرة والعيال.

إِسْعَ لَكِنْ بَدُونِ حَرَصٍ وَشِرَاهَةٍ

عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «عجبت لمن علم أن الله قد ضمن الأرزاق وقدرها وأن سعيه لا يزيده فيما قدر له منها وهو حريص دائب في طلب الرزق». (١)

(السعي لطلب الرزق) مقتضي، وليس علة تامة، والأمر لله من قبل ومن بعد، وقد أمر بطلب الرزق، لكن دون إفراط ومبالغة في الطلب ودون حرص شديد غالب، وعليه: أطلب الرزق، لكن بوسطية واعتدال، ودون حرص يؤدي إلى اقتحام المحرمات وبدون دؤوب يسبب ضياع الحقوق والواجبات.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «أجملوا في الطلب، فكم من حريص خائب ومجمل لم يخب». (٢)

والظاهر أن الأمر (اجملوا) للإرشاد، لا لأن مقياس الأمر الإرشادي هو (ما ذكر فيه التعليل)، كما قيل (٣)، بل للظهور العرفي والقرائن المحيطة والإجماع على أن الحرص بما هو هو، من غير ارتكاب الحرام،

(١) غرر الحكم: ج ٢ ص ٣٨ الفصل الرابع والخمسون ح ٣١.

(٢) غرر الحكم: ج ١ ص ١٤٩ الفصل الثالث ح ٦١.

(٣) فصلنا الحديث عن ذلك في كتاب (الأوامر المولوية والإرشادية).



ليس بمحرم، فتأمل.

وتكفي العلة التي ذكرها الإمام عليه الصلاة والسلام، باعثاً
للإنسان كي يجمل في الطلب!
وعن الإمام علي عليه السلام: «ذلل نفسك بالطاعة، وحلها بالقناعة،
وخفّض في الطلب، وأجمل في المكتسب».^(١)
والجوهر هو:

١ - (طاعة الله تعالى) وذلك في إطار العلاقة بالخالق.

٢ - (القناعة) في المعيشة - لا في الأعمال الصالحة والحسنات
- وذلك في إطار حاجات الإنسان، وأما العلامة لذلك والوسيلة أيضاً
فهي أن تخفّض من الطلب وأن تعتدل في الاكتساب والمكتسب.

عليك بقلة الرغبة والإجمال في الطلب

وقال الامام علي عليه السلام: «سته يختبر بها دين الرجل: قوّة الدين،
وصدق اليقين، وشدّة التقوى، ومغالبة الهوى، وقلة الرغب، والإجمال
في الطلب».^(٢)

(والدين) له اطلاقات، بعضها أعم من بعض، ومنها ما يفقده يخرج
عن الإسلام، ومنها ما لا يخرج، ومنها الواجب، ومنها المستحب، ومنها
مراتب الكمال.^(٣)

(١) غرر الحكم: ج ١ ص ٣٦٦ الفصل الثاني والثلاثون ح ٤٠.

(٢) غرر الحكم: ج ١ ص ٣٩٧ الفصل التاسع والثلاثون ح ٨٢.

(٣) فصل المؤلف الحديث عن تعدد الاطلاقات بشكل عام وعن تعدد اطلاقات (الدين) و(أصول)

وهذه الرواية تشير إلى القسم الثاني^(١)، والسر في قوله عليه السلام:
(يختبر بها دين الرجل) أن (قلة الرغب) و(الإجمال في الطلب) يكشف
عن التوكل على الله من جهة^(٢)، ويدل على تقيده بكسب المال من
حله.^(٣)

و(الرغب) قد يراد به الرغبة في الحرام، فالقلة هي بلحاظ مجموع
الحلال والحرام، وقد يراد به الرغبة غير المتعارفة أي الشره والحرص
والتكالب على الدنيا.

تعامل مع ما أتاك وما لم يأتك، بحكمة

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «خذ من الدنيا ما أتاك، وتوَلَّ عَمَّا
تَوَلَّى عنك، فإن أنت لم تفعل، فأجمل في الطلب».^(٤)

والظاهر أن الإمام عليه الصلاة والسلام يشير إلى التقسيم
الثلاثي في التعامل مع الأموال والثروات وغيرها، وهو:
١- ما أتاك من الدنيا فخذ، ولا تعرض عنه كما يعرض الرهبان
والدراويش.

٢- ما تولى عنك فأعرض عنه، ولا تقتحم حتى المحرمات للوصول

(الدين) في (فقه الاجتهاد والتقليد) مباحث أصول الدين - كما توجد مباحثه في موقع مؤسسة التقى
الثقافية m-alhiaz.com، في ضمن بحوث الخارج لعام ١٤٣٤هـ.

(١) ما لا يخرج عن الدين به وأيضاً: المستحبات ومراتب الكمال.

(٢) هذا بناء على الإطلاق الأعم للدين.

(٣) وهذا بناء على الإطلاق الأخص، بل الأعم منهما معاً.

(٤) نهج البلاغة: قصاص الحكم ٣٩٣.



إليه.

٣- ما لا يأتيك بطبعه ولم يكن مقدراً لك بدون سعي، وما لا يتولى عنك بطبعه وليس مقدراً لك بنفسه، فأطلبه لكن بإجمال وحكمة ومن غير حرص وشدة.

أطلب حظك لكن بإجمال

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الدنيا دول فاطلب حظك منها بإجمال الطلب»^(١).

وإذا كانت الدنيا (دولاً) تتداول وتتحول من قوم إلى آخرين، بين فترة وأخرى وحين وآخر، فعلى المرء إجمال الطلب، بأن يطلبها في سوانح الفرص، فيترصدها ويحسن استثمارها، وبأن يتوقف عن طلب ركوب قطارات أو السعي لركوب حصان مات.

طيب مكسبك

عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) من سرّه أن تستجاب دعوته فليطيب مكسبه»^(٢).
(وطيب المكسب) مفهوم عام يستبطن الدلالة على نوعين من الكسب:

(١) كنز الفوائد: ج ١ ص ٦١ (في ذكر الدنيا)، أعلام الدين: ص ١٧٣.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٢٧ ب ١٠ ح ٢، عن الجعفریات: ص ٢٢٤.

١- الكسب عبر الطرق المشروعة^(١)، وتجنب الحرام.

٢- الكسب عبر الطرق المعلومه^(٢) وتجنب الشبهة.

وإذا طيَّب الإنسان كسبه من الجهتين، استجيبت دعوته، لجهات منها: جهاده نفسه، ولذلك أجر، ومنها: انه إن طيَّب مكسبه طهرت روحه ونفسه وبدنه، لذا فإن دعوته تخترق الحجب وتستجاب.

تحلّ بالصبر الجميل

وجاء في حديث مناهي النبي ﷺ عن الإمام علي عليه السلام قال صلوات الله عليه: «من لم يرض بما قسمه الله له من الرزق وبث شكواه ولم يصبر ولم يحتسب، لم ترفع له حسنة ويلقى الله ﷻ وهو عليه غضبان إلا أن يتوب»^(٣).

إن (الصبر) على قسمين: الصبر الإيجابي والصبر السلبي: أما الصبر الإيجابي، فيعني التحمل والجلد بدون صخب أو عتب، ومواجهة المخاطر والمصائب بنفس قوية وبرباطة جأش وطمأنينة نفس. وأما الصبر السلبي: فيعني الجمود والركود والاستسلام وعدم السعي للتغيير في الحدود المشروعة العقلانية، وهذا الصبر مرفوض. وتأسيساً على ذلك، فعلى الفقراء وذوي الدخل المحدود: التحلي

(١) المشروعة) أعم من المحللة بالدليل أو بالأصل.

(٢) المعلومه أي المحللة بالدليل.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٧ ب١ ح١.



بالصبر الإيجابي الفعال، والابتعاد عن الصبر السلبي القتال.

لا تسي الظن بالله ولا تجحد الحقوق ولا تقتّر

قال أمير المؤمنين عليه السلام: كان فيما وعظ لقمان ابنه أنه قال: يا بني، ليعتبر من قصر يقينه وضعف تعبته في طلب الرزق إن الله تعالى خلقه في ثلاثة أحوال من أمره وأتاه رزقه ولم يكن له في واحدة منها كسب ولا حيلة، أن الله سيرزقه في الحال الرابعة.

أمّا أول ذلك: فإنه كان في رحم أمه يرزقه هناك في قرار مكّي، ن حيث لا برد يؤذيه ولا حرّ، ثم أخرجه من ذلك وأجرى له من لبن أمه ما يربيه من غير حول به ولا قوّة، ثم فطم من ذلك فأجرى له من كسب أبويه برأفة ورحمة من تلويهما، حتى إذا كبر وعقل واكتسب لنفسه ضاق به أمره فظن الظنون برّبّه وجحد الحقوق في ماله وقتّر على نفسه وعياله مخافة الفقر.^(١)

إن (الماضي) هو مرآة المستقبل، في الأفراد والشعوب والأمم. وإذا كان ماضيك كله - كما أوضحه هذا الحديث - قد تكفله الله الخالق سبحانه وتعالى، فلماذا تظن الظنون بربك لمستقبل أمرك؟ ولماذا تجحد حقوق الله تعالى التي افترضها عليك في مالك - ولست إلا معيظاً بعض ما أعطاك - ولماذا تقتّر وتضيّق على نفسك وعيالك؟ أ ليس ذلك كله من ضعف اليقين ومن الجهل بحقائق الأمور؟

(١) بحار الأنوار: ج ١٠٠ ص ٣٠ ب ٢ ح ٥٤.

إذن:

١- إياك أن تظن الظنون بربك.

٢- إياك أن تجحد الحقوق المفترضة عليك في مالك (من خمس وزكاة، ونفقات وصلات).

٣- إياك أن تقتّر على نفسك وعيالك مخافة الفقر، وأن تكنز الأموال لتتضحّم حساباتك في المصارف (البنوك) يوماً بعد يوم، ولتعيش أنت وأهلك محروماً من نعمة أنعمها الله عليك لتتهنأ بها.. أوليس ذلك مثل من يخبئ سيارته في المرآب (الكراج) ولا يستعين بها، خوف أن تستهلك أو تعطب؟

اطرق أبواب الرزق الشرعية أو القانونية

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه محمد ابن الحنفية: يا بني، إياك والاتكال على الأمانى - إلى أن قال - يا بني، الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأته أذاك، فلا تحمل هم سنتك على هم يومك، وكفاك كل يوم ما هو فيه فإن تكن السنّة من عمرك فإن الله ﷻ سيؤتيك في كل غد بجديد ما قسم لك وإن لم تكن السنّة من عمرك فما تصنع بغم وهم ما ليس لك؟ واعلم أنه لن يسبقك إلى رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يحتجب عنك ما قدّر لك، فكم رأيت من طالب متعب نفسه مُقترّ عليه رزقه، ومقتصدٍ في الطلب قد ساعدته المقادير، وكلّ مقرون به



الفناء، اليوم لك وأنت من بلوغ غد على غير يقين.^(١)

والحديث يتموج بالحكم والمواعظ، ومنها:

إنه وتأسيساً على تلك الحكم - على الإنسان:

أولاً: أن يطلب الرزق في إطار القانون الشرعي إن كان متشرعاً، وإلا

ففي حدود القوانين الفطرية والعقلانية والإنسانية.

ثانياً: أن يتحلى بهدوء الأعصاب والسكينة والطمأنينة ورباطة

الجأش، إن الممت به نازلة أتت على ثروته أو فاجأه حدث قضى على

حاصل سنين من جهوده، وأتعبه وأعماله وكدحه وسعيه.

هذا. وفي كلام الإمام علي عليه السلام حكم ودروس وعبر، لا تقدر بثمن

وتحتاج إلى كتابة دراسة خاصة... فلنعطها حقها من التدبر والتفكير

ولنحولها إلى نبراس يضيء لنا الدرب طوال أيام العمر.

(١) من لايحضره الفقيه: ج ٤ ص ٢٧٥ ب ١٧٦ ح ١٠.

(المحور الثالث)

سبل وآليات الإثراء المشروع والخروج من دائرة الفقر

هل للشوارع المقدس، ولأمير المؤمنين علي عليه الصلاة والسلام خاصة، إرشادات تنير الدرب للفقراء، وتعرفهم على سبل وآليات الخروج من تحت خط الفقر، بل وتكشف لهم عن الطرق الناجعة للإثراء المشروع؟ هذا هو المحور الذي يتطرق إليه هذا الفصل باختصار. طرق الأبواب الأخرى، وعليك بالإبداع الخلاق والمغامرة المدروسة عن الإمام الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه عن جدّه، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فإن موسى بن عمران عليه السلام خرج يقتبس لأهله ناراً فكلمه الله ﷻ فرجع نبياً، وخرجت ملكة سبأ فأسلمت مع سليمان عليه السلام وخرجت سحرة فرعون يطلبون العزة لفرعون فرجعوا مؤمنين»^(١).

(التفكير الإبداعي الخلاق) و(المغامرة المدروسة) يعتبران من أهم سبل اكتشاف طرق جديدة نحو (الثراء) كما أنهما يعدّان من أهم سبل التغلب على العقبات غير المتوقعة التي قد يواجهها أرباب العمل والشركات.

وجوهر هذين الأمرين هو ما أشارت إليه الرواية (كن لما لا ترجو

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٢٨٤ ب ١٧٦ ح ٣٠.



أرجى منك لما ترجو) إذ كثيراً ما يكون الشراء والفرج والتقدم في (غير المتوقع) وفي (ما لا ترجو فائدته)، بل ولا تحملها أبداً، فلا تكن (تقليدياً جامداً) بل كن (متحرراً منطلقاً).

والمقصود بالتقليدي من يعيش أبداً أسير نفس الطرق السابقة المعهودة، والمراد بـ(المتحرر) من يتحرر من أسر الأُطر الضيقة السالفة، ولا نقصد التحرر من الضوابط العقلائية والشرعية كما هو واضح... والحديث عن ذلك كله يستدعي كتابة كتاب مستقل.

لا تخاطر مخاطرة غير مدروسة

وقال عليه السلام: «ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه»^(١).

إن من طرق الفشل (المخاطرة غير المدروسة) أما المخاطرة المدروسة فمطلوبة، ولذلك قال عليه السلام: «التاجر الجبان محروم والتاجر الجسور مرزوق»^(٢).

والمخاطرة تكون غير مدروسة، إذا لم تقترن بدراسة موسعة لأوضاع السوق وظروف المستهلك وخصوصيات المتعاملين معك، وإذا لم تقترن بمشورة مكثفة ثم بتخطيط سليم وحسن انتخاب للأعوان وللأليات وبرقابة متواصلة وتقييم مستمر للأداء.

(١) نهج البلاغة: رسالة ٣١، كتبها إلى الإمام الحسن عليه السلام عند انصرافه من وقعة صفين.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٣، ص ٢٩٤، ح [١٥٣٩٧]، ٩، آل البيت، ١٤٠٨ هـ.

حافظ علي ما في يدك

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في وصية له للحسن: «وحفظ ما في يديك أحب إلي من طلب ما في يدي غيرك».^(١)

هنالك عوامل لإيجاد الثروة والغنى، وهناك عوامل لإبقاء الثروة والغنى، وعلى الفقير أن يهتم بإيجاد عوامل إيجاد الثروة، كما على متوسطي الحال والأغنياء الاهتمام بإبقاء الثروة والغنى، ولذا يقول الإمام (وحفظ ما في يديك...)

و(ما في يد الإنسان) يشمل (الشركة التي ورثها من أبيه أو التي أسسها هو) و(المعمل والمصنع الذي أسسه أو اشتره أو ورثه) وحتى (المزرعة والدار التي يملكها) بأن يصونها عن الخراب والتلف.. وإلا فإنه سيفضطر لكي يمد يده للآخرين مستجدياً معونتهم!

إلتزم بالرفق في المعيشة

عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) انه قال: «قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله تعالى بأهل بيت خيراً فقَّههم في الدين، ورزقهم الرِّفق في معاشهم، والقصد في شأنهم، ووقَّر صغيرهم كبيرهم، وإذا أراد بهم غير ذلك تركهم هملاً».^(٢)

إن (الرفق في المعيشة) يعدّ من أهم طرق الحصول على المال، ثم

(١) نهج البلاغة: رسالة ٣١، كتبها إلى الإمام الحسن (عليه السلام) عند إنصرافه من وقعة صفين.

(٢) جامع أحاديث الشيعة: ج ١٧ ص ١٠٧ ب ٢٠ ح ٨، عن المعفرات: ص ١٤٩.



هو بعد ذلك يعدّ من أهم سبيل الحفاظ على الثروة ومن ثمّ تنميتها، والرفق يقابل العنف ويعني (لين الجانب) وهو ضد العنف، وفي الحديث الرفق نصف العيش، كما ان الرفق يقابل الخرق ويعني (أن يحسن الرجل العمل) كما جاء في مجمع البحرين، ومن الواضح، إن العنيف والذي لا يحسن العمل، يفقد ثقة الناس ويفقد عملاءه، أما اللين الجانب الذي يتقن العمل - سواء أكان خياطة أم كان تجارة أم كان صناعة من الصناعات - فإن علاقاته ستتوسع بإطراد وسمعته ستمنحه المزيد من المصداقية، فيتهافت عليه الناس، فينتقل من ربح إلى آخر، ومن إنتاج إلى إنتاج أكبر.

كما أن (التفقه في الدين) يجنب المرء، مواطن غضب الله ومواضع معصيته، فلا يغش ولا يرتشي ولا يحتكر ولا يطفّف في الميزان ولا يسرق ولا يحتال ولا... ولا.. وبذلك يربح رضا الله تعالى، كما يربح ثقة الناس، فيقبلون إليه... وتزداد ثروته تبعاً لذلك بإطراد.

إقتصاد في الحياة

عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «الاقتصاد ينمي القليل»^(١).
 إن (الاقتصاد) بحاجة إلى علم وحكمة وخبروية وإرادة قوية، وعندئذ فإن (القليل) سيمتحول إلى كثير، والكثير سيزداد كثرة ووفرة.
 و(الاقتصاد) يعني: (التوسط بين التبذير والتقتير) فلا إفراط ولا

(١) غرر الحكم: ج ١ ص ٢٤ الفصل الأول ح ٣٨٩.

تفريط، و(التبذير) يقضي على الثروة، كما هو واضح، أما (التقتير) فانه وإن بدأ للبعض طريقةً مثلى لجمع الأموال وتراكم الثروة، لكن الواقع هو العكس تماماً لأن (التقتير في المعيشة) يسبّب:

أ - هدم الصحة الجسدية.

ب - توتر الاعصاب ونسف السلامة النفسية.

ج - نفرة الناس، فيفقد صداقات كثيرة هامة لها أكبر المدخلية في تنمية الثروة إذ ينتج ابتعاد الناس عن التعامل مع المقترّ الحريص البخيل.

وقال عليه السلام: «الاقتصاد ينمي اليسير».^(١)

وفلسفة ذلك: ان الثروة - كأية قدرة أخرى - تتراكم عبر معادلة اجتماع (القطرات) وكما تتكون من قطرات الأمطار، الجداول، وتتكون الأنهار من الجداول، ثم تتوسع البحار بالانهار وبقطرات الأمطار، كذلك (الثروة).

وقال عليه السلام: «من صحب الاقتصاد دامت صحبة الغناء له، وجبر

الاقتصاد فقره وخلله».^(٢)

وقال عليه السلام: «الاقتصاد نصف المؤنة».^(٣)

و(المؤنة) هي تكاليف الحياة وما يتحملة المرء من نفقات، لنفسه

(١) غرر الحكم: ج ١ ص ٣٠ الفصل الأول ح ٥٦٧.

(٢) غرر الحكم: ج ٢ ص ٢٤١ الفصل السابع والسبعون ح ١٥١٢.

(٣) غرر الحكم: ج ١ ص ٣٢ الفصل الأول ح ٦١٥.



وزوجته وأولاده، وأهله، وأصدقائه، وأنصاره، وغيرهم.

ومن الواضح ان من لا يقتصد في المأكل والمشرب والملبس والمركب والزينة والنزهة وشمى الكماليات والجماليات، يحمّل ميزانيته أعباء ثقيلة جداً، أما (الاقتصاد) فانه يقوم بتوفير نصف تكاليف الحياة، بمفرده! ولذلك قال عليه السلام: «لن يهلك من اقتصد».^(١)

وقال عليه السلام: «ليس في الاقتصاد تلف».^(٢)

كما قال عليه السلام: «من اقتصد خفّ عليه المؤن».^(٣)

ولا فرق في ذلك بين (الفرد) و(المنظمة) و(الحزب) و(العشيرة) و(الشعب) (الدولة)

فإن كلاً منهم قد يقتصد ويلزم الجادة الوسطى في الإنفاق بلا إفراط ولا تفريط، وقد يبذر الأموال ويسرف، وينفق دون حساب وبلا اعتماد على معادلة اقتصادية متقنة، والنتيجة: هلاك الفريق الثاني ونجاة الفريق الأول.

عليك ب(الاقتصاد) دائماً

وقال عليه السلام: «من قصد في الغنى والفقر فقد استعد لنوائب الدهر».^(٤)

(١) غرر الحكم: ج ٢ ص ١٣١ الفصل الثاني والسبعون ح ٤٤.

(٢) غرر الحكم: ج ٢ ص ١٣٦ الفصل الثالث والسبعون ح ٦١.

(٣) غرر الحكم: ج ٢ ص ١٨٥ الفصل السابع والسبعون ح ٦٨٠.

(٤) غرر الحكم: ج ٢ ص ٢٣٣ الفصل السابع والسبعون ح ١٣٩١.

إن الكثير منا يقتصد في حالة الفقر، لكنه يبتر ويسرف أو يبذر في حالة الغنى، وهذا خطأ فاحش لأن ترك القصد ينذر بالفقر ويجرّ إليه، فإذا عم (الاقتصاد) والاعتدال في الإنفاق، الجميع من الأغنياء والفقراء، فقد آمنوا نوائب الدهر ومستجدات الأمر وطوارئ الأحداث، من مرض طارئ، أو حادث مفاجئ، وذلك لأن من اعتاد على الاقتصاد في الظروف العادية، فإنه سيكون أقدر على إدارة دفعة حياته لدى الطوارئ، أما من لم يعتد الاقتصاد في الظروف الطبيعية فإنه سينهار إذ حل به طارئ مفاجئ.

وعن الإمام علي (عليه السلام): «العقل أنك تقتصد فلا تسرف، وتعد فلا تخلف، وإذا غضبت حلمت».^(١)

إن العاقل حقاً هو من يقتصد، فلا يسرف، ويعد فلا يخلف، ويحلم إذا غضب، والبرهان الأنبي يكشف لنا، إن من لا يقتصد فليس بعاقل، بنفس الدرجة، وكذلك من يخلف وعوده ومن يغضب ولا يحلم.

وكما أن (الاقتصاد) هو مقتضى العقل كذلك فإنه مقتضى المروءة ولذا قال الأمير أيضاً: من المروءة أن تقتصد فلا تسرف وتعد فلا تخلف.^(٢)

والمروءة تعني - كما في الدروس - (تنزيه النفس عن الدناءة التي

(١) غرر الحكم: ج ١ ص ١١٦ الفصل الأول ح ٢١٥٢.

(٢) غرر الحكم: ج ٢ ص ٢٥٦ الفصل الثامن والسبعون ح ١٤٠.



لا تليق بأمثاله كالمسخرية والأكل في الأسواق ولبس الفقيه لباس الجندي بحيث يسخر منه^(١)

فالإسراف - إذن - نوع من الدناءة وخسمة النفس، أما الاقتصاد والقصد فينبغي عن سمو النفس وشرفها.

وقال عليه السلام: «من لم يحسن الاقتصاد أهلكه الإسراف»^(٢).

وذلك لأن الاقتصاد مفتاح السلامة والنجاح، على الضد من الإسراف، فمن لم يحسن الاقتصاد تورط في الإسراف فكان مصيره الهلاك.

ولعل المراد (بالاقتصاد) الأعم من الاقتصاد في المال والوقت - بان لا يتلفه عبثاً - وكذلك الاقتصاد في استهلاك قوى البدن وطاقاة الأجهزة وغير ذلك.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «القصد مثرأة، والسرف متواة»^(٣).

ولعل السبب في كون القصد (مثرأة) أي سبباً للثراء والغنى إضافة إلى انه بقدره يحول دون ضياع الثروات وإتلافها، إن (الاقتصاد) حالة سيّالة - كسائر الصفات والحالات النفسية - فإذا تعلّم (الاقتصاد) في جهة، سرى ذلك إلى سائر الجهات، اقتضاءً، فكانت حياته كلها متوازنة ومبنية على أسس الحكمة، فيكون ناجحاً في حياته، ويكتسب

(١) نقلاً عن مجمع البحرين / مادة مرا.

(٢) غرر الحكم: ج ٢ ص ١٧٨ الفصل السابع والسبعون ح ٥٦١.

(٣) الكافي (فروع): ج ٤ ص ٥٢ ح ٤.

بذلك الثراء والمال من أبعاد متعددة، والعكس بالعكس.

عليك بحسن التدبير

وقال عليه السلام: «إذا أراد الله بعبده خيراً ألهمه الاقتصاد وحسن التدبير وجنبه سوء التدبير والإسراف»^(١).

إن (الإلهام) لطف إلهي دون ريب، لكن الله تعالى جعل لكل نتيجة سبباً، وبهذا نعرف الإجابة عنه (لماذا أراد الله بهذا العبد خيراً دون ذلك) فإن العبد إذا سعى وجدّ واجتهد وسأل وتعلّم ودعا وابتهل ألهمه الله تعالى الاقتصاد وحسن التدبير وجنبه سوء التدبير والإسراف، فـ(الإلهام) كل ذلك هو (أجر) استحققه على جهد بذله - والجهد يشمل التعلم والتخطيط والتضرع كما سبق - فقد قال تعالى: (ثم اتبع سبباً) وإن تنصروا الله ينصركم) (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) وفي المقابل (نسوا الله فنسيهم)، ولذلك كله أمرنا أمير المؤمنين عليه صلوات المصلين بـ(حلوا أنفسكم بالعفاف وتجنبوا التبذير والإسراف)^(٢).

اتّجه نحو التجارة وتجنّب الوظائف

قال الإمام الصادق عليه السلام: أتت الموالي أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: نشكو إليك هؤلاء العرب! أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعطينا معهم العطايا بالسوية وزوج سلمان وبلالاً وصهيباً وأبوا علينا هؤلاء وقالوا: لا نفعل،

(١) غرر الحكم: ج ١ ص ٢٨٥ الفصل السادس عشر ح ١٦٤.

(٢) غرر الحكم: ج ١ ص ٣٤٧ الفصل الثامن والعشرون ح ٨٢.



فذهب إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فكلّمهم فيهم.

فصاح الأعراب: أبينا ذلك يا أبا الحسن، أبينا ذلك.

فخرج وهو مغضب يجرّ رداه وهو يقول: يا معشر الموالي، إنّ هؤلاء قد صيروكم بمنزلة اليهود والنصارى يتزوّجون إليكم ولا يزوجونكم ولا يعطونكم مثل ما يأخذون، فاتجروا برك الله لكم، فإنّي قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الرزق عشرة أجزاء، تسعة أجزاء في التجارة وواحدة في غيرها. ^(١)

ولهذا الحديث دلالات كثيرة ومنها:

١- تصدّي الإمام لهموم الناس وترابيته وعيشه بين ظهرانيهم.
٢- تواضع الإمام وهو حجة الله على الخلائق؛ حيث ذهب بنفسه إلى الأعراب.

٣- أن الإمام تصدى لإعطاء المشورة الاقتصادية للموالي
٤- ان على الطبقة الفقيرة، والمتوسطة، ان تتوجه للتجارة، كي تخرج عن دائرة التهميش والإهمال والعزلة الاجتماعية والاستضعاف.
كما أن على أئمة المسلمين وعلى العلماء والخطباء والمفكرين والأساتذة، التأسسي به صلوات الله عليه في كل ذلك.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «تعرّضوا للتجارة فإنّ فيها غنى لكم عمّا

(١) الكافي (فروع): ج ٥ ص ٣١٨ ح ٥٩.

في أيدي الناس»^(١).

ومن هذا الحديث وغيره يظهر أن الأولى بالمؤمن لو دار أمره بين (التوظيف) وبين (التجارة) فعليه أن يتجرّ، لأن الموظف يبقى أسير الوظيفة ومحتاجاً إلى رب العمل أو الشركة، ثم انه مهتد ولا أمن وظيفي له، أما التجارة فتعني القدرة على العطاء والخدمة أكثر فأكثر، كما تعني استغنائك عن الناس^(٢).

سافر أو هاجر

قال الإمام علي (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «إذا أعسر أحدكم فليخرج من بيته وليضرب في الأرض يبتغي من فضل الله ولا يغم نفسه وأهله»^(٣).

(السفر) و(الهجرة) بوابتان واسعتان للرزق، فعلى ذوي الدخل المحدود والفقراء إن لم يجدوا مجالاً في بلادهم، أن يهاجروا إلى بلاد

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٥١٥ ح ١١.

(٢) ومن الواضح ان المقصود ليس هو ان يترك كافة الناس أعمالهم ويتجهوا للتجارة ولذا قيّدنا بـ(لو دار أمره بين التوظيف والتجارة)، بل المقصود هو ان من يتوظف لمجرد ان تكون الوظيفة مصدراً للرزق له، فالأفضل أن يتجه للتجارة مع توفير شروط النجاح فيها، أما الذين يمارسون أدياراً أخرى وذوو الاختصاص في الفيزياء والكيمياء والطب والهندسة والتكنولوجيا المتطورة، والبحوث العلمية والأكاديمية ونظائرها، فليس الحديث عنهم فإن تلك الحقول واجبات كفاية كالتجارة ولا تقل عنها أهمية، بل يجب أن تتكامل وتتلاحم التجارة والاختصاصات وغيرها لبناء الوطن المزدهر والمجتمع السعيد.

(٣) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ١٣ الفصل الأول ح ١.



أخرى أو يسافروا، فعندئذ ستفتح لهم أبواب لم تكن في الحسبان.
ولعل من أسباب ذلك:

- ١- أن في الأجواء الأخرى، فرصاً أخرى جديدة، .
- ٢- أن السفر والهجرة مما يحرر الإنسان من كثير من العُقد والقيود الاجتماعية الكابته، فينطلق عندئذ ويحلق.
- ٣- أن السفر والهجرة تعرّف المرء على قدراته وطاقاته الخفية أو تلفته إليها من جديد أو تستفزها وتحركها للانطلاق.
- ٤- إن الهجرة تشكل تحدياً كبيراً، وفي التحديات الكبرى: صناعة الإنسان وقوة الإرادة والاستنجد بكافة القوى الضامرة والكامنة، وكل ذلك مفتاح التقدم.

اتقن الأعمال واحتط

وقال الإمام علي عليه السلام في بيان معاش الخلق «... وأما وجه التجارة فقله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾^(١) الآية، فعرفهم سبحانه وتعالى كيف يشترون المتاع في الحضر والسفر، وكيف يتجرون إذ كان ذلك من أسباب المعاش»^(٢)
إن (الاتقان) و (أخذ الحائطة) هما من أهم ما يجب أن يتحلى به (التاجر) ومن هو في طريق التجارة، والكاسب.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٤١ ب ٧ ح ٧.

ومن (الإيقان): (الكتابة) وتوثيق الدين وسائر المعاملات في سجلات معتمدة، وأما (التساهل) فكثيراً ما يجرّ إلى تحطيم الشركات وإلى إفلاس التجار.

استثمر حتى النواة

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يضرب بالمر ويستخرج الأرضين، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمضّ النوى بفيه ويغرسه فيطلع من ساعته، وإنّ أمير المؤمنين عليه السلام أعتق ألف مملوك من ماله وكدّ يده». (١)

يستفاد من هذا الحديث

أولاً: أن (العمل) شريف، مهما كان، وإن على الأشراف وذوي المكانة أن لا يستنكفوا عن (العمل) حتى يمثّل الضرب بهـ (المر). (٢)

ثانياً: ضرورة استثمار حتى النواة، وعدم الإسراف حتى بهذا القدر بعدم رمي النواة أولاً، ومحصّها أيضاً قبل غرسها ثانياً.

ثالثاً: ضرورة (هدفية المال) وإنفاقه في ما ينفع الناس والمجتمع، وضرورة بذل الجهد الوافر لتحرير الطبقة المستضعفة، ومن أهم المصاديق تحرير الرقّ والعبيد وعتقهم.

(١) الكافي (فروع): ج ٥ ص ٧٤ ح ٢.

(٢) وهو الحبل وأما (المر) فهو حجر الصوان.



استثمر في الزراعة

وقد رُوِيَ عن الإمام علي عليه السلام أنه (كان يعمل بيده ويجاهد في سبيل الله فيأخذ فيمنه، ولقد كان يُرى ومعه القطار من الأيل عليها النوى.

فيقال له: ما هذا يا أبا الحسن؟ فيقول: نخل إن شاء الله، فيغرسه فما يغادر منه واحدة.

وأقام على الجهاد أيام حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومذ قام بأمر الناس إلى أن قبضه الله، وكان يعمل في ضياعه ما بين ذلك، فأعتق ألف مملوك كلهم من كسب يده).^(١)

والمستفاد من هذه الرواية ومن غيرها، أمور:

١- استحباب العمل باليد، لأنه صلوات الله عليه كان يعمل بيده.

٢- استحباب ممارسة الزراعة، حتى للعالم والتاجر، فإن في العمل باليد وفي الزراعة، صحة للبدن وقوة للأعصاب، إضافة إلى أنه يورث الإنسان التواضع، كما أنه يعرفه على حياة المحرومين وما هم فيه من المشاق فيحننه إليهم كما أنه يمنح المرء معرفة بقدر نعمة الله عليه بما منحه من أموال أخرى جاءت بطرق أسهل، فلا يسرف ولا يصرفها في ما يضر أو يحرم.

(١) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٠٢ الفصل الأول ح ١١٣٣.

- ٣- ضرورة الجد في العمل فإنه عليه السلام كان (يرى ومعه قطار من الابل وعليها النوى) وما أصعب غرس ذلك كله!
- ٤- ضرورة عدم التفریط حتى بما يبداوا قليلاً كالنواة أو تافهاً.
- ٥- ضرورة الاستمرار في العمل، دون انقطاع بعذرٍ راحةٍ أو تقاعد، ولذا نجده عليه السلام (وكان يعمل في ضياعه ما بين ذلك).
- ٦- ضرورة اشراك الآخرين في حاصل ثروتك واسعادهم بها (فأعتق ألف مملوك، كلهم من كسب يده).
- ٧- على الإمام، وعلى المؤمن أن يكون مجاهداً في سبيل الله والمستضعفين متى استدعت الحاجة.

عليك بالاكْتفاء الذاتي المنزلي

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة تطحن وتعجن وتخبز^(١).

إن تعاون الرجل مع زوجته في تدبير شؤون المنزل، وتوزيع الأدوار وتقسيم المسؤوليات والأعمال بينهما، والاستغناء قدر المستطاع عن (الخدم) و(الحشم)، يُعدّ كل ذلك من عوامل تقليص النفقات، وتوفير الكثير من حاجات المنزل وبأقل قدر ممكن من التكاليف، وبذلك يخف الضغط على الفقراء، بل بذلك يخطون خطوة نحو توفير فائض، يعينهم على النوائب، ويوفر لهم رأس مال يساعدهم على الاستثمار.

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٤ ب ٩ ح ١٠.



وهذه الرواية تؤكد روايات عديدة أخرى، ومنها:

عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «إن فاطمة عليها السلام ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقم^(١) البيت^(٢)، وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب من نقل الحطب وأن يجيء بالطعام... الخبز»^(٣).

وليس المقصود من ذلك اختزال المرأة في أعمال الطبخ وشبهها، بل المقصود ان لا تترفع المرأة عن هذه الأعمال، ولا الرجل - كما سيظهر من العنوان الآتي: ساعدوا أهاليكم - وكما ظهر من إن أمير المؤمنين عليه السلام قام بتقسيم أعمال المنزل بينه وبين زوجته الصديقة الطاهرة - فان الصحة والخير والبركة وتماسك الأسرة رهْن باضطلاع المرأة والرجل بالأعمال المنزلية أيضاً.

على أنه ليس من الواجب على المرأة أن تقوم بأعمال المنزل، بل لها أن تطالب الرجل بالأجرة على الطبخ والكنس وإدارة الأطفال وشبه ذلك، حسب الفقه الإسلامي، كأى عمل آخر تضطلع به خارج أو داخل المنزل .

(١) يقال قمّ بيته: يقمّه قمّاً إذا كنسه، لسان العرب: ج ١٢ ص ٤٩٣.

(٢) ولعل وجه الجمع بين الروایتين: أن تلك كانت في ظرف وفترة وهذه كانت في ظرف وفترة أخرى - حسب اختلاف الظروف الصحية وغيرها - وهناك وجه جمع آخر: ان (قم البيت) كان من ضمانها والتزاماتها العامة وذلك لا ينفي ان يقوم هو صلوات الله عليه بذلك أحياناً أو أحياناً كثيرة كمساعدة وموازة لها صلوات الله عليها.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧١ ح ٤١. (في تفسير سورة آل عمران).

ولكن قيامها بكل ذلك مجاناً، عامل أكيد في تماسك الأسرة وبما
يوجب ترسيخ أواصر المحبة والمودة، إضافة إلى تقليص النفقات، وعلى
الرجل أن يعرف للمرأة حرمتها وقيمتها وتطوعها للقيام بأعمال المنزل
مجاناً، رغم عدم وجوبه عليها، فيقابل ذلك بالمزيد من الحب والتقدير
والاحترام، وبذلك تتحول أجواء المنزل إلى أجواء إيمانية ملؤها المحبة
والوئام والأخلاق والوداد.

كما لا يعني ذلك أن تمنع المرأة من القيام بأعمال أخرى أيضاً
- إلى جوار إدارتها لشؤون المنزل - بما يتناسب مع حشمتها وعفافها
ونزاهتها وطهارتها، في المنزل أو خارجه وبما لا يضر بواجباتها الزوجية أو
بتربية الجيل الصاعد، وذلك:

مثل: التدريس والتمريض - في الإطار الشرعي كما هو واضح -
ومثل كتابة البحوث العلمية والدراسات التخصصية، والعضوية
في مراكز الدراسات، وإدارة المدارس والجامعات والمعاهد الخاصة بالنساء
والفتيات، أو العامة شرط رعاية كافة الضوابط الشرعية مثل (فَلا
تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ)

ومثل: الخياطة والحياكة والتطريز والرسم والنحت وغيرها.

ومثل: البرمجة، والدبلجة، وغيرها مما يرتبط بالحاسوب وإنتاج
الأفلام الوثائقية وغيرها.

ومثل: المشاركة إلى جوار الزوج والأبناء في إدارة المزرعة، والمرعى
والشركة، وشبه ذلك.



نعم ينبغي للدولة وللمجتمع أن يوفر فرص العمل للمرأة بحيث لا تختلط بالرجال قدر المستطاع، في الشركات والمدارس والمستشفيات وغيرها فان ذلك يوفر لها حرية الحركة أكثر - في مستشفيات أو مدارس خاصة بالنساء - ويحفظ كرامتها بشكل أفضل، ويوفر ضماناً إضافية كي لا تسوّل أنفس ضعفاء النفوس لهم، بان يتجاوزوا حدود الحشمة والوقار، وإن لم يكن من المحرم ان تعمل في أماكن يتواجد فيها الرجال شرط الإلتزام بالحشمة والعفاف والستر والحجاب .

ولهذا البحث مجال آخر، ولعلنا نفصل الحديث عنه في كتاب مستقل بإذن الله تعالى .

ولا بد أيضاً من الإشارة إلى ان قيام سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها أفضل السلام والصلاة بأعمال المنزل، كان - إضافة إلى استحبابها الذاتي - كي لا تتميز على نساء المسلمين فان كثيراً من أهل المدينة كانوا فقراء إن لم يكن أكثرهم، فضربت صلوات الله عليها بذلك أروع المثل لبنات وزوجات الرؤساء والأمراء والقادة والوزراء والمسؤولين: ان يعيشن كما يعيش عامة الناس وأن يعانين كما تعاني أكثرية النساء في البلد من حرّ وبرد ومشقة ونصب وكدّ وتعب وحركة ونشاط، وان لا يشمخن بأنوفهن ولا يستعلن على الشعب ويعشن حياة البذخ والبطر والرفاه والرحلات والنزهات، والناس يتضورون جوعاً ويفتقدون أبسط مستلزمات العيش والحياة .

كما لا بد من الإشارة أيضاً إلى أن الصديقة الطاهرة كانت تقوم

بدور المعلمة والمربية والموجهة الدينية والاجتماعية، - والروايات بذلك متعددة - كما قامت بأدوار سياسية - استراتيجية كبرى كان منها تصديها الشامل ومواجهتها الساخنة للانقلاب الكبير الذي جرى بعد شهادة أبيها المصطفى عليه السلام (١)

ساعد أهلك

فإن معاونة الأهل، مرضاة للرب ومدعاة لعظيم الأجر وسر الانتاجية، وما أروع الحديث التالي:

قال الإمام علي عليه السلام: «دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة عليها السلام جالسة عند القدر وأنا أنقي العدس.
قال: يا أبا الحسن.

قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: اسمع، وما أقول إلا ما أمر ربّي: ما من رجل يعين امرأته في بيتها إلا كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها... يا علي، خدمة العيال كفارة للكبائر ويطفئ غضب الرب ومهور حور العين ويزيد في الحسنات والدرجات.

يا علي، لا يخدم العيال إلا صديق أو شهيد أو رجل يريد الله به خيرا الدنيا والآخرة». (٢)

(١) يراجع عن ذلك كله (من فقه الزهراء) و(فاطمة بهجة قلب المصطفى) (فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد) وغيرها.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٤٨ ب ١٧ ح ٢، عن جامع الأخبار: ص ١٠٢.



إن خدمة الرجال لعيالهم، سواءً أكانوا تجاراً أم علماء أم جامعيين وأساتذة، أم أطباء ومحامين ومهندسين، أم حكاماً أم محكومين، تتضمن منافع كثيرة، منها:

تقوية أواصر المحبة في الأسرة، مما ينتج تماسكها، فيسود الحب والوثام والسلم والسلام، وتتقلص حالات الطلاق إلى أدنى الدرجات، ويتربى الأبناء أفضل تربية، وتتقلص الجرائم، من سرقات واعتداءات وحالات انتحار وغيرها والتي تنتج غالباً عن تفكك الأسرة، والنزاع بين الأبوين، مما يسبب تصدير أبناء مسكونين بالغضب والحقد والعدوانية وغيرها.

ومن أهم الآثار الإيجابية لذلك أن تحظى الأسرة ببركة ذلك كله، بـ(الأمن الاقتصادي) و(الاستقرار المالي).

ولذلك ولغيره كان هذا الأجر العظيم لخدمة العيال في المنزل وخارجه.

إعمل ثم إعمل

عن أبي جعفر الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حين أهبط آدم عليه السلام من الجنة أمره أن يحرث بيده فيأكل من كدها، بعد نعيم الجنة... الخبر»^(١).

وذلك إيدان من الله تعالى وإعلام بأن معادلة الحياة الدنيا تبتني

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٢٤ ب ٨ ح ٩.

على الكد والعمل، وبذلك يمهّد الإنسان طريقه إلى الجنة من جديد،
فعليك بالعمل ثم العمل!

استثمر المياه والأراضي

وعن الإمام جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن أبيه قال: «كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: من وجد ماءً وتراباً ثم افتقر فأبعده الله»^(١).
(الماء والتراب) هي موادّ خام للثروة والغنى، و(العمل) هو الذي يحولها إلى ثروة فعلية، فإذا وهبك الله المواد الخام، ثم لم تعمل وافتقرت، أبعذك الله عن رحمته وعن عطايه ومنّحه، وذلك كنتيجة لسوء اختيارك، وكما الأمر في (الشخص) كذلك في (الشعب) فإن الشعب الذي يملك الأرض والمياه ثم يفتقر إلى سائر الدول، في المنتوجات الزراعية، ويستورد حتى الحنطة والشعير، لهو شعب أبعده الله عن رحمته، بسوء اختياره.

اتبع سياسة (التفويض) و(توزيع الأدوار)

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «باشم كبار أمورك بنفسك وكلّ ما صغر منها إلى غيرك»^(٢).

سياسة (التفويض) و(توزيع الأدوار) هي من أهم سبل النجاح

(١) قرب الإسناد: ص ١١٥ ح ٤٠٤، ومعنى (فابعده الله): فابعده الله فلا يلومن الا نفسه، فالجزء محذوف، ولعل من وجوه استشارة تفكير القارئ والسامع وذكائه.

(٢) عوالي اللآلي: ج ٣ ص ١٩٧ ح ١٣.



والتقدم والشراء، ولذا يقول الإمام (عليه السلام): (كل ما صغر منها إلى غيرك) والغريب أن نجد البعض يهتمُّش الآخرين، حتى في الجزئيات والثانويات وصغائر الأمور، ويتشبث بالإدارة المباشرة الشخصية لكل الأعمال والمسؤوليات والمهام!

ومن هذا الحديث نستنبط أن من أهم سبل تطور العمل التجاري والاستثمار أن يقوم الإنسان بمزيج من:
أ - تفويض الأعمال التي لا تتوقف عليه بالذات،
ب - ومباشرة كبار الأمور وعدم التهرب منها أو التقاعس عنها.

تفقه في المكاسب

إن التفقه في المكاسب هو الضمانة للنزاهة والاستقامة والشراء فعن الإمام علي (عليه السلام): أن رجلاً قال له: يا أمير المؤمنين، إنني أريد التجارة.

قال: أفقّهت في دين الله؟

قال: يكون بعض ذلك.

قال: ويحك! الفقه ثمّ المتجر، فإنّه من باع واشترى ولم يسأل عن حرام ولا حلال ارتطم في الربا ثم ارتطم^(١)

إن (الفقه) هو ضمانة (الاستقامة) و(النزاهة) و(العدالة) وتنامي الثروات وبركتها، فمن لا يتفقه في الدين ولا يعرف الحلال من الحرام،

(١) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ١٦ الفصل الأول ح ١٢.

سَمِيعٌ فِي بُؤْرِ الْفَسَادِ الْمَالِيِّ مِنْ غَشٍّ وَتَدْلِيسٍ وَرَشْمُوَةٍ وَخِدَاعٍ وَاحْتِكَارٍ وَظَلْمٍ وَاجْحَافٍ وَرِبَا، وَذَكَرَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (الرِّبَا) هُوَ مِنْ بَابِ الْمَثَالِ. وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الْفَقْهَ (مُقْتَضِي) لِلتَّحَرُّزِ مِنَ الْحَرَامِ، وَلَا يَبْدُ أَنْ يَنْضَمَّ إِلَيْهِ (الْإِيمَانُ) لِيَتَّبِعَ التَّاجِرَ وَالْكَاسِبَ عَنِ الْحَرَامِ.

وَلَا يَقْصِدُ بِالتَّفْقَهُ فِي الْمَكَاسِبِ أَنْ يَتَحَوَّلَ كُلُّ تَاجِرٍ وَحَرْفِيٍّ وَذِي صِنْعَةٍ، إِلَى فُقَيْهِ، بَلْ إِنْ يَكُونُ عَلِيٌّ بِصَبْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ وَعَلَى مَعْرِفَةٍ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِمَجَالَاتِ عَمَلِهِ، وَلَوْ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْفُقَهَاءِ أَوْ وَكَلَائِهِمْ أَوْ كَتَبِهِمْ.

وَمَعَ الْعَدَالَةِ الْمَالِيَّةِ وَالنَّزَاهَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ، تَنْمُو الثَّرْوَةُ وَتَتَضَاعَفُ وَسَيَجْعَلُ اللَّهُ فِيهَا الْبَرَكَاتِ وَالْخَيْرِ الْعَمِيمِ.

عليك باختيار الأكفاء

وَكَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَقُولُ: «لَا يَقْعُدَنَّ فِي السُّوقِ، إِلَّا مَنْ يَعْقِلُ الشَّرَاءَ وَالْبَيْعَ». (١)

وَالنَّهْيُ إِرْشَادِيٌّ عَلِيُّ الْمَشْهُورِ، وَتَحْتَمِلُ الْمَوْلُويَّةُ، لَكِنِ الظَّاهِرُ عَدَمُ الْحَرْمَةِ إِلَّا فِيمَا كَانَ مَقْدَمَةً لِلْحَرَامِ.

وَيَسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ كِرَاهَةَ تَوْكِيلِ أَوْ تَوْظِيفِ أَوْ تَفْوِيضِ أُمُورِ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ لِمَنْ لَا يَعْقِلُهَا.

(وَالْعَقْلُ) مِنَ الْعُقَالِ، وَإِنْ مَنْ لَا يَتَقَنَّ أَصُولَ وَقَوَاعِدِ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ،

(١) الكافي (فروع): ج ٥ ص ١٥٤ ح ٢٣.



فلا عقل له اما في الأصل أو في التفاصيل، والطرق، والكيفيات،
فينبغي أن لا يقعد في السوق ويتصدى للتجارة أو مطلق البيع
والشراء إلا من يعقل ويتقن البيع والشراء.

تمسك بالدعاء ثم بالإحياء

وعن الإمام علي (عليه السلام) في حديث الأربعمائة: «إذا اشتريتم ما
تحتاجون إليه من السوق فقولوا حين تدخلون الأسواق: أشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، اللهم
إنني أعوذ بك من صفقة خاسرة ويمين فاجرة وأعوذ بك من بوار الأيم». (١)
عندما يدعو الكاسب أو التاجر بـ(اللهم إنني أعوذ بك من صفقة
خاسرة ويمين فاجرة...) فإنه يحقق بذلك عدة أهداف:
أولاً: إنه بذلك يستمطر رحمة الله تعالى الذي بيده الرزق، كما ان
بيده الخلق.

ثانياً: يقوم بذلك بعملية إحياء نفسي مركزة بأن يحتزم من
الصفقات الخاسرة ومن التوصل إلى الربح بالعصيان وفاجر الأيمان،
فإن هذا الدعاء ونظائره يبني الإنسان على ثقافة (الربح الحلال) وتجنب
(الرزق الحرام) والاحتراز عن الصفقات الخاسرة.

اذكر الله تعالى

(١) الخصال: ج ٢ ص ٦٣٤ ح ١٠ (حديث الأربعمائة).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأربعمئة: «أكثرُوا ذكْرَ اللَّهِ تعالى إِذَا دخلتم الأسواق عند اشتغال الناس فإنه كفارة للذنوب وزيادة في الحسنات ولا تُكتبون في الغافلين». (١)

إن التوازن بين الدنيا والآخرة، يعد عاملاً من أهم عوامل التقدم والسعادة، مما ينعكس إيجابياً على (الأداء الاقتصادي) للأشخاص. وذكر الله تعالى وبكثرة، يدفع عن الإنسان احتمالات إرتكاب الحرام الاقتصادي الذي يضر بالكاسب نفسه كما يضر بالطبقة المحرومة، وذلك مثل الربا، الاحتكار، الاجحاف، والرشوة والغش وغيرها.

عليك ب(السماح) فإنه الطريق للأرباح

قال الإمام علي عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «السماح وجه من الرباح». (٢)

والمراد من (السماح) السهولة في التعامل، والتسامح والتساهل، وعدم التقييد والتشديد، فإن ذلك من أهم العوامل التي تسبب كسب العملاء.

أعط أكثر وستريح أكثر

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: مر أمير المؤمنين عليه السلام على جارية قد اشترت لحماً من قصاب وهي تقول: زدني.

(١) الخصال: ج ٢ ص ٦١٤ ح ١٠، (حديث الأربعمئة).

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٢٢ ب ٦١ ح ١٩.



فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): «زدها فإنه أعظم للبركة»^(١).
 إن (الإحسان) من سبيل تماسك المجتمع واستقراره، مما ينعكس
 إيجابياً على المردود الاقتصادي العام.
 وإعطاء المشتري الأكثر، يستبطن (البركة) كما في الحديث.
 و(البركة) تعني: الزيادة الكمية، والتحسن الكيفي، والتجذر
 العمقي كما تعني الطهارة أيضاً.
 و(البركة) ذات بعدين:
 بعد غيبي: لأن زيادة المشتري، تستدعي لطف الله ورحمته ومزيد
 إحسانه بالمحسن.
 كما أن (زيادة المشتري) تعد طريقة مثالية، لإجتذاب المزيد ثم المزيد
 من العملاء، مما يزيد الفائدة والنفعة، فإن (هامش الربح) وإن قلَّ، إلا أن
 المجموع والمحصلة النمائية ستكون أكثر.

اختر الموقع المتميز

قال الإمام علي (عليه السلام): «مرَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على رجل ومعه سلعة يريد
 بيعها، فقال: عليك بأول السوق»^(٢).
 إن الكاسب والتاجر وذو الحرفة والصنعة، عليه أن يتعلم فن
 وكيفية وطرق (التسويق) ومن مصاديقه اختيار الموقع الاستراتيجي،

(١) الكافي (فروع): ج ٥ ص ١٥٢ ح ٨.

(٢) من لايحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٢٢ ب ٦١ ح ٢٣.

وهو ما أشار إليه الحديث الشريف .

كما أن هذا الحديث يكشف لنا بوضوح عن أن النبي صلى الله عليه وآله، لم يكن يقتصر دوره في ارتباطه وعلاقته بالناس على التوجيه الديني فحسب، بل كان صلى الله عليه وآله يمارس دوره كموجه ومعلم اقتصادي أيضاً، أوليس قد قال تعالى ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؟

تجنب القسم بالله تعالى

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يقول: «إياكم والحلف فإنه ينفق السلعة ويمحق البركة»^(١).

إن الذي يحلف لتسويق بضاعته، إما كاذب وإما صادق: فإن كان كاذباً، فإنه إضافة إلى استجلابه غضب الله تعالى، يفقد مصداقيته بمرور الزمان فيزهد فيه المتعاملون معه.

وإن كان صادقاً، فإنه (ينفق سلعته) أيضاً بالقسم، ولعل من أسباب ذلك - إضافة إلى أنه جعل الله عريضة للإيمان، وأي عظيم أمتن اسمه الجليل! - فإنه يحاول تسويق بضاعته بالقسم، ولا يولي عادة كبير اهتمام بـ (الجودة) و(الكيفية)، بل يحاول أن يعوّض عنها بالقسم، مما يقوده في رحلة تراجعية كيفية تزداد باطراد.

عليك بالمحافظة على الممتلكات

(١) الكافي (فروع): ج ٥ ص ١٦٢ ح ٤.



عن أبي مطر قال: خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي من خلفي: ارفع إزارك فإنه أبقي لثوبك وأتقى لك وخذ من رأسك إن كنت مسلماً.

فمشيت من خلفه وهو مؤتزر بإزار ومرتد برداء ومعه الدرّة كأنه اعرابي بدوي.

فقلت: من هذا؟.

فقال لي رجل: أراك غريباً بهذا البلد.

قلت: أجل، رجل من أهل البصرة.

قال: هذا علي أمير المؤمنين (عليه السلام)...^(١)

إن من أهم طرق (ترشييد الانفاق) المحافظة على الممتلكات والمقتنيات والبضائع، كي تكون أطول عمراً، وأدوم وأنظف (ورفع الثوب) المذكور في الحديث يعد مثلاً جيداً لذلك، فإنه أبقي للثوب لأنه يتجنب بذلك، اصطكاك الثوب بالأرض، والأحجار، والأشواك، مما يؤدي إلى تمزيقه أو تقديره على أقل الفروض. كما أنه (أتقى لك) فإن من يرفع ثوبه، فإنه يجنبها قاذورات الطريق، والنجاسات.

تجنب التسويق الكاذب

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق، عن أبيه (عليه السلام) قال: «قال رسول

(١) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٣١ ب ٩٨ ح ١٤.

الله ﷺ: ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكّيهم ولهم عذابٌ أليم، المُرخي ذيله من العظمة، والمزكّي سلعته بالكذب، ورجل استقبلك بنور صدره فيواري وقلبه ممتلى غشاً»^(١).

(التسويق الكاذب) قد يدفع الناس للشراء منك، أكثر فأكثر، إلا أنه على المدى الطويل، بل على المدى المتوسط أيضاً، يعدّ سبباً رئيسياً من أسباب الفشل الاقتصادي.

تجنب الغش

كتاب (الجعفریات)، بإسناده عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنّه ركب بغلة رسول الله ﷺ الشهباء بالكوفة، فأتى سوقاً سوقاً... ثم أتى التمارين فقال: أظهروا من رديء بيعكم ما تظهرون من جيده. ثم أتى السمّاكين فقال: «لا تبيعوا إلاّ طيباً وإياكم وما طفا». إن (النزاهة) تعد من أهم طرق سلامة دوران العجلة الاقتصادية، وإن من أهم مفرداتها (تجنب الغش)، ولا فرق في قبح الغش بين الطفيف الحقير والكبير الخطير.

إعمل في بلدك

كتاب (الجعفریات) بإسناده، عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: قال رسول الله ﷺ: من سعادة المرء: «الخطاء الصالحون، والولد

(١) مكارم الأخلاق: ص ١١١.



البار، والزوجة المؤاتية، وأن يرزق معيشته في بلدته».^(١)
 إن (التخطيط السليم) هو مفتاح الرزق الهنيء والحياة الرغدة، ومن
 حسن التخطيط أن يخطط الكاسب لحياته التجارية ولمصدر رزقه، كي
 يكون في نفس بلده، فإن ذلك من السعادة، لأن الغربية عادة تستلزم
 (المشاق) وقد توجب الكآبة وتوتر الأعصاب ومختلف الأمراض، كما قد
 توجب الفساد إما للمهاجر أو لبعض أفراد أسرته، وقد تستلزم تفكك
 العوائل بما تتضمن من عدم قدرة رب العائلة، على الرعاية العاطفية
 والتربوية.

نعم.. هذا هو الأصل، أما لو ضاقت السبل بالمرء، فعليه أن ينطلق
 ويهاجر، كما عليه أن يخطط للتوقي من مضاعفات الهجرة أو الأسفار
 الكثيرة، قدر المستطاع، بل إن الله تعالى سيعوّض المهاجر في سميّله
 خيراً كثيراً جداً ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً^٤
 وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى
 اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا^٥﴾.^(٢)

شارك ذوي الحظوظ والناجحين

وقال الإمام علي (عليه السلام): «شاركوا الذي قد أقبل عليه الرزق فإنه
 أخلق للغنى وأجدر بإقبال الحظ عليه».^(٣)

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٢٩٢ ب ٤١ ح ١، عن الجعفریات: ص ١٩٤.

(٢) سورة النساء: آية ١٠٠.

(٣) نهج البلاغة: قصاص الحكم ٢٣٠.

وبناءً على هذا الحديث الشريف فإنه:

لا بد للكاسب والتاجر من:

١- دراسة شاملة للسوق، ورصد الحركة التجارية للتجار وللشركات وذلك لكي يكتشف (الناجحين) وأسرار نجاحهم، وعوامل حسن طالعهم.

٢- ثم عليه أن يحاول التقرب إليهم ومصادقتهم.

٣- وأن يتوج ذلك بعقد شراكة عمل معهم، أو تحالف نوعي شامل وبذلك ينطلق المرء إلى آفاق تجارية أرحب وأوسع بإذن الله تعالى.

أحسن انتخاب من تستعين بهم

وقال الإمام علي عليه السلام: «يا بني، إذا نزل بك كلب الزمان وقحط الدهر فعليك بذوي الأصول النابتة والفروع الثابتة من أهل الرحمة والايثار والشفقة فإنهم أفضى للحاجات وأمضى لدفع الملمات»^(١).
إذا كنت عاطلاً عن العمل، أو احتجت إلى مشورة مكثفة في أزمة اقتصادية تمرّ بها، أو إذا احتجت إلى قرض، أو إلى وساطة مشروعة لتذليل عقبة أمام تجارتك، فعليك، كما يرشدنا الإمام عليه الصلاة والسلام، أن تحسن اختيار أولئك الذين تستعين بهم، لدفع الملمة وقضاء الحاجة، وإلا زادوك خبالاً وما حصدت إلا وبالاً.

والإمام عليه الصلاة والسلام يرشدنا أيضاً إلى (المقاييس

(١) أعلام الدين: ص ٢٧٤.



والضوابط) في الأشخاص الذين ترجع إليهم وتستعين بهم، فعليكم بالتدبر في (المقاييس الخمسة) التي ذكرها الإمام صلوات الله عليه جيداً.

لا تتعامل مع السفلة

قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأربعمئة: «احذروا السفلة، فإن السفلة من لا يخاف الله عز وجل، فيهم قتلة الأنبياء وفيهم أعداؤنا». (١)
 إن (الغدر) و(المكر) و(السرقا) و(الخيانة) تعد من أهم عوامل خسارة الأفراد والشركات، بل انها كثيراً ما تؤدي للإفلاس.

فعلى الكاسب والتاجر تجنب التعامل مع (سَفلة الناس) وتجنب توظيفهم لأنهم أكثر الناس غدرًا ومكرًا وخيانة وسرقة، وكم من الناس فقدوا كل ما يملكون، أو فشلوا في تجارتهم، أو تكبدوا خسارات فادحة، أو أغلقوا مصانعهم ومعاملهم، نتيجة (خيانة) موظف أو عامل أو شريك من السفلة!

ولكن: من هم سفلة الناس؟ هذا ما يوضحه الحديث التالي:
 فإن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن كنت لا تبالي ما قلت وما قيل لك فأنت سفلة». (٢)

إن (السافل) هو من لا كرامة له، ولذا لا يهتم بما قال في الناس (من)

(١) الخصال: ج ٢ ص ٦٣٥ ح ١٠ (حديث الأربعمئة)

(٢) راجع تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٢٩٥ ب ٩٢ ح ٢٨.

سبب أو تهمة أو غيبة أو جرح وإهانة) كما لا يهتم بما يقوله عنه الناس (من نقد، أو جرح، أو هتك) وذلك مؤثر خطير على أنه لا يمتلك رادعاً عن الخيانة أو الجريمة (من سرقة أو اختلاس أو تلاعب بالأسواق أو غير ذلك). فتأمل

بكر في طلب الرزق

وقال عليه السلام: «إذا صلَّيتم الصبح وانصرفتم فبكروا في طلب الرزق. ^(١) النشاط مفتاح النجاح، ومن مقومات النجاح (التبكير) في طلب الرزق، وأفضل أنواع التبكير ما كان بعد الانصراف من صلاة الصبح، فكن نشطاً، وبكر في طلب الرزق، فستنال المنى بإذن الله المنان».

عليك بالأمانة والاتقان

وقف الإمام علي عليه السلام على خياط فقال: «يا خياط، ثكلتك الشواكل! صلِّب الخيوط ودقق الدروز وقارب الغرز فإنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء ممّا خاط وخان فيه واحذروا السمقات، فإنَّ صاحب الثوب أحقَّ بها ولا تتخذ بها الأيدي تطلب المكافات». ^(٢)

(الأمانة والاتقان) شرطان من شروط النجاح، كما أنهما ملاك

(١) الكافي (فروع): ج ٥ ص ٧٩ ح ٨.

(٢) تنبيه الخواطر: ص ٤٢ (باب الصناعات والحرف).



الثواب، في قبال الخيانة والإهمال، حيث إنهما ملاك العقاب.^(١)
 و(الخياط) ما هو إلا طرف الخطاب في الحديث، وإلا فإن الملاك شامل لكل ذوي حرفة وصنعة، بل ولكل من له عمل ما، كالنجار والحدّاد والقصاب والصائغ، كما يشمل أيضاً (المهندس) و(الطبيب) و(المحامي) وغيرهم، فعلى الجميع (الاتقان) في العمل إلى أقصى الحدود، وعلى الكل أداء هذه الأمانة بأفضل الوجوه.

إستمر في العمل والإنتاج وإن لم تكن محتاجاً.

وفي الحديث: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يخرج في الهاجرة في الحاجة قد كَفَيْهَا يريد أن يراه الله يتعب نفسه في طلب الحلال.^(٢)

إن (مجتمع العمل والإنتاج) هو المجتمع الذي يحبه الله تعالى، ولذا كان يخرج أمير المؤمنين في الهاجرة - وهي حرّ الظهيرة - ليعمل رغم أنه لم يكن محتاجاً.

وما الذي كان يصنعه بالفائض؟ كان ينفقه على الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل... وكذلك فلنكن!

اكتفِ بالضروري

قال الإمام علي (عليه السلام): «كلّ مقتصر عليه كاف».^(٣)

(١) أي الإهمال الذي يؤدي إلى تضييع حقوق الآخرين .

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٩٩ ب ٥٨ ح ٣٦ .

(٣) نهج البلاغة: قصار الحكم: حكمة ٣٩٥ .

إن (ترشييد الإنفاق) مستحب، لكنه إن كان تركه مما يدخل في دائرة الإسراف حَرْمٌ، و(كل مقتصر عليه) يشير إلى الاكتفاء باللازم وترشييد الإنفاق بمعنى الاقتصاد على الضروري واللازم، وأن لا يكون منهج الإنسان التراخي خلف الأكثر فالأكثر، لا لشيء إلا لأنه يواكب (الموضة) مثلاً.

ومن دائرة الخطأ هذه ما نجده عند الكثير من الشباب من وَلَعٍ بالنسخ الأحدث من الأجهزة^(١)، رغم عدم مساس حاجته بها، بل لكي يجاري الموضة، ويتبجح أمام أصدقائه فقط!

كن سهلاً ولا تتشدد

وقال علي (عليه السلام): «ساهل الدهر ما ذل لك قعوده...»^(٢).

إن من طرق النجاح عدم التشدد والتساهل في التعامل، وفي مضمون الرواية (إن بني إسرائيل صعّبوا فصعّب الله عليهم ولو سهلوا السهل)^(٣).

و(السهولة) تعني فيما تعني: سهولة البيع والشراء، والإجارة والرهن، والصلح والفسخ، بدون تعقيد أو روتين إداري أو بيروقراطية،

(١) كأجهزة الآيفون والجالاكسي والآي باد والكمبيوتر وغيرها، وكذا ما نجده عند الكثير من النساء من الولع بالاكسسوارات وحتى أنواع الأثاث المنزلي.

(٢) نهج البلاغة: رسالة ٣١، كتبها إلى الإمام الحسن (عليه السلام) عند انصرافه من وقعة صفين.

(٣) عيون أخبار الرضا صلوات الله عليه: ج ١، ص ١٦، ح ٣١، وهي رواية طويلة في قضية بقرة بني إسرائيل والشاهد منها (ولكن شددوا، فشدد الله عليهم).



فإذا أتتكَ الأمور سهلة، فكن سهلاً مع الناس أيضاً، وعندئذٍ تدوم لك هذه النعمة.

إحذر الكسل

وقال عليه السلام: «من دام كسله خاب أمله وساء عمله».^(١)

(الكسول) تسوء أعماله من جهة، ولا يصل إلى أهدافه من جهة ثانية، فإن الكسول يهمل العمل، وإن عمل فإنه لا يتقنه، فلا يصل إلى أماله وأهدافه كنتيجة طبيعية لكل ذلك.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ الأشياء لسمًا ازدوجت، ازدوج الكسل والعجز فنتج بينهما الفقر.^(٢)

وهذه معادلة علمية: الكسل + العجز = الفقر.

أما العاجز غير الكسول، فقد يوجد بنشاطه القدرة والقوة والكفاءة، فلا يبقى عاجزاً - في إطار العلة المبقية -.

أما القادر الكسول كوارث كسول ورث ثروة ضخمة، فإنه سرعان ما يبدد ثروته.

إترك الأمانى وأقبل على العمل

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه محمد ابن الحنفية: «يا بني،

(١) غرر الحكم: ج ٢ ص ١٦٢ الفصل السابع والسبعون ح ٢٦٣.

(٢) الكافي (فروع): ج ٥ ص ٨٦ ح ٨.

إيَّاك والاتكال على الأمانى فإنها بضائع النوكى^(١) وتشبيط عن الآخرة - إلى أن قال - أشرف الغنى ترك المنى^(٢).

ان من عوامل الفقر (الإتكال على الأمانى)، فإن بعض الناس يتخذ من (الحياة في عالم الأحلام والأمانى) بديلاً عن التخطيط والعمل والجد والاجتهاد، وهذه هي وصفة الفشل وهي سلاح الحمقى في مواجهة الحياة وصعابها.

عليك بالأحلام الإيجابية

كتاب الجعفریات، بإسناده عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: «إذا تمنى أحدكم فليكن مناه في الخير وليكثر فإن الله واسع كريم»^(٣).
(تمنى النجاح) و(التقدم) أمر حسن مطلوب، باعتباره جزء العلة المُعدَّة للتقدم، أما الأمر المذموم الذي أشارت إليه الرواية السابقة فهو (الإتكال على الأمانى) باعتبارها العلة التامة، وترك التخطيط والعمل لمجرد أمنية أن تتحقق تلك الأمانى ألياً (أوتوماتيكياً).

قاوم النوم

قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «ما أنقض النوم لعزائم اليوم»^(٤).

(١) النوك: بالضم الحقق، الأنوك: بمعنى الأحمق وجمعه النوكى، لسان العرب: ج ١٠ ص ٥٠١ وكتاب العين: ج ٥ ص ٤١١.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٢٧٥ ب ١٧٦ ح ١٠.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٤٦ ب ١٦ ح ٥. عن الجعفریات: ص ١٥٥.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٢٤١.



إن (النوم) عدو خطير للعزيمة والإرادة المنعقدة لتحقيق الأهداف،
وكم من أمرٍ عزم على أمر، ففاته لمجرد أنه فضّل النوم والخمول على
الجد والنشاط؟!!

وقال الإمام علي عليه السلام: «ويل للنائم ما أحسره! قصر عمره وقل
أجره». (١)

إن (النائم) قد ينام عن أداء الواجبات كالجهاد الواجب والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر الواجبين وشبههما، وهنا الويل والثبور
والعذاب له حقيقة، وقد ينام عن المستحبات وعن فرص العمل
والتقدم، وهنا الويل له مجازاً.

وقال الإمام علي عليه السلام: «بئس الغريم النوم يفني قصير العمر
ويفوت كثير الأجر». (٢)

(النوم) وحش صامت يلتهم الفرص ويفني العمر ويحرمك
الأجر، فلم تستسلم له؟

ضع جدولاً لأعمال الليل والنهار

وقال عليه السلام: «من كثر في ليله نومه فاته من العمل ما لا يستدركه
في يومه». (٣)

(١) غرر الحكم: ج ٢ ص ٣٠٣ الفصل الثالث والثمانون ح ٣٠.

(٢) غرر الحكم: ج ١ ص ٣٠٤ الفصل العشرون ح ٣٣.

(٣) غرر الحكم: ج ٢ ص ٢١٦ الفصل السابع والسبعون ح ١١٧٣.

للليل برامج وأعمال، وللنهار برامج وأعمال، ويختلف ذلك باختلاف الأعراف، فمثلاً: قد يكون النهار للعمل والتجارة، ويكون الليل للعلاقات والتواصل والزيارة.

وإذا فوّت الإنسان بعض أعمال الليل، بكثرة النوم، فإنه لا يمكنه استدراكه بالنهار عادة، ولو فرض أنه أمكنه ذلك، كان على حساب أعمال النهار.

والعكس صحيح أيضاً لمن يكثر النوم في النهار.. فكيف بمن يكثر النوم في كلا الوقتين؟

تجنب كثرة الأكل

وقال الإمام علي عليه السلام: «كثرة الأكل والنوم يفسدان النفس ويجلبان المضرة».^(١)

إن (كثرة الأكل) تعد من عوامل تبديد الثروة، وقد تجر إلى الفقر، فإن كثرة الأكل تعد من أهم بواعث الأمراض والعلل والأسقام، من جهة، وتبديد الأموال في تكاليف العلاج من جهة أخرى، كما أن كثرة الأكل تضعف الإنتاجية، كما انها تعد استهلاكاً مبالغاً فيه، للمواد الغذائية، من دون ضرورة، بل ومع الضرر، وذلك مما يسبب - ولو بعملية تراكمية بعيدة المدى - في غلاء البضائع وارتفاع الأسعار، إذ كلما زاد الطلب ارتفعت الأسعار، كما يسبب في كثير من الأحيان حرمان الكثير من

(١) غرر الحكم: ج ٢ ص ١٠٢ الفصل السادس والستون ح ٣٧.



الفقراء من الطعام، في كل ما كان الإنتاج له محدوداً.

إطلب الرزق بين الطلوعين

وعن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام (في حديث الأربعمائة):
«واطلبوا الرزق فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فإنه أسرع في طلب الرزق من الضرب في الأرض وهي الساعة التي يقسم الله فيها الرزق بين عباده».^(١)

ولعل من الأسباب في ذلك - إضافة للعامل الغيبي - أن تدفق الأدرنالين في البدن، يزداد في هذا الوقت بشكل كبير في البدن، وهو هرمون النشاط والحيوية، إضافة إلى أن الإنسان يعيش القمة في صفاء الذهن، بين الطلوعين، كما يكون هادئ الأعصاب، رابط الجأش، فيكون، لكل ذلك، أقدر على التخطيط السليم، وعلى إتخاذ القرارات الصائبة.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن النوم قبل طلوع الشمس وقبل صلاة العشاء يورث الفقر وشمات الأمر».^(٢)

ذلك ان فترة ما قبل طلوع الفجر، هي فترة تحول طبيعي - كوني، كما هي فترة تحول بيولوجي - سيكولوجي في الإنسان^(٣)، وكذا فترة

(١) الخصال: ج ٢ ص ٦٦٦ ح ١٠ (حديث الأربعمائة).

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٣، ص ١١٠، ب ٣١، ح ٢، عن حلية العلامة المجلسي: ص ١٢٦.

(٣) أوضح المؤلف ذلك في كتاب (الإمام الحسين عليه السلام وفروع الدين).

ما قبل العشاء.

وفي فترات التحول، لا بد من الاعداد والاستعداد بالدعاء والعمل،
أما النوم فإنه هروب من مواجهة متطلبات المرحلة، لذا فإنه يورث الفقر
ويسبب شتات الأمر.

وختاماً: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ إنفاق هذا المال في طاعة الله
أعظم نعمة، وإنَّ إنفاقه في معاصيه أعظم محنة».^(١)

(١) غرر الحكم: ج ١ ص ٢١٤ الفصل التاسع ح ١٧.

الملحق

عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر رضي الله عنه
مع شرح مستقى من كتاب
(توضيح نهج البلاغة)
للمرجع الديني الكبير آية الله العظمى
السيد محمد الحسيني الشيرازي رحمته الله



كتابه عليه السلام إلى الأشتر النخعي

(ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي، لما ولاه على مصر وأعمالها)..

(وهو أطول عهد) للإمام عليه السلام (وأجمع كتبه للمحاسن) والآداب والسياسات.

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به عبد الله عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، مالك بن الحارث الأشتر، في عهده إليه حين ولاه مصر، جباية خراجها، وجهاد عدوّها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها»:

أخلاق الحاكم

(أمره) علي عليه السلام (بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه) القرآن الكريم.

(من فرائضه) الواجبة (وسننه) المستحبة (التي لا يسعد أحد إلا باتباعها) والعمل بها (ولا يشقى إلا مع جحودها) أي إنكارها (وإضاعته) بعدم العمل بها (وأن ينصر) الأشتر (الله) تعالى (سبحانه بقلبيه) بالعزم على تنفيذ أوامره في البلاد والعباد (ويده) بالتأديب والجهاد والكتابة، وما أشبهه (ولسانه) بقول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (فإنه) جلّ اسمه قد تكفّل بنصر من نصره) حيث قال سبحانه: ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (وإعزاز من أعزه).



مقياس الحاكم الصالح

(وأمره) عليّ عليه السلام (أن يكسر نفسه من الشهوات) أي يذلّها فلا يعطيها ما تطلبه من الملذّات والمشتهيات (ويزعها) أي يكفّ نفسه عن المطامع والمطامح (عند الجمحات) أي إذا جمحت النفس وعصت إلّا عن نيل الملذّات (فإن التّفنّس أمارة بالسّوء) أي كثيرة الأمر بالأعمال السيّئة (إلّا ما رحم الله).

(ثمّ اعلم يا مالك أنّي قد وجهتك) أي أرسلتك (إلى بلاد قد جرت عليها دول) جمع دولة، وجرت بمعنى مضت (قبلك) وقبل دولتك (من عدل وجور) أي إن بعض تلك الدول كانت عادلة وبعضها كانت ظالمة (وأنّ النّاس ينظرون من أمورك) وكيف تعمل أيام حكومتك (في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك) فكنت تقول هذا حسن وهذا سيء، وهكذا ينظر النّاس إليك (ويقولون فيك) وفي تصرفاتك (ما كنت تقول فيهم) من تحسين حسناتهم وتقبيح قبائحهم.

(وإنّما يستدلّ على الصّالحين) وأن أيّ الناس صالح وأيهم ليس بصالح (بما يجري لله لهم على ألسن عباده) فإن مدح الناس شخصاً، كان دليلاً على صلاحه (فلا يمكن أحبّ الدّخائر) التي تدخرها (إليك، ذخيرة العمل الصّالح) في مقابل ذخيرة الملوك والولاية للمال والجواهر (فمالك هوأك) لئلاّ يردك موارد الهلكة.

(وشحّ بنفسك) أي أبخل بها فلا تبذلها (مما لا يحلّ لك) من

الأعمال والأقوال والتصرفات. (فإنَّ الشَّحَّ بِالتَّنْفَسِ) بعدم صرفها في موارد الهلكة (الإنصاف منها فيهما أحييت) بعدم التعدي (أو كرهت) بعدم التفريط، فإنَّ الإنسان قد يحبُّ شخصاً فيسرف في إكرامه، وقد يكره شخصاً فيبخل حتى يأكرامه اللائق به.

الحاكم والرعية

(وأشعر قلبك الرحمة للرعية) حتى يكون حب الرعية داخلا في قلبك، وذلك فإنَّ الإنسان بكثرة التفكير في أمر، يكون ذلك الأمر ملكة له (والمحبة لهم واللفظ بهم) بأن تكون لطيفاً في معاملتك معهم (ولا تكونن عليهم سعيماً ضارياً) أي تضرهم (تغتتم أكلهم) والمراد هضمهم حقوقهم، والتصرف في أموالهم بالاغتصاب.

(فإنهم) أي النَّاس (صنفان) أي قسمان: «إمّا أخ لك في الدين» إن كان مسلماً كما قال سبحانه ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (أو نظير لك في الخلق) فإنَّ النَّاس يتشابه بعضهم بعضاً، فيما لم يكن مسلماً، (يفرط منهم الزلل) أي يسبق منهم الخطأ، (وتعرض لهم العلل) أي علة الأعمال السيئة فيسيؤون بسبب تلك العلل (ويؤتى على أيديهم) العمل القبيح (في العمد والخطأ) وهذا طبيعة الإنسان، إذ ليس معصوماً، (فأعطهم من عفوك وصفحك) عن إساءتهم (مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه) بالنسبة إلى ذنوبك وأثامك، (فإنك) يا مالك (فوقهم) أي أعلى مرتبة من الرعية (ووالي الأمر عليك) والمراد



به نفسه الكريمة (فوقك) رتبة (والله) سبحانه (فوق من ولاك) فاللازم ملاحظته سبحانه في أمره ونهيه، (وقد استكفناك) أي طلب سبحانه منك كفاية (أمرهم) بإنجاز طلباتهم والقيام بمصالحهم (وابتلاك بهم) أي اختبرك بسببهم حيث جعلك والياً عليهم.

الحاكم في مواجهة الله

(ولا تنصبن نفسك لحرب الله) أي مخالفة شريعته تعالى بالظلم والجور، فإن الوالي الجائر كالذي نصب نفسه للمحاربة. (فإنه لا يد لك بنقمته) أي ليس لك يد وقوة لدفع عذابه تعالى إذا أراد بك سوءاً (ولا غنى بك عن عفوه ورحمته).

(ولا تندمن على عفوه) فإن عفوت عن مجرم أجرم إليك ثم عفوت عنه فلا تندم أبداً، إذ العفو أحسن عاقبة من الانتقام، (ولا تبجحن بعقوبة) أي لا تفرحن بسبب ما عاقبت به أحداً، فإن العقوبة شر عاقبة مهما كانت حقاً (ولا تسرعن إلى بادرة) وهى ما يظهر من الإنسان من قول أو فعل عند الغضب (وجدت منها مندوحة) أي مفرراً ومخلصاً، بل فرّ من آثار الغضب حتى يهدأ.

(ولا تقولن إنني مؤمر) قد أمرت من جانب الخليفة بكذا (أمر) لكم أيتهما الرعية (فأطاع) أي فاللازم أن أطاع، بأن ترى نفسك فوقهم (فإن ذلك) أي جعل الإنسان نفسه بهذه المنزلة الموجبة للكبر (إدغال في القلب) أي إدخال للفاسد فيه، إذ الشخص الذي يفكر هكذا تفكير

إذا عملت الرعية خلاف هواه عاقب بغير حق (ومنهكة للمدين) أي مضعفة لدين الإنسان، إذ ذلك يوجب الظلم والعدوان والكبر والترفع (وتقرب من الغير) أي الاغترار بالسلطة، والوقوع في تطورات غير محمودة.

(وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانتك أبهة) أي إذا سبب السلطة لك كبيراً وعظمةً (ومخيلة) أي الخيلاء والعجب (فانظر) لكسر جماع نفسك وإخراج الكبر من قلبك (إلى عظم ملك الله فوقك) فإن النفس إذا نظرت إلى أعظم منها صغرت، واستصغرت ما هي فيه (وقدرته) سبحانه منك (على ما لا تقدر عليه من نفسك) يعني إنه تعالى قادر على التصرف في نفسك بالإفكار والأمراض والإماتة وما أشبه مما لا تقدر أنت على مثل ذلك بالنسبة إلى نفسك.

(فإن ذلك) النظر والتفكير في عظمته سبحانه (يطامن إليك) أي يخفض (من طمأحك) أي ارتفاعك وكبرك (ويكف عنك) أي يمنع (من غرورك) أي حدة تعظيمك لنفسك (ويغني إليك) أي يرجع (بما عزب عنك) أي غاب (من عقلك) فإن من ذهول العقل أن يرى الإنسان نفسه عظيماً، وهي صغيرة حقيرة.

(إنك) أي احذر يا مالك (ومساماة الله) أي مباراته ومقابلته في السمو والعلو (في عظمته) بأن ترى نفسك عظيماً، فإن ذلك مقابلة لله في عظمته (والتشبيه به في جبروته) بأن تكون جباراً، كما هو سبحانه



جبار، (فإن الله يذل كل جبار، ويهين كل مختال) أي متكبر.

انتهاج العدل والإنصاف

(أنصف الله) بالإتيان بما أمر (وأنصف الناس) بإعطاء حقوقهم (من) نفسك ومن خاصة أهلِكَ) فلا تذرهم يتركون أو امره تعالى، أو يضيعون حقوق الناس (ومن لك فيه هوى من رعيتك) أي لك ميل إليه من حاشيتك وأصحابك، فإنّ الغالب أن أهل السلطان وحاشيته لا يهتمون بفرائض الله، ولا بحقوق الناس حيث يرون أنفسهم في غنى، وأن الإنسان ليغطي أن رآه استغنى. (فإنك إن لا تفعل) الإنصاف (تظلم) الناس بنفسك أو بحاشيتك وأهلك حيث أطلقت سراحهم يعملون ما يشاؤون بالناس (ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عياده) فإنّ الله تعالى يتولى رد المظالم (ومن خصمه الله أدهض حجته) أي أبطلها، لأنه سبحانه عالم بالواقعيات، فلا يعبر عليه الكذب والتزوير.

(وكان) هذا الظالم (لله حرباً) أي محارباً (حتى ينزع) أي يقلع عن الظلم (أو يتوب) فيما لو تمت المظلمة ولا محل للإنزاع منها (وليس شيء أدهى) أي أكثر دعوة وتسببياً (إلى تغيير نعمة الله) بذهابها عن الإنسان (وتعجيل نقمته) أي نكاله وعقابه على الإنسان (من إقامة على الظلم) أي من أن يقيم الإنسان ويستمر في ظلم الناس.

(فإنّ الله سميع دعوة المضطهدين) أي يسمع شكاية المظلومين

ودعاءهم لزوال ملك الظالم (وهو للظالمين بالمرصاد) أي بمحل الرصد والترقب يراقبهم لأخذهم (وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق) أي أعدلها من جهة كونه حقاً، مثلاً أحب البذل ما لم يكن فيه إفراط ولا تفريط، وإن كانا جائزين في أنفسهما، لعدم كونهما مضرين (وأعمهما في العدل) بأن يشمل عدلها الناس، فإذا أراد بذل ألف دينار، أعطاهما لألف شخص مثلاً، لا لمائة، وإن كان كل الأمرين جائزاً (وأجمعها لرضا الرعية) بأن توجب لرضى جميع الرعية لا بعضهم دون بعض (فإن سخط العامة يجحف) أي يذهب (برضا الخاصة) إذ العامة يوجبون أن يسخط الخاصة على الإنسان أيضاً، إذا أكثروا الشكاوى عندهم، لأن الناس مرتبطون بعضهم ببعض. (وإن سخط الخاصة) أي بعض الناس، الذين يريدون الزيادة من حقهم على حساب سائر الناس (بغتفر) ولا يؤثر (مع رضا العامة). ولذا يجب على الإنسان أن يلاحظ رضا العامة، وإن سخط بعض الخاصة.

الحواشي والمنتفعون

(وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤنة) أي ما يتطلب ويريد (في الرخاء، وأقل معونة) أي عوناً وإغاثة (له في البلاء) والشدة (وأكره للإنصاف) إذا أراد الوالي إعطاء حقه، لا أكثر (وأسأل بالإلحاف) أي الإلحاح في السؤال (وأقل شكراً عند الإعطاء) أي إعطائه المال والمنصب وما أشبهه (وأبطأ عذراً عند المشع) أي لا يقبل عذر الوالي إذا منعه



عن العظيمة (وأضعف صبراً عند ملامات الدهر) أي حوادثه التي تلمّ بالإنسان (من أهل الخاصة) أي أهل الخصوصية والقرب بالإنسان، وهم الحاشية، فإن الخاصة يعدون أنفسهم من الطبقة الرفيعة، والطبقات الرفيعة غالباً يبتلون بهذه النقائص، لأنهم يرون لأنفسهم امتيازات موهومة. (وإنما عماد الدين) الذين يقومون بأمره وسائر شؤونه (وجماع المسلمين) أي جماعتهم (والعدة) التي يهيئها الوالي (للأعداء) فيما إذا صارت محاربة (العمامة من الأمة) لأنهم حيث لا يرون لأنفسهم امتيازات يعملون في جميع المجالات (فليكن صغوك) أي إصغائك (لهم) بالاختلاط معهم وقضاء حوائجهم.

(وميلك معهم) فلا تحجبهم ولا تصرف نفسك عنهم.

الوشاة والجواسيس

(وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم) أي أبغضهم عندك (أطلبهم لمعايب الناس) أي أشدهم طلباً وتفحصاً وبيانا لعيوب الناس (فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها).

(فلا تكشفن) أي لا تفحصن (عما غاب عنك منها) أي من المعائب (فإنما عليك تطهير ما ظهر) فإن الله سبحانه نهى عن التجسس ولم يأمر بالتفحص عما لا يعلم، (والله يحكم على ما غاب عنك) فدعه لله تعالى (فاستر العورة) إلى العيب (ما استطعت يستر الله منك) عيبك من (ما تحب ستره من رعيتك) أي من عيوبك التي تحب أن لا يعرفها

الرعية.

(أطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر) أي كل عداوة، (وتغاب) أي كن كالغائب في عدم المعرفة (عن كل ما لا يصح لك) من دعوة، أو عقوبة، أو إعطاء، أو ما أشبهه، فاجعل نفسك كأنك لم تفهمه ولم تحضر الأمر (ولا تعجلن إلى تصديق ساع) يسعى بذكر معائب الناس وجرائمهم لتنزل عقوبتك عليهم (فإن الساعي غاش) يغش ويكذب ويوجب الفساد (وإن تشبهه بالتناصحين) لك.

المستشارون

(ولا تدخلن في مشورتك) الشور الفحص عن الحق بسبب تصفح الآراء والأفكار (بخيلاً يعدل بك عن الفضل) فيقول لك لا تتفضل ولا تعط، خوفاً من الفقر أو لعدم استحقاق الأخذ أو ما أشبهه (ويعدك الفقير) إن أنت أعطيت ما عندك (ولا جباناً يضعفك عن الأمور) لأنه يخاف من مواجهة المشكلات. (ولا حريصاً) على الملك والمال وما أشبهه (يزين لك الشوره) هو الإفراط في الملمات (بالجور، فإن البخل والعجين والحرص غرائز) أي طباع (شتى) متفرقة في الإنسان (يجمعها سوء الظن بالله).

مواصفات الوزراء

(إن شر وزرائك) الوزير هو المؤازر للعمل (من كان للأشرار قبلك وزيراً) لأنه مكروه عند الناس، منحرف النفس (ومن شركهم في الآثام)



والمعاصي (فلا يكونن) أمثال هذا الوزير (لك بطانة) أي وزيراً وخاصة لك (فإنهم أعوان الأئمة) جمع أئم أي فاعل الإثم، فإن من اعتاد على الإثم يعين الأئمة. (وإخوان الظلمة) جمع ظالم، (وأنت) يا مالك (واجد) أي تجد (منهم) أي بدل هؤلاء الوزراء (خير الخلف) فإن البلاد لا تخلو عن الحكماء المعتدلين (ممن له مثل آرائهم) الصائبة (ونفاذهم) في الأمور، بمعرفة كيفية العمل، والإتيان بالفعل فعلا (وليس عليه مثل آصارهم) جمع إصر، وهو: الذنب والحمل الثقيل (وأوزارهم) جمع وزر، بمعنى الإثم. (ممن لم يعاون ظالما على ظلمه) حتى يكون له سابق سيء عند الله وعند الناس (ولا آثماً على إثمه) وإن لم يكن الإثم ظلماً للغير، كشرب الخمر وما أشبهه (أولئك) الوزراء الذين ليس لهم سابقة سوء (أخف عليك مؤنة) فإنهم لم يعتادوا أخذ الأموال من الولاة، حتى يريدوا مثلها منك (وأحسن لك معونة) لأنهم لم يترهلوا في الحكم حتى يثقل عليهم العمل (وأحنى عليك عطفاً) أي أكثر حنوا وميلاً وتعطفاً عليك، لأنهم يرون أنك ولي نعمتهم. (وأقل لغيرك ألفاً) أي ألفه ومحبة، إذ لم يسبق لهم حكم حتى ألقوا الناس (فاتخذ أولئك) الجدد من الوزراء (خاصة لخلواتك) تخلو بهم للاستشارة (وحفلاتك) إذا أردت أن تحتفل بشيء، والمراد اجتماعاتك بالناس للأعياد وأشباه ذلك (ثم ليكن أثرهم عندك) أي أفضلهم لديك الذي تقدمه على غيره (أقولهم بمرّ الحق لك، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما

كره الله لأوليائه) كصرف العمر في البطالة، وما أشبهه، بأن يكون ذلك الوزير لا يساعدك علي مثل هذا الأمر، وإنما يساعدك في الأمور الحسنة (واقعا ذلك) المكروه لله (من هোক حيث وقع) أي وإن كان ذلك الأمر من أشد مرغوباتك، (ألصق) أي اقترب، يا مالك (بأهل الورع والصدق، ثم رضهم) أي عودهم، من الرياضة (على أن لا يظروك) أي لا يمدحوك (ولا ييجحوك) أي : لا يفرحوك (بباطل لم تفعله) بأن يقولوا فعل الوالي كذا، والحال أنك لم تفعله، وإنما فعله غيرك (فإن كثرة الإطراء) والمدح (تحدث) في الممدوح (الزهو) أي الفخر والعجب بالنفس (وتدني) أي تقرب الممدوح (من العزة) أي الكبر والاعتزاز، وكل ذلك رذيلة.

(ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء) أي متساويين فتحترم المسيء كما تحترم المحسن (فإن في ذلك تزهيدا) وتنفيراً (لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلا منهم) أي من المحسنين والمسيئين (ما ألزم نفسه) بإكرام المحسن، وإهانة المسيء.

الإحسان للناس

(واعلم أنه ليس شيء بأدعى) أي بأكثر طلب ودعوة (إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم) فإذا أحسن إليهم أحببهم، لأنه أمن منهم ووثق بمحبتهم له فيحببهم، (وتخفيفه المؤنات) أي الصعوبات (عليهم، وترك استكراهه) أي إكراهه (إياهم على ما ليس له قبلهم) أي



عندهم، (فلا يمكن منك) يا مالك (في ذلك) الذي ذكرت (أمر يجتمع لك به) أي بسببه (حسن الظن) من رعيتك إليك، حتى يظنوا أنك لا تريد إلاّ خيرهم ولا تحمّلهم أمراً شاقاً، فإذا فعلت ذلك (يقطع عنك) أي يزيل عنك (نصيماً) وتعباً (طويلاً) إذ الرعية إذا أساءوا الظن بالوالي، أوجدوا له في كل يوم مشكلة، ولم يعينوه في أموره، (وإن أحق من حسن ظنك به لمن بلائك عنده) أي امتحانك له، (وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلائك عنده) فاللزام أن يجعل الإنسان ميزان حسن الظن وسوء الظن مقادير الناس في الأعمال السابقة، لا أن يجعل الميزان مقادير مدحهم وذمهم للوالي، يطرد الناقد، ويقرب المطري - كما هي العادة عند الإغرار من أصحاب السلطنة -.

السنة الصالحة

(ولا تنقص سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة) أي السابقون منهم، فإن الولاة كثيراً يأخذهم الكسل والترهل فيتركوا بعض السنن استثقلاً، ويستمر الأمر على ذلك حتى تموت تلك السنة بين الناس (واجتمعت بها) أي بتلك السنة (الألفة) بين الناس (وصلحت عليها) (الرعية).

(ولا تحدثن سنة) أي طريقة جديدة (تضر بشيء من ماضي تلك السنن) فإذا صرفوا الناس نشاطهم في هذه السنة الجديدة، لم يبق لهم نشاط لصرفه في السنة القديمة، كان يسن مثلاً زيارة الحسين (عليه السلام)

يوم العشرين من شعبان بمناسبة -- وإن أعلن للناس أنه من باب مطلق الزيارة لا من باب زيارة خاصة -- فلا يأتي الناس إلى الزيارة في النصف منه (فيكون الأجر لمن سنّها) أي سنّ تلك السنة السابقة، كالأئمة عليهم السلام، (والوزر عليك بما نقضت منها) حيث صارت طريقتك موجبة لترك تلك السنة.

(وأكثر) يا مالك (مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تشييت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك).

طبقات الرعية

(واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض) لاحتياج كل طبقة إلى سائر الطبقات:
(فمنها جنود الله) أي الجيش المحافظون للبلاد.

(ومنها كتاب العامة والخاصة) كتاب جمع كاتب، وكتاب العامة هم الذين يكتبون لعامة الناس، كالخراج والمظالم، وكتاب الخاصة هم الذين يكتبون أوامر الوالي بالنسبة إلى العمال نصبهم وعزلهم وأخبار الأعداء وما أشبه ذلك ممن لا يرتبطون بعامة الناس، وإنما هم من خواص الوالي وأهل سره.

(ومنها قضاة العدل) أي القاضون بين الناس بالعدل.

(ومنها عمال الإنصاف والرفق) الذين يعملون للوالي، بإحضار الناس وتبليغهم، ومن يودعهم الوالي الأموال، من لهم الإنصاف في الأمور، ويعالجون المشاكل بكل رفق ولين.



(ومنها أهل الجزية) اليهود والنصارى والمجوس الذين يؤدون قدراً من أموالهم - بعنوان الجزية - في مقابل حماية الدولة لهم (والخراج) الذين يدفعون إيجار الأراضي التي هي للدولة لكونها مفتوحة عنوة، من استأجروهم لمصالحهم الزراعية وما أشبهه (من أهل الذمة ومسلمة الناس) أي الذين استسلموا ودخلوا في طاعة الدولة. (ومنها التجّار وأهل الصناعات).

(ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة) أي الفقراء، من الذين لا يدخلون تحت تلك العناوين.

(وكل) من أصناف هذه الطبقات (قد سمى الله) أي عين سبحانه (له سهمه) أي نصيبه وحكمه (ووضع على حده) أي شأنه (فريضة) أي بين الواجب له وعليه (في كتابه) القرآن الحكيم (أو سنة نبيه صلّى الله عليه وآله عهداً منه) صلّى الله عليه وآله (عندنا محفوظاً) فنعلم حكمه ببيان الرسول صلّى الله عليه وآله.

الجنود

(فالجنود - بإذن الله - حصون الرعية، وزين الولاية، وعز الدين، وسبيل الأمن، وليس تقوم الرعية) وتستقيم (إلا بهم) إذ لولا الجند لثار كل طامع، ونهب كل لص، وهكذا.

(ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج) إذ الكافل بشؤون الجيش من السلاح والعتاد وما أشبهه وجمعهم تحت لواء الطاعة هو المال (الذي يقوون به على جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه) أي على

ذلك الخراج (فيما يصلحهم) من السلاح والزراد وما أشبهه (ويكون من وراء حاجتهم).

القضاة والعمال والكتّاب

(ثم لا قوام لهذين الصنفين) الجنود وأهل الخراج (إلا بالصنف الثالث من القضاة) ليحل مشاكلهم والآن وقع التصادم وفسد النظام (والعمال) الذين يجمعون الخراج (والكتّاب) الذين يكتبون المرافعات، ومقادير الخراج وما أشبهه (لما يحكمون من المعاهد) جمع معقد بمعنى العقد في البيع والشراء وسائر المعاملات كالقضاة، (ويجمعون من المنافع) وهم العمال الذين يجمعون الخراج وسائر أموال الدولة (ويؤتمنون عليه) أي يكونون أمناء لشؤون الدولة (من خواص الأمور وعوامها) بالكتابة والإنشاء.

التجار وذوو الصناعات

(ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم) أي إنهم لأجل مرافقهم يقيمون الأسواق، (و) ما (يكفونهم) أي يكفي أصحاب الصناعات سائر الناس (من الترفق) والعمل (بأيديهم) في إنتاج المصنوعات (ما لا يبلغه رفق غيرهم) لأن غيرهم لا يعرف كيفية الصنعة.

الطبقة السفلى



(ثم الطبقة السفلى)، وسمي بهذا، لأنه يأكل ولا يعمل لعدم قدرته على العمل. (من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق أي يجب (رفدهم) أي مساعدتهم (ومعونتهم) أي إعطاء العون لهم (وفي) خلق الله سبحانه (لكل) من هذه الطبقات المتقدمة (سعة) إذ قد هيا في الأرض كل ما يحتاج إليه الإنسان (ولكل) من هذه الطبقات (علمى الوالى حق بقدر ما يصلحه) وبهيؤ لأمره، إذ الوالى هو المنظم العام للدولة، (وليس يخرج الوالى من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك) الحق الذي للطبقات عليه (إلا باهتمام) بأمور الناس (والاستعانة بالله) ليعينه فيما كلفه حتى يقدر على القيام به (وتوطين نفسه) أي تخضير ذاته (علمى لزوم الحق والصبر عليه) أي علمى الحق (فيما خف عليه) بأن سهل فعله (أو ثقل) عليه وصعب الإتيان به.

صفات المسؤولين:

(فول من جنودك) أي اجعلهم والياً على سائرهم (أنصحهم في نفسك) أي تطمئن نفسك بكونه أنصح من سواه (لله ولرسوله) بأن يطيع الكتاب والسنة (ولإمامك) أي نفسه الكريمة (وأنقاهم) أي أطرهم (جيباً) جيب القميص طوقه في طرف العنق، والمراد طهارة الصدر والقلب، وعدم إتيانه بلوث يلزم عنقه (وأفضلهم حليماً) بأن يكون أحلمهم (ممن يبطئ عن الغضب) فإذا غضب لم ينفذ غضبه، (ويستريح إلى العذر) فإذا أعتذر إليه المسيء قبل عذره، وجعله راحة

لنفسه (ويرأف بالضعفاء) فيقضي حوائجهم (وينبو) أي يشتد ويعلو (على الأقوياء) فيوقفهم عند حدهم، حتى لا يظلموا الضعفاء (ومن لا يثيره) ولا يهيجه (العنف) والشدة في الأمر، لأن نفسه ساكنة هادئة، (ولا يقعد به الضعف) بل ينفذ الأمر الصالح، وإن كان في حالة ضعف ووهن.

(ثم ألقى) في تولية الجند (بذوي المروءات) المروة الرجولة (الأحساب) أي أصحاب الحسب والفضيلة (وأهل البيوتات الصالحة) أي المعروفة بالصلاح، (والسوابق الحسنة، ثم أهل الشجدة) الذين يعينون الناس، ويغلبون على الأمور الصعاب، فإن النجدة بمعنى الإعانة والغلبة (والشجاعة والسخاء والسماحة) الذين يسمحون في الأمور لسعة صدرهم، ولا يضيقون الأشياء.

(فإنهم) أي المتصفين بهذه الصفات (جماع من الكرم) أي مجموع منه (وشعب من العرف) جمع شعبة، والعرف بمعنى المعروف.

الرعاية الأبوية

(ثم تفقد) أي تفحص (من أمورهم) وحاجاتهم (ما يتفقد الوالدان من ولدهما) من القيام بجميع شؤونهم، (ولا يتفاقم) أي لا يعظم (في نفسك شيء قويتهم) أي الجنود، أي ولاة الجنود المتصفين بتلك الصفات (به) والمعنى كل ما قويت به مثل هذا الوالي لا يعظم عندك، فتقول في نفسك: ما صرفته على مثله عظيم وأكثر من استحقاقه،



فإنَّ كلَّ ما يصرف لمثل هذا الوالي يكون بحقِّ واستحقاق. (ولا تحقِّرون لطفاً) وإحساناً (تعاهدتهم به) فلا تترك شيئاً من لطفك لأنه حقير غير مهم، بل كلُّ لطف (وإن قلَّ) يقع من قلوبهم موقعاً حسناً (فإنه) أي ذلك اللطف (داعية لهم إلى بذل النصيحة) أي لأن يبذلوا النصيحة (لك) في حفظ الجند وحسن الخدمة (وحسن الظنِّ بك) بأنك قريب منهم عاطف عليهم، ولذا تطف بهم.

(ولا تدع تفقد أي التفحص عن (لطيف أمورهم) أي صغارها (اتكالا على جسيمها، فإنَّ لليسير من لطفك موضعاً) في قلوبهم (ينتفعون به) ويوجب ذلك شدة حسن ظنِّهم بك، (وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه) فلا بد للوالي من الفحص عن العظيم والحقير بما يحتاجون إليه.

أفضل الرؤساء

(وليكن أثر رؤوس جنودك عندك) أثرهم أي أفضلهم عندك وأعلامهم رتبة في نظرك، ورؤوس الجند زعماءه (من واساهم في معاونته) بأن ساعدتهم بمعونته لهم كأنه أحدهم (وأفضل عليهم) أي جاد عليهم (من جدته) أي من غناه وماله، والمراد ما بيده من أرزاق الجند (بما يسعهم) أي بالقدر الذي يكفيهم (ويسع من ورائهم) أي أهلهم الذين بقوا في بلادهم وتركوهم في ديارهم (من خلوف أهليهم) جمع خلف، وهو من يبقى في الحيِّ من النساء والأطفال والعجزة بعد سفر الرجال (حتى

يكون همهم همماً واحداً في جهاد العدو) فإنهم إذا كفوا مؤنة أنفسهم ومؤنة أهليهم ومؤنة حكومتهم لم يبق لهم همٌّ إلا همُّ جهاد الأعداء، وذلك يوجب نجاح الدولة، وهيبته في أعين الأعداء.

(فإن عطفك) وميلك يا مالك (عليهم) أي على الرؤساء أو على الجند عامة (يعطف قلوبهم عليك) ويكثر ولاءهم لك.

(وإن أفضل قرة عين الولاة) الموجب لفرحهم واطمينانهم الذي هو سبب استقرار العين وعدم اضطرابها، كما في عين الخائف الذي يريد أن يجد ملجأً (استقامة العدل في البلاد) بأن يأمن كل إنسان لعدالة الحكومة وعدم تعدي الرعية بعضهم على بعض. (وظهور مودة الرعية) أي حبهم للدولة (وأنه لا تظهر مودتهم) وحبهم للولاة (ولا تصح نصيحتهم) أي لا ينصحون للوالي نصيحة صحيحة (إلا بحيطتهم) أي احتياطهم وحفظهم (على ولاة الأمور) أي حبّ الرعية لبقاء الولاة، وأخذهم التدبير لعدم ظهور ثورة عليهم، (وقلمة استئصال دولتهم) بأن لا يستثقل الرعية الدولة ويروها ثقيلة عليهم يرجون زوالها، (وترك استيلاء انقطاع مدتهم) بأن يعدوا زمن دولتهم قصيراً ويريدوا لها الطول، فلا يرون أن انقطاع مدتهم قد طال فيستبطوه.

(فافسح) أي وسّع يا مالك (في آمالهم) أي آمال الرعية (وواصل في حسن الثناء عليهم) بأن تشني عليهم دائماً بما يستحقّون من الثناء والإطراء (وتعديد ما أبلي ذوو البلاء منهم) بأن تعدّ صنائع أعمال الذين



قاموا بالأعمال العظيمة، فإن ذلك يشجع الناس على الإقدام، (فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم) وما أتوا به (تهنئ الشجاع) أي تحركه للإقدام (وتحرض) أي تحت (الناكل) أي المتأخر المتقاعد، ليتقدم ويعمل (إن شاء الله) تعالى.

(ثم اعرف لكل امرئ ما أبلي) من البلاء بمعنى الامتحان، أي بما عمل من الصنائع الجليلة (ولا تضيفن بلاء امرئ) أي لا تنسبن أعمال كل شخص (إلى غيره) فإنه ظلم له وكذب (ولا تقصرون به دون غاية بلائه) أي لا تعطه من الجزاء أقل من استحقاقه (ولا يدعونك شرف امرئ) وعزّ مقامه (إلى أن تعظم من بلائه) وعمله (ما كان صغيراً) فتطويه أكثر من استحقاقه وتجزيه بأكثر من جزائه.

(ولا) يدعونك (ضعة امرئ) وعدم رفعة مقامه (إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً) كما جرت عادة الناس بذلك فإنهم يمدحون العظماء بأعمال تافهة ولا يمدحون الأصاغر ولو بأكابر الأعمال.

(واردد إلى الله والرسول) أي : إلى الكتاب والسنة (ما يضلحك) أي يشكل عليك (من الخطوب) أي الأمور العظيمة في السلم والحرب وما أشبهه، (و) ما يشتهيه عليك من الأمور) فلا تدري ما ذا تصنع (فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم : يا أيها الذين آمنوا، أطيعوا الله) باتباع الكتاب (وأطيعوا الرسول) باتباع السنة (وأولي الأمر منكم) أي أصحاب الخلافة، وهم الأئمة الاثني عشر عليهم السلام (فإن تنازعتم

في شيء) من الأحكام (فردّوه إلى الله والرسول) بالرجوع إلى الكتاب
والسنة لترون أي جانب من الجانبين عليه دليل شرعي.
(فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه) أي نصّه الصريح الذي ليس
متشابهاً.

(والرد إلى الرسول صلى الله عليه وآله الأخذ بسنّته الجامعة) التي أجمعت الأمة
على أنها وردت من الرسول (غير المفترقة).

القضاء وصفات القاضي

(ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك) وهذا انتقال من الحكم
في الجند إلى الكلام في شؤون القاضي والقضاء. (في نفسك) بأن
تطمئنّ به (ممن لا تضيق به الأمور) فيضجر من القضايا والأحكام
(ولا تمحكه) أي لا تغضبه (الخصوم) أي المترافعون (ولا يتمادى)
أي لا يستمرّ (في الزلّة) أي السقطة في الخطأ، (ولا يحصر) أي لا
يضيق صدره (من الفياء إلى الحق) أي الرجوع إليه (إذا عرفه، ولا
تشرف نفسه على طمع) فيترك الحق لطمع رشوة أو جاه أو ما أشبهه
(ولا يكتفي بأدنى فهم) للأحكام والقضايا (دون أقصاه) بالتأمل والغور
والتحقيق (وأوقفهم) أي أكثرهم وقوفاً (في الشبهات) أي الأحكام
والقضايا المشتبهة، (وأخذهم بالحجج) أي أكثرهم اعتناءً وأخذاً بالأدلة
التي يأتي بها الخصوم لدى المحاكمة (وأقلهم تبرماً) وضجراً (بمراجعة
الخصم) فإذا أكثر الخصم من مراجعته لا يتبرم ولا يضرّج (وأصبرهم



علمى تكشف الأمور) فلا يعجل في الحكم، بل يلفظ ويصبر حتى يظهر الأمر الذي يريد أن يحكم فيه (وأصرمهم) أي أكثرهم قطعاً للخصومة وبيانا لمر الحق (عند اتضاح الحكم) أي وضوحه (ممن لا يزدهيه) أي لا يستخفه فرحا (إطراء) أي ثناء حتى إذا ثنى عليه مال إلى جانب المثنى. (ولا يستميله إغراء) حتى إذا أغراه أحد بالمال أو نحوه مال إلى جانبه، (وأولئك) المتصفون بهذه الصفات (قليل) لكن لا بد للوالي من الفحص عنهم حتى يجدهم ويستقضيهم.

(ثم أكثر) يا مالك (تعاهد قضائه) أي تتبعه في أحكامه حتى يعرف أنك مراقب عليه، فلا يفلت في الحكم بالباطل، خوفاً منك. (وأفسح له في البذل) أي وسع عليه في العطاء (ما يزيل علته) أي حاجته حتى لا ينظر إلى أموال الناس، ولا يحتاج إلى الرشوة وما أشبهه (وتقل معه) أي مع بذلك (حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك) بأن تعظمه وتوقره (ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك) حتى يكون مهيباً عند الناس وينفذ حكمه فوراً. (وليامن بذلك) الذي أعطيته من المنزلة (اغتيال الرجال له) أي وشايتهم له (عندك) فإنه إذا خاف أحداً لا بد وأن يخضع له، وإذا خضع لشخص لا يتمكن من الحكم عليه أورد وساطته، وبذلك يفسد الحكم.

(فانظر في ذلك) الذي ذكرت من أوصاف القاضي وكيفية معاملتك له (نظراً بديعاً) بالاهتمام بما ذكرت (فإن هذا الدين قد كان

أسيراً في أيدي الأشرار) في زمن عثمان حيث كان الولاة والحكام يعملون بالأهواء (يعمل فيه بالهوى) والميول النفسية (وتطلب به الدنيا) لا الآخرة.

صفات الحكام والولاة

(ثم انظر) يا مالك (في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محاباة وأثرة) المحاباة الإعطاء مجاناً، والأثرة الإعطاء ترجيحاً لأحد على أحد بدون رجحان. (فإنهم) أي الولاة (جماع) أي مجمع (من شعب الجور والخيانة) إذ الوالي معرض لكل ذلك فإذا لم يمتحن وأنيط به العمل وكان غير نقي الباطن تناول أنواع الظلم والخيانة بالأمّة.

(وتوخّ) أي تحر واطلب (منهم) أي من العمال (أهل التجربة) الذين جربوا الأمور فعرفوها (والحيماء) فإن الخيمي يستحي من الظلم والخيانة وما أشبهه (من أهل البيوتات الصالحة) المعروفة بالصلاح. (والقدم في الإسلام) أي من له خطوة سابقة على غيره في الخدمة بالإسلام، (فإنهم أكرم أخلاقاً) لتربية الإسلام لهم (وأصح إعراضاً) لم يختلط عرضهم بما لا يعرف كما هو كذلك بالنسبة إلى غير أهل البيوتات، (وأقل في المطامع إشرافاً) لأن حياءهم وتجربتهم يوجبان التنزه عن المطامع، (وأبلغ في عواقب الأمور نظراً) لما عرکتهم التجارب وعرفوا الأمثال والتقلبات. (ثم أسيغ) أي أوسع (عليهم الأرزاق) بإعطائهم مقدار حاجتهم في رفاه، (فإن ذلك) الإسباغ (قوة لهم على استصلاح أنفسهم) ومن صلح



حاله لا يفكر إلا في عمله، (وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم) فلا يظلمون الناس بأخذ أموالهم، ولا بيت المال بأكل ما فيه من حقوق المسلمين. (وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا) أي خانوا (أمانتك) في عملهم أو بيت المال الذي تحت أيديهم.

مراقبة الحكام والولاة

(ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون) أي الجواسيس (من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر) والخفية (لأموهم) أي أمور العمال (حدوة) أي سوق وحث (لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية) لأنهم يخافون أن تعزلهم إذا لم يستعملوا ذلك. (وتحفظ من الأعوان) أي احفظ مثل هؤلاء الأعوان الذين هم عيونك على العمال (فإن أحد منهم) أي من العمال (بسط يده إلى خيانة) بالنسبة إلى الدولة أو الأمة (اجتمعت بها) أي بتلك الخيانة (عليه) أي على ذلك العامل الخائن (عندك أخيار عيونك) بأن أجمع جميع عيونك على أنه خان تلك الخيانة (اكتفيت بذلك) الاجتماع في إخبار العيون (شاهداً) على ذلك العامل (فيسط عليه العقوبة في بدنه) بالحد والتعزير. (وأخذته) أي عاقبته (بما أصاب من عمله) المحرم عليه (ثم نصبته بمقام المذلة) بأن أذلته أمام الناس (ووسمته بالخيانة) أي علمته عند الناس بأنه خائن (وقلدته عار التهمة) بأنه متهم كأنه قلادة في عنقه، فإن ذلك يوجب اعتبار سائر العمال وحذرهم من أن يصابوا بما أصيب.

(وتفقد أمر الخراج) أي افحص عنه (بما يصلح أهله) أي الذين يدفعون الخراج فأصلح أمرهم حتى يتمكنوا من إعطائه إعطاءً حسناً (فإن في صلاحه) أي الخراج (وصلاحهم) أي الذين يدفعونه (صالحاً لمن سواهم) من الطبقات (ولا صلاح لمن سواهم) أي سوى أهل الخراج (إلا بهم) وذلك (لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله) إذ لا تنتظم أمور الناس إلا بقوة الدولة، والدولة لا تقوى إلا بالمال.

عمارة الأرض وانتهاج العدل

(وليكن نظرك في عمارة الأرض) بالزرع والضرع والبناء وما أشبهه (أبلغ من نظرك في استعجال الخراج) أي في جلبه وجمعه من الناس (لأن ذلك) الخراج (لا يدرك إلا بالعمارة) إذ الأرباح تتوقف على العمران (ومن طلب الخراج بغير عمارة) سابقة للأرض (أخرب البلاد وأهلك العباد) لأنه أجبر الناس على بيع أمتعتهم وأكثر في تضعيفهم مما يهلكون بسببه جوعاً ومرضاً، ولا يقدر على العمارة فلا تعمر البلاد بل تخرب (ولم يستقم أمره إلا قليلاً) إذ الناس يدفعونه حتى يسقط عن الحكم ويأتي من يقوم بشؤونهم (فإن شكوا) أي أهل الخراج (ثقلوا) في كثرة الخراج (أو علة) كالجراد (أو انقطاع شرب) هو الماء الذي يأتي في النهر (أو انقطاع) (بالة) أي ما يبيل الأرض من المطر فيما يسقى بالمطر (أو إحالة أرض) لما فيها من البذر والزرع إلى الفساد بسبب أنه (اغتمرها) أي عمها (غرق) لها (أو أجحف بها عطش) بأن قل ماؤها



فلم تأت بالزَّرع الكافي (خففت عنهم) في الخراج (بما تَرجو أن يصلح أمرهم) حسب نظرك في قدر التَّخفيف. (ولا يشغلنَّ عليك شيء خففت به المؤمنة عنهم) بأن تعدَّ الذي لم تأخذ عنهم من المال المقدر عليهم بعنوان الخراج ثقيلاً على نفسك، لأنه أوجب تنقيص أموال الدولة (فإنه زخر) لك عندهم (يعودون به عليك في عمارة بلادك) فإن عمارة البلاد يعود إلى الوالي خيرها (وتزيين ولايتك) بالزرع والعمارة (مع استتجلا بك) وجلبك (حسن ثنائهم) فإنهم يمدحونك بتخفيفك الخراج عليهم (وتبجحك) أي سرورك (باستفاضة العدل فيهم) أي بأن سببت إفاضة العدل وتكثيره بالنسبة إليهم (معتمداً فضل قوتهم) أي إنك تعتمد وتستند إلى قوتهم المالية وولائهم للدولة (بما ذخرت عندهم من إجمامك) أي إراحتك (لهم) بعد أخذك الزائد (والثقة منهم) فإنهم وثقوا بك وإذا وثقت الرعية بالوالي عملت لأجله بكل إخلاص (بما عودتهم من عدلك عليهم) فإنَّ من رأى العدل من واليه واعتاده وثق به (في رفقك بهم) وعدم العنف في أخذ الخراج كاملاً حين لم يجدوه، (فربما حدث من الأمور) التي تحتاج فيها إلى مالهم ورجالهم كالخرب الفجائية، أو ما أشبهه (ما إذا عولت) واعتمدت (فيه) أي في ذلك الأمر (عليهم من بعد) أي بعد تخفيف الخراج عليهم (احتملوه) وقبلوه (طيبة أنفسهم به) أي بكل طيب نفس، أو لأجل أن أنفسهم طيبة تجاهك، ولذا يتحملون الأمور التي تكلفهم بها.

(فإن العمران محتمل ما حملته) أي إذا كانت العمارة قائمة والزرع نامياً، فكلما حملت أهلها من الخراج سهل عليهم، لأنهم يحصلون الأرباح فيدفعون بعضها إلى الدولة (وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها) فإنهم إذا افتقروا لم يتمكنوا من العمارة فتحرب الأرض، وكيف يريد الوالي منهم الخراج حال أنهم محتاجون، (وإنما يعوز أهلها) أي يفتقر أهل الأرض الخراجية (لإشراف أنفس الولاة على الجمع) للمال (وسوء ظنهم بالبقاء) لاحتمالهم أنهم يعزلون عن قريب، ولذا يدخرون المال حتى يكون لهم شيء يعيشون به إذا عزلوا (وقلة انتفاعهم بالعبير) جمع عبرة، وهي ما يوجب إيقاظ الإنسان واعتباره من الأمور التي تحدث.

صفات الكتاب وحسن اختيارهم

(ثم انظر) يا مالك (في حال كتابك) الذين يكتبون أمور الدولة (فولّ على أمورك) في شؤون الكتابة (خيرهم) أي أحسنهم (واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائده) جمع مكيدة، وهي معالجة المشاكل الحربية والدولية وما أشبهه (وأسرارك) المالية وما أشبهه (بأجمعهم) متعلق بأخصص (لوجوه صالح الأخلاق) أي أفضل الكتاب صفات وأخلاقاً. (ممن لا تبطره) أي لا تظغيه (الكرامة) التي ترى منك (فيجتري بها) أي بسبب تلك الكرامة (عليك في خلاف لك) بأن يجتري فيخالفك في قول أو فعل (بمحضرة ملاً) أي بمحضر من الناس، مما يوجب سقوط هيبتك (ولا تقصر به الغفلة) أي لا توجب غفلته عن أعمالك حتى



يقصر في أمرك (عن إيراد مكاتبات عمالك عليك) أي في اطلاعك على ما كتب العمال إليك. (وإصدار جواباتها) أي جوابات كتب العمال (على الصواب) متعلق بإصدار (عنك) فإن الإنسان غير المهتم، لا يهتم بما ورد وبما صدر بخلاف النبيه الذي لا يفوته شيء (فيما يأخذ لك ويعطي منك) هذا بيان لوجه الصواب، فإن الكاتب يلزم أن يعرف ما ذا ينبغي أن يأخذ من العامل للوالي، فلا يضعف عقداً اعتقده لك بأن يعقد لك عقداً يكون قليل الفائدة للوالي وضعيف الشروط والبنود. (ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك) أي إذا أوقعت معاهدة مع أحد كانت ضارة عليك، يعرف الكاتب وجوه حل تلك المعاهدة بالطرق الشرعية حتى تتخلص من هذه المشكلة (ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور) بأن يكون عارفاً بمقدار نفسه، (فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل) ومن يجهل مقادير الناس لا يتمكن أن يكتب إليهم على وجه الصواب والحكمة.

(ثم لا يكن اختيارك إياهم) أي للكتاب (على فراستك) أي قوة ظنك وحسن نظرك (واستنامتك) أي ثققتك وسكونك بالأشخاص، (وحسن الظن منك) بهذا أو ذاك. (فإن الرجال) الذين يريدون الحظوة عند الدولة (يتعرفون لفراسات الولاة) أي يتوسلون لأن يوقعوا أنفسهم عند حسن ظن الولاة، حتى يناط بهم أمر، ويقضى لهم حاجة، (بتصنعهم) أي بصنعهم الحسن (وحسن خدمتهم) للولاة في ابتداء الأمر (و الحال

أنه (ليس وراء ذلك) التصنع وحسن الخدمة (من النصيحة والأمانة شيء) فقد وقع الوالي في أحبولتهم إذا عمل بحسن فراسته.
(ولكن اختيرهم بما ولوا للمصالحين قبلك) فمن أحسن في عمله سابقا يستخدم، ومن لم يعمل يترك (فاعمد) أي اعتمد للاستخدام (لأحسنهم - كان - في العامة أثرا) بأن رضيت عنه عامة الناس (وأعرفهم بالأمانة وجهاً) بأن عرف الناس وجهه بالأمانة في الأمور (فإن ذلك) الاختبار للكاتب (دليل على نصيحتك) يا مالك (لله ولمن وليت أمره) يعنى الإمام نفسه الكريمة.

(واجعل لرأس) أي لرئاسة (كل أمر من أمورك رأساً منهم) أي رئيساً من الكتاب، فللخراج كاتب، وللجند كاتب، وللعمال كاتب، وهكذا بحيث يكون ذلك الكاتب (لا يقهره كبيرها) أي لا يسبب غضبه كبير الأمور الملقاة على عاتقه (ولا يشتمت عليه كثيرها) أي يكون قادراً على ضبط الكثير من الكتابات والأعمال، فلا يتفرق عليه بحيث لا يعلم بعضها ويفوته (ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت) أي تغافلت (عنه ألزمته) أي ألزمتك الناس بذلك العيب، وألصق العيب إليك فإن الناس يقولون إنه من عيب الوالي، وإلا أصلح الكاتب.

التجار وذوو الصناعات

(ثم استوص بالتجار) أي أوصهم بحسن العمل (وذوي الصناعات) من الكسبية (وأوص) الناس (بهم) أي بالتجار وذوي الصناعات (خيراً)



بأن يحسن العمّال والكتّاب وسائر موظفيك إليهم، ولا يؤذوهم من غير فرق بين أقسامهم (المقيم منهم) في البلد (والمضطرب بماله) الذي يتردد بين البلدان للتجارة (والمترفق ببدنه) أي صاحب الصنعة الذي يزاول الصنعة كالنجار والحداد. (فإنهم) أي التجار وذوي الصناعات (مواد المنافع) إذ المنافع تأتي منهم (وأسياب المرافق) أي الحاجات، فإنهم يطلبون الحاجات للناس، ويصنعون الصناعات المحتاج إليها (وجلابها) أي الذين يجلبونها (من المبعاد) أي الأماكن البعيدة (والمطرح) أي أماكن السقوط والطرح، كالجبال وسائر المحلات التي يطرح فيها تلك الحاجيات (في برك وبحرك وسهلك وجبلك) السهل مقابل الجبل. (و) يجلبونها من (حيث لا يلتئم الناس لمواضعها) أي لا يتمكن الناس أن يبقوا في تلك الأماكن لصعوبة البقاء هناك، كالجزر وما إليها (ولا يجترؤون عليها) لأنها موضع الخوف أو ما أشبهه.

ثم علل عليه السلام قوله : «استوص وأوص» بعلّة أخرى بقوله: (فإنهم) أي التجار والصنّاع (سلم) أي مسالمون (لا تخاف بانقته) أي داهيته وأضراره، إذ التجار لا يحاربون الدولة ولا يثورون عليها. (وصلح) أي مصالحون (لا تخشى غائلته) أي ضرره وعصيانه (وتفقّد أمورهم) أي ابحت عن أحوال التجار (بحضرتك) أي الذين هم في بلدك (وفي حواشي بلادك) أي من كان منهم في أطراف البلاد (واعلم) يا مالك (مع ذلك) الذي ذكرت من مدح التجار (أنّ في كثير منهم ضيقاً) في الخلق والمعاملة (فاحشاً) أي كثيراً (وشحاً) أي بخلاً (قبيحاً) موجباً

لقبح صاحبه لكثرة البخل (واحتكاراً للمنافع) أي حبساً لها عن
الناس رجاء الزيادة في السعر والغلاء (وتحكماً) أي حكماً بالجور (في
البياعات) أي المبيعات إذ يجعلون عليها أثماً غالية.

(وذلك) الذي يفعله بعض التجار (باب مضرة للعمامة) أي عامة
الناس لما يلحقهم من الأذى من جهة هذه الأعمال (وعيب على الولاة)
لدلالة ذلك على ضعفهم (فامنع من الاحتكار) بأن تأمر التجار بعدم
حفظ ما يحتاج إليه الناس (فإن رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه) وهدد من عمل
به.

(وليكن البيع بيعاً سمحاً) ليسامح ويسهل فيه (بموازين عدل) لا
نقص فيها كما قد يكون ذلك عند بعض الكسبة.
(وأسعار) جمع سعر، بمعنى الثمن (لا تجحف) أي لا تضر
(بالفريقين من البائع والمبتاع) أي اشترى، يقال ابتاع المتاع إذا اشتراه
(فمن قارف) أي ارتكب (حكرة) أي احتكاراً (بعد نهيك إياه) عن
الاحتكار (فتمكّل به) أي أوقع به النكال والعذاب (وعاقبه في غير
إسراف) بأن لا تكثر من العقوبة، وإنما بمقدار الاستحقاق.

المحرومون

(ثم) اذكر (اللّه اللّه) يا مالك (في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة
لهم) أي لا علاج لهم في إدارة أمورهم (من المساكين) جمع مسكين،
وهو الذي أسكنه الفقر من الحركة، فلا يتحرك كما يتحرك الأغنياء.



(والمحتاجين) جمع محتاج، أي صاحب الحاجة (وأهل البؤسى) بمعنى شدة الفقر من البؤس (والزمنى) جمع زمين، وهو المصاحب بالزمانه، أي العاهة والمرض المانعان عن الاكتساب (فإن في هذه الطيقة قانعاً) بمعنى السائل، من قنع بمعنى سأل (ومعتراً) أي متعرضاً للعطاء بلا سؤال (واحفظ لله ما استحفظك) أي طلب سبحانه منك الحفظ (من حقّه) تعالى (فيهم) أي في أهل المسكنة والحفظ بإدارة شؤونهم وتفقد أحوالهم والقيام بحوائجهم.

(واجعل لهم قسماً من بيت مالك) الذي يجمع من الخراج والزكاة والجزية وما أشبهه (وقسماً من غلات صوافي الإسلام) غلات جمع غلة، وهي الثمرة كالخنطة والشعير، وصوافي الإسلام جمع صافية، وهي أرض الغنيمة التي اغتنمها المسلمون باسم الإسلام، ومعنى في كل بلد، توصية العمال بإعطائهم في سائر البلاد. (فإن للأقصى) أي الأبعد (منهم) أي من الفقراء والمساكين الذين في سائر البلاد (مثل الذي للأدنى) أي للأقرب إليك الذي في بلدك، فتعطي لأهل بلدك من بيت المال، ولأهل سائر البلاد من الصوافي حيث لا بيت مال هناك (وكل قد استوعبت حقّه) أي طلب سبحانه منك أن ترعى حقهم قريباً كان أم بعيداً، (فلا يشغلنك عنهم بطر) أي طغيان الملك والنعمة، كما هي عادة الرؤساء يشغلون بأمرهم عن تفقد سواهم (فإنك لا تعذر) أي لا يقبل الله ولا الناس عذرَكَ (بتضييعك التافه) أي بعدم اعتنائك

بالشيء القليل من الأمور (لأحكامك الكثير المهم) فإنَّ الإنسان مسؤول عن التافه كما هو مسؤول عن الكثير، فاللازم مراعاة الأمرين، لا ترك التافه والاعتناء بالكثير.

(فلا تشخص) أي لا تصرف (همك) أي اهتمامك (عنهم) أي عن ملاحظة شؤون الفقراء والمساكين (ولا تصعّر) أي لا تمل (خذك عنهم) كما يفعل المتكبرون.

(وتفقد) أي ابحث عن (أمر من لا يصلحك إليك منهم) أي من الفقراء (ممن تقتحمه العيون) أي تنظر إليه باحتقار (وتحقره الرجال) لعدم أهمية له وراثته أثوابه (ففرغ لأولئك) الفقراء (ثقتك) أي الموثقين من أصحابك، ليفحصوا عن شؤونهم وخصوصياتهم (من أهل الخشمية) من الله سبحانه حتى يخافوه في أمر الفقراء فلا يهملوهم.

(والتواضع) حتى لا يتكبروا عن مباشرتهم والفحص عنهم في الخرائب والخانات وما أشبهه، فإذا تفحصوا عنهم ووجدوهم (فلم يرفع) أولئك الثقة (إليك أمورهم) أي أمور الفقراء (ثم اعمل فيهم بالأعذار إلى الله) أي بما يقدم لك عذراً عنده سبحانه (يوم تلقاه) بعد الموت، حتى لا يقول لك : لماذا ضيعت الفقراء (فإنَّ هؤلاء) الفقراء (بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم) لمسكنتهم وانقطاعهم. (وكل) أي كل واحد من هؤلاء الفقراء، أو من كل طبقة (فأعذر إلى الله) أي ائت بما يعذرك عند الله (في تأدية حقه إليه) أي بإعطائك له حقه الذي



أوجبه سبحانه عليك .

الأيّام وذوو الحاجات

(وتعهّد) بالبحث والقيام بالحوائج (أهل اليتيم) أي الأيتام (وذوي الرقّة في السن) أي المتقدمون في العمر الذي رقّ عظمهم وحالهم (متمنّ لا حيلة له) أي لا علاج له في إنجاز أموره، (ولا ينصب للمسألة نفسه) أي لا يقوم بنفسه للسؤال (وذلك) العمل بأن ينصب نفسه للفحص عن الطبقة السفلى (على الولاة ثقيل) لكثرة أشغالهم وعدم رجاء فائدة من وراء هؤلاء الفقراء (والحق كله ثقيل) إذ الإنسان يريد أن لا يكون مقيداً، بل يعمل كيف يشاء يكذب ويخون ويتبع الشّهوات المحرمة وهكذا. (وقد يخفّفه الله) أي يجعل الحق على أنفسهم خفيفاً غير ثقيل (على أقوام طلبوا العاقبة) المحمودة في الآخرة (فصبروا أنفسهم) عن اقتراف الأثام (ووثقوا بصدق موعود الله لهم) أي ما وعده سبحانه من الجنان والثواب .

(واجعل) يا مالك (لذوي الحاجات) الذين يحتاجون إليك لحل قصة، أو طلب شيء أو رفع ظلامه أو ما أشبه (منك) أي من نفسك (قسماً) بأن تجعل بعض أوقاتك لهم (تفرغ لهم فيه) أي في ذلك القسم (شخصك) بالذات .

(وتجلس لهم مجلساً عاماً) يحضره عموم الناس المحتاجين (فتتواضع فيه) أي في ذلك المجلس (لله الذي خلقك) حتى يتمكن

كل ذي حاجة أن يبدي حاجته، إذ الناس لا يتمكنون أن يتكلموا مع المتكبرين.

(وتقعد عنهم جندك وأعوانك) بأن تأمرهم أن لا يتعرضوا لهم بالمنع أو الأذى (من أحواسك) جمع حرس بمعنى الحافظ (وشرطك) جمع شرطة على وزن غرفة، وهم طائفة من أعوان الدولة بخلاف الحارس الذي هو خاص برئيس الدولة أو ما أشبهه (حتى يكلمك متكلمهم) أي من يريد الكلام من ذوي الحاجات في حال كونه (غير متتبع) التتبع في الكلام التردد فيه من عجز، والمراد غير خائف، فإن الخائف لا يتمكن من الإفصاح عما لديه. (فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول في غير موطن) واحد، بل في موطن ومواضع عديدة: («لن تقدر») أي لن تظهر من الرذائل («أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حق من القوي غير متتبع») أي في حال كون الأخذ بغير تتعة بل بكل جرأة.

(ثم احتمل) أي تحمل يا مالك (الخرق) أي العنف في الكلام (منهم) أي من ذوي الحاجات حين يطلبون حاجتهم (والعي) أي العجز عن الإفصاح بحاجتهم، والمراد عدم الضجر بذلك.

(ونح عنهم الضيق) أي لا تضيق خلقك (والأنف) أي الاستنكاف، فلا تأنف للتكلم معهم (يبسط الله عليك بذلك) أي بسبب ذلك التحمل بكل لين ورفق (أكتاف رحمتك) أي أطرافها (ويوجب لك ثواب طاعته) حيث أطعته فيما أمرك من مراعاة الرعية (وأعطيت ما أعطيت هنيئاً) لا بأن تمن أو تعنف في الإعطاء حتى تكون العطية ثقيلة



على الأخذ غير هنيء لديه.

(وامنع) إذا أردت منع أحد عن العطية (في إجمال) أي في منع جميل (وإعذار) أي بتقديم عذر عن منعك لا منعاً قاسياً.

(ثم) هناك (أمور من أمورك) المربوطة بك (لا بد لك) يا مالك (من مباشرة) أي معالجتها بنفسك، (منها إجابة عمالك بما يعين) ويعجز (عنه كتابك) فقد لا يعرف الكاتب كيف يجيب سؤال العامل فلا بد لك أن تجيب بنفسك ذلك السؤال، وإلا فقد ضيقت الأمر -- إن وكلت كل الأمور إلى الكتاب - (ومنها إصدار حاجات الناس) أي إعطاؤهم حاجاتهم (يوم ورودها عليك) بأن تعجل في الإعطاء (بما تخرج به صدور أعوانك) أي تضيق صدورهم عن القضاء السريع، وإنما يريدون المماثلة إما إظهاراً للكبرياء، أو تعجزاً عن التعجيل، أو ما أشبه ذلك.

إدارة الوقت:

(وامض لكل يوم عمله) أي نفذ في كل يوم عمله المربوط به ولا تؤخر العمل (فإن لكل يوم ما فيه) من الأعمال (واجعل لنفسك) في العبادة والضراعة (فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت) التي تقسمها على أعمالك (وأجزل) أي أحسن وأعظم (تلك الأقسام) الموزعة على الأشغال. (وإن كانت) الأوقات (كلها لله) سبحانه يعطي عليها الأجر (إذا صلحت فيها النية) بأن قام الإنسان بكل عمل يعمله،

حتى الأكل والوقاع، قرينةً إليه (وسلمت منها الرعية) بأن عمل الوالي لأجل سلامة المسلمين (وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك) أي في أخص الحالات التي تتدين فيها لله (إقامة فرائضه) هذا اسم «ليكن» (التي هي له خاصة) وليست مربوطة بشؤون الرعية (فأعط الله من بدنك) أي بعض بدنك (في ليلتك ونهارك) بإقامة الصلاة وما أشبهه. (ووفّ ما تقربت به إلى الله من ذلك) الذي تأتي له (كاملاً غير مشلوم) أي غير مخدوش بشيء من الموانع (ولا منقوض) بمثل الرياء والعجب، فمثلاً يأتي الإنسان بالصلاة كاملة بأدائها وشرائطها خالية عن الرياء والموانع (بالغاً من بدنك ما بلغ) أي وإن بلغ تعب بدنك في سبيل الإتيان بالفرائض مبلغاً عظيماً، فإن اللازم أن يهتم الإنسان بأداء ما عليه، ولا يعتني بتعبه ونصبه.

(وإذا قممت في صلاتك للناس) بأن صليت معهم في جماعة (فلا تكونن منقراً) أي موجباً لنفرة الناس وفرارهم بتطويلك للصلاة (ولا مضيعاً) للصلاة بالنقص في الأركان والشرائط (فإن في التماس من به العلة) أي المرض الذي لا يتمكن من الطول (وله الحاجة) التي تفوت إذا طوّلت صلاته (وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجهني إلى اليمن). فقد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم الإمام عليه السلام إلى اليمن في مهمة، كما هو مذكور في التواريخ، وكان ذلك عام حجة الوداع (: كيف أصلي بهم) طويلاً أم قصيراً (فقال) صلى الله عليه وآله: «صل بهم كصلاة أضعفهم» فلا تطول «(وكن بالمؤمنين رحيماً) تعطف عليهم وترحمهم».



احتجاب الحكام والولاة عن الرعية

(أما بعد) ما تقدم يا مالك (فلا تطولنّ احتجابك عن رعيتك) بأن لا تظهر لهم مدة طويلة (فإن احتجاب الولاة عن الرعية) وعدم ظهورهم أمام الناس في المناسبات - كما يفعله المتكبرون بزعم الإبقاء على هيبتهم - (شعبية من الضيق) أي ضيق صدر الوالي من حوائج الناس (وقلة علم بالأمور) لأنه لو علم الأمور كما ينبغي قضى البعض الممكن، واعتذر اعتذاراً مقنعاً عما لا يمكن (والاحتجاب منهم) أي من الرعية (يقطع عنهم) أي عن الولاة (علم ما احتجبوا دونه) أي جعلوا لأنفسهم حجاباً دون ذلك الأمر، حين لم يعرفوا الأمر المحجوب عنه. (فيصغر عندهم الكبير) إذ إنهم لا يعرفون الأمور إلاّ بواسطة، والواسطة قد يجعل الأمر الكبير صغيراً تزلفاً، فلا يهتم له الوالي وذلك يفسد عليه الأمر (ويعظم الصغير) بعكس ذلك (ويقيح الحسن، ويحسن القبيح) فيرتّب الوالي آثار الضد على ضده مما يوجب الفساد (ويشاب الحق بالباطل) أي يخلط بينهما.

(وإنما الوالي بشر) لا يعلم الغيب (لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور) أي ما أخفى الناس عنه، وضمير «به» راجع إلى «ما» ومصداقه «من الأمور» (وليست على الحق سمات) جمع سمة، بمعنى العلامة، أي ليس للحق علامات ظاهرة حتى يعرف الوالي الحق من الباطل بواسطة تلك العلامة، حتى (تعرف بها) أي بتلك السمات

(ضروب الصدق من الكذب) أي أقسام الصدق.

(وإنما أنت) يا مالك الأشتر (أحد رجلين إما امرئ سخت نفسك بالبذل) لنفسك ومالك (في الحق) وحوائج الناس (ف.) إذاً (فيم احتجابك) أي لما ذا تحتجب عنهم، هل تحتجب (من واجب حقّ تعطيه) أي هل تريد الفرار من حق واجب (أو فعل كريم تسديده) أي عمل تقوم به في قضاء حوائج الناس (أو) أنت الرجل الثاني بأن تكون (مبتلى بالمنع) تمنع الناس حوائجهم وحينئذ لا احتياج إلى الاحتجاب (فما أسرع كف الناس عن مسألتك) أي إنهم يكفون عن سؤالك فوراً (إذا آيسوا من بذلك) وإعطائك. (مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤنة فيه عليك) أي لا كلفة ولا صعوبة لأنها أمور ضئيلة تافهة، فإذا ظهرت للناس وسألوك إياها تمكنت من قضائها بلا صعوبة (من شكاة مظلومة) أي شكاية عن ظلم فتأمر من ينهى الظالم عن ظلمه (أو طلب إنصاف في معاملة) فيما يريد أحد المتعاملين الإجحاف بحق الآخر، فتأمر من يأمره بالإنصاف، وأمثال هذه الأمور خفيفة لا تهّم حتى يحجب الوالي عن الناس لأجلها.

بطانة الحكام والولاة

(ثم إن للوالي خاصة وبطانة) البطانة ضد الظهارة في الثياب، والمراد هنا المقربون إلى الوالي الجلّاس له (فيهم استئثار) أي حبّ لجمع الأموال والوجاهات لأنفسهم (وتطاول) أي ترفع على الناس بالجبروت



وقدّة إنصاف في معاملة) يعاملون الناس بها (فاحسب) أي اقطع (مادة أولئك) البطانة (يقطع أسباب تلك الأحوال) أي قطع أسباب تعديهم بأن لا تعطهم المجال للاستئثار والتطاول. (ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك) الحامة كطامة الخاصّة والقرابة (قطيعة) هي الأرض التي يمنحها الخليفة أو الوالي لأحد والمصدر الإقطاع (ولا يطمعن) أحد من حاشيتك وحامتك (ملك في اعتقاد عقدة) أي في اقتناء ضيعة، فإنّ العقدة بمعنى الضيعة (تضر بمن يليها من الناس) إذا كانت بيد حاشيتك (في شرب) أي النصيب من الماء بأن يأخذ الماء بنفسه، فيضر ذلك بأراضي المجاورين. (أو عمل مشترك يحملون مؤنتهم) ومصارفه (علمى غيرهم) مثلاً يحتاج النهر إلى الكرى، فإذا أعطيت الضيعة للحاشية، حملوا مؤنة الكرى على المشترك وهكذا (فيكون مهناً) أي المنفعة الهنيئة ل(ذلك) الشيء أعطيته للحاشية (لهم دونك) إذ لا تنتفع أنت بتلك الضيعة أو العقدة (وعيهه عليك في الدنيا) بدم الناس لك (والآخرة) بإثم أعمال الحاشية وأنت قادر على منعهم.

لزوم الحق وطلب عاقبته

(وألزم الحق من لزمه) أي من لزم عليه الحق، فإذا كان الحق يرى لزوم أحد، فألزمه كما يأمر الحق (من القريب والبعيد) ولا تترك الحق الذي ثبت على القريب خوفاً أو شفقةً أو ما أشبهه (وكن في ذلك) الإلزام للحق (صابراً) متحملاً للأذى الذي يتولد منه (محتسباً) أي

تحسب ذلك عند الله سبحانه، بأن يكون إلزامك وصبرك له سبحانه
(واقِعاً ذلك) الإلزام بالحق (من قرابتك) أي أقوامك (وخاصتك) أي
حواشيكم (حيث وقع) أي ولو كان في غاية الثقل عليهم.

(وابتغ) أي اطلب (عاقبته) أي عاقبة إلزام الحق (بما يشغل عليك
منه) أي من الحق، فإن في بعض الأحيان يلزم العمل بالحق ثقلاً كبيراً
على الإنسان، لكن هذا الثقل يثمر عاقبة حسنة (فإن مغيبة) أي عاقبة
(ذلك) الإلزام بالحق (محمودة) في الدنيا بحسن الثناء للناس، والآخرة
بالأجر والثواب.

(وإن ظننت الرعية بك حيفاً) أي ظلاماً بالنسبة إليهم بأن ظنوا أنك
قصرت في أموالهم أو في إدارتهم أو ما أشبهه، (فاصحح) أي أظهر (لهم
بعذرك) أي بين وجه ذلك العمل إن أتيت، أو بين أنه افتراء عليك إن
لم تأت (وأعدل) أي أصرف (عنك ظنونهم بإصهارك) أي بإظهارك الحق
(فإن في ذلك) الإظهار لدى ظن السوء بك (رياضة منك لنفسك) أي
تعويداً لنفسك على العدل، وإرغاماً لكبيرك على الخضوع فإن الإنسان
لا يحب أن يتنازل لبيان أعداره لدى الناس، إذ يراهم أنهم دون ذلك.
(ورفقاً برعيتك) لأن مثل هذا العمل يوجب الرفق واللين بالنسبة
إلى الرعية (وإعذاراً) أي إظهاراً للعذر (تبلغ به) أي بسبب هذا الأعذار
(حاجتك من تقويمهم على الحق) فإن من يحضر لإبداء عذره لا يجوز
عن باطل غيره، وإذا عرف الناس منه ذلك استقاموا على الحق في
أمورهم.



أصالة الصلح والسلام

(ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه) أي إلى ذلك الصلح (عدوك و) الحال أن (لله فيه) أي في ذلك الصلح (رضى) بأن لم يكن الصلح محرماً من جهة من الجهات (فإنّ في الصلح دعة) أي راحة (لجنودك وراحة من همومك) فإنّ المحارب يتحمل هموماً جمّة بخلاف المصالح (وأمنناً لبلادك) لأنّ الناس في أيام السلم يأمنون ويعملون بكل راحة لترقية البلاد.

(ولكن) خذ (الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه) معك فلا تغفل منه طرفة عين، ولا تتساهل في العدة والعدة والتهيؤ اعتماداً على الصلح (فإنّ العدو ربما قارب) أي تقرب منك بالصلح (ليتغفل) أي ليغفلك فيغدرك فجأة في حال الغفلة منك (فخذ بالحزم) أي ملاحظة الأمور والحيلة لها (واتهم في ذلك) الحزم (حسن الظن) فلا تحسن ظنك بالعدو مهما كان ظاهر الصدق.

العهود والعقود والمواثيق

(وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة) أي معاهدة (أو ألبسته منك ذمة) بأن يكون في ذمامك وأمنك، والأول للمكافئ، والثاني للعدو الضعيف، (فحط) من حاط أي احفظ (عهديك بالوفاء) فلا تخن العهد (وارع ذمتك بالأمانة) أي كن أميناً في ذمتك فلا تخن الذمام (واجعل نفسك جنة) أي وقاية (دون ما أعطيت) أي حافظ على العهد بنفسك

حتى إذا وجه إليك سهم الانتقاد فاقبله ولا تخن (فإنه ليس من فرائض
اللّه شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم) وميولهم (وتشتت
آرائهم) أي اختلاف أنظارهم (من تعظيم الوفاء بالعهود) فإن كل الناس
يعظمونه مهما اختلفت آراؤهم و«الناس» مبتدأ خبره «أشده»، وقوله:
«مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم» جملة معترضة (وقد لزم ذلك)
الوفاء بالعهود (المشركون فيهما بينهم) بأن أوصى بعضهم بعضاً بأن
لا يخونوا (دون المسلمين) أي بالنسبة لعهدهم مع المسلمين مع ما
هم عليه من الشّرك وعداوة الإسلام (لما استوبلوا من عواقب الغدر)
أي لأنهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة مهلكة، واستوبل بمعنى عدّه وبيلا،
أي مهلكاً قبيحاً.

(فلا تغدرن) يا مالك (بدمتك ولا تخيسن) أي لا تخونن (بعهدك)
الذي عاهدت (ولا تختلن) الختل الخداع (عدوك) أي لا تخدعه بإعطائه
الأمان ثم نقضه (فإنه لا يجترئ على اللّه) بنقض العهد الذي أوجب
الوفاء به كما قال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾
(الآ جاهل) بعواقب النقض (شقي) قد وجب عليه العقاب. (وقد جعل
اللّه عهده وذمته) أي العهد الذي أوجده بين الناس والذمة التي جعلها
وديعة عند كل أحد (أمناً) أي لأجل أمن بعض من بعض (أفضاه)
أي أفشاه وجعله (بين العباد برحمته) ولطفه، (وحرماً) أي شيئاً
حرام خلافه (يسكثون) أي يطمئن الناس (إلى منعه) أي ماله من
قوة يلتجئ الناس إليها، إذ لولا خلقه سبحانه للعهد والذمة لم يكن



للخائفين والمحاربين ملجأ وملاذ (ويستفيضون) أي يفزعون بسرعة (إلى جواره) أي جوار العهد والذمة فراراً من الخوف عن الحرب وما أشبهه، (فلا إدغال) أي إفساد بنقض العهد (ولا مدالسة) أي تدليس بإظهار الأمان والمباغته بالخيانة (ولا خداع فيه) أي في العهد.

(ولا تعقد عقداً) بينك وبين غيرك (تجوز فيه العمل) بأن كان العقد غير صريح في المراد، فيجوز فيه احتمالات، وعلل: جمع علة وهي ما يطرأ على الكلام من الاحتمالات المفسدة لاستفادة المراد منه.

(ولا تعولن) أي لا تعتمدن (على لحن قول) اللحن ما يقبل التوجيه كالتورية والمفهوم المخالف وما أشبهه (بعد التأكيد) من العهد (والتوثقة) أي الوثوق بأن تريد نقض العهد فتعلل بأن العهد لم يكن صريحاً وهكذا بالنسبة إلى العقد، كما يفعل ذلك من لا وجدان له.

(ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله) بأن عاهدت مع أحد ثم رأيت ضيقاً من الوفاء بالعهد (إلى طلب انفساخه) متعلق بـ «لا يدعونك» أي لا تطلب انفساخ العهد (بغير الحق) هذا بيان لطلب الانفساخ (فإن صبرك على ضيق أمر) أي أمر ضيق عليك أوجبه العهد (ترجو انفراجه) بتمام مدة العهد أو ما أشبهه (و) ترجو (فضل عاقبته) إذ تعرف لدى الناس بأنك وفي بالعهد بالإضافة إلى ما لك من الثواب الجزيل (خير من عذر) بالعهد (تخاف تبعته) أي إثمته عند الناس وعند الله.

(وأن تحيط بك من الله فيه) أي في ذلك العذر (طلبية) أي مطالبته

سبحانه بحقه في الوفاء، فإذا لم تفعل الوفاء استحقت العقاب (فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك) من الإقالة بمعنى طلب الفسخ والعفو أي لا تقدر بعد العذر أن تستقيل الناس بأن يعفوا عن عذرك ولا يذموك، وأن تستقيل الله بأن يعفو عنك ولا يعاقبك.

حقن الدماء

(إيّاك) أي احذر يا مالك (والدماء وسفكها) أي إراقتها بقتل الناس (بغير حلها) الذي أحله الله سبحانه كالمفسد والقاتل ومن أشبههما (فإنه ليس شيء أدنى) أي أقرب (لشقمة) أي لغضب الله سبحانه (ولا أعظم لتبعة) أي الإثم والعقاب (ولا أحرى) أي أجدر وأحق (بزوال نعمة وانقطاع مدة) أي مدة العمر بالموت (من سفك الدماء بغير حقها) فإنه يوجب كل ذلك. (والله سبحانه ممتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا) أي سفك بعضهم دم آخر (من الدماء يوم القيامة) فإن أول شيء يحكم هناك حوله هو الدماء (فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام) كما يفعل الجبارون إذ يقتلون الأبرياء لأنهم أمروا بمعروف أو نهوا عن منكر أو ما أشبه ذلك (فإن ذلك) السفك (مما يضعفه) أي يضعف السلطان (ويوهنه بل يزيله وينقله) من سفك إلى غيره.

(ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمدة) أي في ما إذا قتلت بريئاً عمداً (لأن فيه) أي في قتل العمدة (قود البدن) أي القصاص الواقع على جسم القاتل فلا يمكن صرف النظر عن القصاص (وإن



ابتهليت به) قتل (خطأ) بأن لم تتعمد القتل (و) إنما (أفرط عليك سوطك) بأن كتب تريد الحد أو التعزير تأديباً فسبب السوط موت المجرم (أو سيفك) كأن أردت التأديب بالسيف فقتل المجرم (أو يدك بالعقوبة) التي تريدها بالمدنّب (فإنّ في الوكزة) هي الضربة بقبضة اليد (فما فوقها) من أقسام الضرب (مقتلة) أي قتل، وهذا تعليل لكون السوط ونحوه قد يفرط، (فلا تطمحن) أي ترتفعن (بك نخوة سلطانك) أي كبريائه (عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول) أي ورثته (حقهم) من دية الخطأ.

مواصفات وأخلاقيات الحاكم والوالي

(وإياك) يا مالك (والإعجاب بنفسك) بأن تحسن الظن بنفسك وأن ما عملت حسن (والثقة بما يعجبك منها) بأن تثق بالعمل الذي يسبب أن تعجب بنفسك لأنها أدت مثل ذلك العمل (و) إياك و(حب الإطراء) أي حب أن يثنى الناس عليك ويمدحوك (فإنّ ذلك) كله (من أوثق فرص الشيطان) أي أحسن فرصته التي تسبب هلاك الإنسان (في نفسه) الضمير عائد إلى الشيطان (ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين) أي ليبطله، فإن الإنسان إذا عجب بنفسه بطل عمله، وكذلك من أحبّ الإطراء على عمله، إذ يدلّ على كون العمل ليس لله سبحانه، وإنما للرياء والسمعة.

(وإياك) يا مالك (والمَنْ على رعيّتك بإحسانك) بأن تمنّ عليهم إذا

أحسننت إليهم (أو المتزيد) أي إظهار الزيادة (ففيما كان من فعلك) بأن تريد إظهار أنه فوق الذي عملت حقيقة (أو أن تعدهم) وعداً (فتتبع موعدك بخلفك) بأن تخلف وعذك. (فإن المن يبطل الإحسان) لدى الناس ولدى الله سبحانه (والتزيد يذهب بنور الحق) فإن للحق نوراً، فإذا أظهر الشخص أنه عمل فوق ما عمله، لم يكن لما عمله وقع ونور في أعين الناس (والخلف) للوعد (يوجب المقت) أي الغضب (عند الله و) عند الناس) فيكرهون الإنسان المخلف لوعده، وقال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي أنه مقت كبير ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ من الأعمال، والآية عامة شاملة للوعد كما تشمل الأمر بالحسن والنهي عن القبيح.

(وإياك) يا مالك (والعجلة بالأمور) بأن تأتي بها (قبل أوانها) جمع أن، بمعنى الوقت (أو التسقط فيها) أي التهاون - عكس العجلة - (عند إمكانها) بأن جاء وقتها (أو اللجاجة فيها) بالإصرار لفعلها (إذا تنكرت) أي صعبت ولم تتيسّر، بل اللازم أن يترك الإنسان الأمر إذا صعّب وأشكل (أو الوهن) والضعف (عنها) وعن الإتيان بها (إذا استوضحت) أي وضحت وتيسّرت. (فضع كل أمر موضعه) اللائق به من الإقدام أو الإحجام والإتيان بالشيء على وجهه (وأوقع كل أمر موقعه) المناسب له.

(وإياك) يا مالك (والاستئثار) أي الاستبداد (بما الناس فيه أسوة)



أي متساوون بأن تخصص نفسك بشيء هو للناس عامة، كأن تمتلك الأنهار العامة والمعادن الوسيعة وما أشبهه.

(و) إياك و (التغابي) أي التغافل (عما تعني به) أي تقصد أنت به بأن يريدك الناس منك (مما قد وضع للمعيون) أي ظهر وعلم به الناس (فإنه مأخوذ منك لغيرك) أي ما تملكته وخصصته بنفسك سيؤخذ منك لغيرك إذا انتقل الملك عنك فعليك إثم ولا يبقى في يدك. (وعما قليل) «ما» زائدة و «عن» بمعنى بعد (تنكشف عنك أغطية الأمور) فإنّ أمور الآخرة مغطاة لا يراها الإنسان إلاّ إذا مات (وينتصف منك للمظلوم) الذي استأثرت بحقه بعد كون الناس كلهم سواء في ذلك. (أملك) يا مالك (حمية انفك) أي كبرك وترفعك (وسورة) أي حدة (حدك) أي غضبك (وسطوة يدك) أي الضرب الشديد بها.

(وغرب لسانك) أي شدتها في القول فإنّ غرب السيف حدّه، فلا تتكبر ولا تغضب ولا تضرب أحداً ولا تتكلم كلاماً حاداً (واحترس) أي احترز وتجنب (من كل ذلك بكف المبادرة) أي ما يبدر ويسرع منك من لسانك أو يدك (وتأخير السطوة) والشدة إذا أردتها، فإن في التأخير يرجع العقل إلى الإنسان فلا يفعل إلا اللائق المناسب (حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار) في أن تفعل ومقدار ما تفعل، فإنّ الإنسان لدى الغضب هائج يفعل ما لا يليق.

(ولن تحكم ذلك) الكف للمبادرة والتأخير للسطوة (من نفسك) بأن تقوى نفسك على زمامها عند الغضب (حتى تكثر همومك)

وأحزانك (بذكر المعاد) أي الرجوع (إلى) ثواب (ربك) وعقابه حتى يتجلى المعاد في النفس، فلا تفعل شيئاً إلا إذا علم عدم سوء عاقبته. (والواجب عليك) يا مالك (أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك) بأن تنظر إلى أعمالهم وأحوالهم، فإن السير في أحوال الماضين يوقظ الإنسان ويرشده إلى ما ينبغي أن يعمل، ولذا قال سبحانه: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (من حكومة عادلة) بيان «ما»، (أو سنة فاضلة) أي ذات فضل وحسن (أو أثر) أي خبر وارد (عن نبينا صلى الله عليه وسلم) أو فريضة في كتاب الله تعالى (فتقتدي) بالعمل (بما شاهدت مما عملنا به) الضمير عائد إلى «ما» في «ما» (فيها) أي في ما ذكر من الحكومة والسنة والأثر والفريضة، ولا يخفى أن السنة هنا أعم من الأثر، إذ المراد بها الطريقة الحسنة سواء كانت عن الأنبياء السابقين عليهم السلام أو نبينا صلى الله عليه وسلم، أو عمل صالح اعتاده الناس كبناء المدرسة مثلاً.

(وتجتهد لنفسك) فإن فائدة الاجتهاد عائدة إلى نفسك (في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا) بأن تتعب لتعمل به في كل أمورك (واستوثقت) أي طلبت الوثوق (به) أي بسبب هذا العهد (من الحججة لنفسك عليك) بأن لا يكون لك عذر إذا خالفت، (لكي لا تكون لك علة) وعذر (عند تسرع نفسك إلى هواها) في خلاف ما بينت لك (وأنا أسأل الله بسعة رحمته) أي أجعل سعة رحمته واسطة لإنجاح أمري وإعطاء طلبتي (وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة) «على» متعلق بـ «قدرته» فإنه سبحانه قادر على إعطاء كل ما يرغب الإنسان إليه (أن



يوقفني وإياك) يا مالك (لما فيه رضا) سبحانه (من الإقامة على العذر
 الواضح إليه) تعالى (وإلى خلقه) أي يوقفنا لأن نقيم على الحق (مع
 حسن الشناء في العباد، وجميل الأثر) الباقي منا (في البلاد) بعمارتها
 وإصلاحها (وتمام النعمة) بأن يتم سبحانه علينا نعمه (وتضعيف
 الكرامة) بأن يزيد في كرمه علينا وإكرامه لنا (وأن يختم لي ولك بالسعادة
 والشهادة) في سبيل الله (إنا إليه) سبحانه (راجعون) والمراد إلى حسابه
 وثوابه (والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين) فلا خيبث
 فيهم (الطاهرين) فلا قذارة لهم (وسلم تسليماً كثيراً) ومعنى تسليم
 الله له صلى الله عليه وآله وسلم جعله سالماً من مكاره الدنيا والآخرة، و(السلام).

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،
 وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

النجف الأشرف

مرتضى الحسيني الشيرازي

الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

ملحق الهوامش

ملحق الهوامش

١. تتمة الهامش (١) ص ٣٠

وفي هذا الصدد، قال مارتن رافاليون، مدير مجموعة بحوث التنمية التابعة للبنك الدولي ورئيس فريق العمل الذي أصدر هذه الأرقام: "لقد أحرزت بلدان العالم النامية ككل تقدماً كبيراً في مكافحة الفقر المدقع، لكن من تجاوزوا خط الفقر والذين بلغ عددهم ٦٦٣ مليون شخص، مازالوا، مثلما حدث في البلدان الأشد فقراً، فقراء بمعايير البلدان متوسطة ومرتفعة الدخل. وهذا الارتفاع فوق خط الفقر المدقع دليل على حالة الضعف التي يعاني منها عدد كبير من الفقراء في العالم. ووفقاً للمعدل الحالي من التقدم، فإن عدد الفقراء المدقعين سيكون في حدود مليار شخص فقط بحلول عام ٢٠١٥".

ويمثل خط الفقر عند مستوى ١,٢٥ دولار المتوسط المستخدم في أفقر ١٠ إلى ٢٠ بلداً في العالم. ويكشف الخط الأعلى للفقر عند مستوى دولارين للفرد في اليوم (وهو المتوسط بالنسبة للبلدان النامية) تحقيق تقدم أقل بالمقارنة بمتوسط ١,٢٥ دولار للفرد في اليوم. وبالفعل، كان هناك انخفاض متواضع في عدد من يعيشون على أقل من دولارين للفرد في اليوم في الفترة من ١٩٨١ إلى ٢٠٠٨، من ٢,٥٩ مليار شخص إلى ٢,٤٤ مليار شخص، وإن انخفض بشدة منذ عام ١٩٩٩.

من جانبه، قال خايمي سافيدرا، مدير فريق البنك المعني بتقليص الفقر وتحقيق الإنصاف:



"معدلات الفقر البالغة ٢٢ في المائة في البلدان النامية لمن يعيشون على أقل من ١,٢٥ دولار للفرد في اليوم، و ٤٣ في المائة لمن يعيشون على أقل من دولارين للفرد في اليوم تعد أرقاما غير مقبولة. نحتاج إلى زيادة جهودنا. فعلى جانب السياسات والبرامج، نحن بحاجة إلى مهاجمة الفقر على جميع الجبهات، من خلق وظائف أكثر وأفضل إلى توفير خدمات تعليمية وصحية وبنى تحتية أفضل من أجل حماية الفئات الضعيفة والمتأثرة. أما على جانب عملية القياس، فإن البلدان بحاجة إلى توسيع عملية جمع البيانات وتعزيز القدرات الإحصائية، خاصة في البلدان منخفضة الدخل."

كما صرح البنك الدولي في ٢٦ أغسطس/آب ٢٠٠٨ بأن التقديرات الاقتصادية المحسنة أظهرت وجود عدد أكبر من الفقراء في أنحاء العالم عما كان مُعتقداً في السابق، وفي دراسة جديدة بعنوان "العالم النامي أكثر فقراً عما كان مُعتقداً، لكنه ليس أقل نجاحاً في الحرب ضد الفقر"، قام كل من Shaohua Chen و Martin Ravallion بتنقيح تقديرات الفقر منذ ١٩٨١، وخلصا إلى أنه مازال هناك ١,٤ مليار شخص (واحد من بين كل أربعة) في العالم النامي يعيشون على أقل من ١,٢٥ دولار للفرد في اليوم في ٢٠٠٥، وذلك مقابل ١,٩ مليار شخص (واحد من بين كل اثنين) في ١٩٨١. للمزيد من المعلومات: <http://worldbank.org>.

٢. تمة الهامش (١) ص ٣١

ويشير أحد الباحثين في احصائية أخرى إلى أن خمسين ألف شخص

يموتون كل يوم بسبب الفقر، وأن ما يناهز نصف سكان العالم يعيشون تحت خط الفقر فضلا عن أن نسبة ٧٠٪ منهم من النساء. ويموت ١,٨ مليون طفل سنوياً بسبب الإسهال؛ و١,٤ مليون يموتون سنوياً بسبب نقص المياه والمرافق الصحية و٢,٢ مليون من أمراض يمكن التلقيح ضدها، وفي كل سنة، هناك ٣٥٠ — ٥٠٠ مليون حالة ملاريا، يموت منهم حوالي المليون، وتستأثر إفريقيا بنسبة ٩٠٪ من وفيات الملاريا، والأطفال يشكلون أكثر من ٨٠٪ من ضحايا الملاريا في جميع أنحاء العالم. كما أن حوالي ٧٢ مليون طفل في سن التعليم الابتدائي في الدول النامية كانوا خارج المدرسة في عام ٢٠٠٥؛ منهم ٥٧٪ إناث، وبين ٢٧ و٢٨٪ من أطفال الدول النامية يعانون من نقص في الوزن أو التقرم. فثلث سكان الدول النامية لا يتوقعون العيش أكثر من ٤٠ عاماً نتيجة نقص الغذاء. كما أن ١,٦ مليار نسمة — أي ربع الإنسانية — يعيشون بلا كهرباء، كما أن مليار شخص في البلدان النامية لا يحصلون على كمية كافية من المياه.

وقد رفع البنك الدولي تقديرات سابقة لعدد الذين يعيشون في فقر مدقع في الدول النامية عقب تعديله مقياس الفقر إلى من يعيش على ١,٢٥ دولار يومياً بدلا من دولار واحد. وأفاد البنك بأن ١,٤ مليار نسمة أي ما يعادل ٢٥٪ من سكان العالم النامي كانوا يواجهون فقرا مدقعا ويعيشون على أقل من ١,٢٥ دولار في اليوم عام ٢٠٠٥ في أفقر عشر دول إلى عشرين دولة على المستوى العالمي. وقال البنك في عام ٢٠٠٧ إن من يعيشون دون خط الفقر في العالم الذي كان دولارا واحدا في اليوم بلغوا مليار نسمة. وذكر



البنك أن مائة مليون نسمة قد يدخلون في قائمة الفقراء جراء ارتفاع أسعار المواد الغذائية والطاقة. واستشهدت الأمم المتحدة بتقرير جديد للبنك الدولي يقول بأن الأزمة أضافت ٥٠ مليون شخص إلى عدد الذين يعانون من فقر مدقع في ٢٠٠٩ كما ستضيف ٦٤ مليوناً آخرين في ٢٠١٠ خاصة في منطقة جنوب الصحراء وشرق وجنوب شرق آسيا. كما زاد أيضاً عدد الذين يعانون من الجوع بحيث وصل عدد الذين يعانون من سوء التغذية إلى أكثر من مليار شخص في ٢٠٠٩ بسبب أزمة الغذاء التي تزامنت مع الأزمة الاقتصادية. وتقول إحصاءات منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة (فاو) إن أكثر من مليار شخص في العالم يعانون من نقص التغذية، أي حوالي سدس سكان كوكب الأرض. كما أن نحو ثلث سكان العالم (٢,٥ مليار نسمة) يفتقرون إلى القدرة على الوصول إلى مرافق الصرف الصحي الأساسية، وأكثر من مليار من سكان العالم يتبرزون في العراء.

وفي المقابل توضح الإحصاءات الغربية بالأرقام أن الدول الصناعية تملك ٩٧٪ من الامتيازات العالمية كافة، وأن الشركات الدولية عابرة القارات تملك ٩٠٪ من امتيازات التقنية والإنتاج والتسويق، وأن أكثر من ٨٠٪ من أرباح إجمالي الاستثمار الأجنبي المباشر في البلدان النامية يذهب إلى ٢٠ دولة غنية. وهناك حوالي ٠,١٣٪ من سكان العالم يسيطرون على ٢٥٪ من الأصول المالية، أي ٢٧ ترليون دولار بيد ٧ ملايين إنسان في العالم فقط، وتوضح الدراسات أنهم لو ساهموا بـ ١٪ من هذه الثروات لغطت تكلفة الدراسة الابتدائية لكل الأطفال في العالم النامي. كما أن أقل من ١٪ (واحد

بالمائة) مما ينفقه العالم كل سنة على التسلح يكفي لإدخال كل الأطفال إلى المدرسة. ويصرف الأوروبيون على البوظة والأميركيون على العطور ومأكولات الحيوانات المنزلية ٤٠ مليار دولار في السنة، أي ما يكفي لسد النقص في الصحة الإيجابية للنساء والتعليم الأساسي والماء والنظافة والصحة العامة والغذاء للجميع حول العالم.

يقول جوزيف ستيغليتز الحائز جائزة نوبل للاقتصاد: إن الأرقام في الوقت الحاضر تشير إلى أن الحلم الأميركي مجرد أسطورة ، فالمساواة في الفرص في الولايات المتحدة اليوم أقل من حالها في أوروبا - بل في أي دولة صناعية متقدمة تتوفر البيانات عنها. وهذا واحد من الأسباب التي تجعل من أميركا الدولة صاحبة أعلى مستوى من التفاوت وعدم المساواة بين كل الدول المتقدمة - والفجوة بينها وبين بقية الدول المتقدمة أخذت في الاتساع. فأتثناء فترة "التعافي" ، ٢٠٠٩-٢٠١٠، استحوذ المنتمون إلى شريحة الواحد في المائة الأعلى دخلاً في الولايات المتحدة على ٩٣٪ من نمو الدخل. وينظرة أكثر تدقيقاً إلى هؤلاء عند القمة، سوف نكتشف دوراً غير متناسب لعبه هؤلاء المستغلون: فقد حصل بعضهم على ثروتهم من خلال ممارسة القوة الاحتكارية.

وتشير الإحصائيات المتعلقة بالعالم العربي إلى أن حوالي ٤٠ مليون عربي يعانون من نقص التغذية أي ما يعادل ١٣ بالمئة من السكان تقريباً، بالإضافة إلى أن نحو مائة مليون عربي يعيشون تحت خط الفقر أي ما يعادل تقريباً ثلث سكان العالم العربي. ف٩٪ من أطفال العالم العربي



يموتون تحت سن الخامسة نتيجة الفقر وسوء التغذية. و١٥٪ من أطفال العالم العربي ناقصي الوزن. وكشفت وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي في العراق أن الفقر داخل المجتمع وصل ٢٣٪ من أبنائه من العيش تحت مستوى خط الفقر وهم يشكلون ما لا يقل عن ٧ ملايين عراقي " لا يتجاوز دخلهم اليومي دولاراً أميركياً واحداً. وكشف تقرير آخر صادر عن وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي أواخر العام ٢٠٠٧ أن الفقر شمل ٦٠٪ من العراقيين في حين بلغت نسبة البطالة ٥٠٪.

وذكرت مؤسسة أشوكا، أن ٥٢٪ من المصريين يعيشون على أقل من ٢ دولار يومياً وأن ١٠٪ من المجتمع يعاني من الإعاقة، وأن ٦٨٪ من قطاع الإسكان عشوائيات، وهو ما يجعل مصر تصنّف ضمن الدول الأكثر فقراً في العالم.

ويرى الخبراء أن أكثر من نصف أطفال بنجلاديش يعيشون في فقر ومحرومون من الطعام والخدمات الصحية والمأوى ويفتقرون لفرص الهروب من أوضاعهم هذه. فهناك ٣٣ مليون طفل دون سن ١٨ عاماً، أي حوالي ٥٦ بالمائة من مجموع أطفال البلاد، يعيشون حالياً تحت خط الفقر المحدد عالمياً في دولار واحد لكل شخص في اليوم. ويصل مجموع سكان البلاد إلى ١٤٠ مليون نسمة، من بينهم ٦٦ مليون طفل، أي حوالي ٤٤ بالمائة من مجموع السكان. ❖ ملاحظة: هذه الأرقام حول الفقر التي نشرتها وكالات الأنباء نقلت عن منظمات دولية مثل الأمم المتحدة والبنك الدولي ومنظمات أخرى، قد لا تعبر عن الواقع الحقيقي لأزمة ومشكلة الفقر في العالم، فهذه التقارير

تحاول أن تبدو متفائلة في طرحها لأرقام تراها تعبر عن انخفاض عدد الفقراء في العالم بالقياس إلى عام ١٩٨١، وهي تحاول أن تنسب لنفسها إنجازات قد لم تتحقق على أرض الواقع، فلم تحتسب هذه المنظمات نسبة التضخم في الدول الفقيرة كما لم تحتسب انخفاض قيمة الدولار، كما لم تأخذ بالحسبان بروز ظاهرة العولمة وانفتاح الاسواق.

٣. تنمة الهامش (١) ص ٤٩

وفي الأنظمة الديمقراطية يتم تحديد قيمة الضريبة بقوانين يتم المصادقة عليها من قبل ممثلي الشعب. وعادة ما تعهد وظيفة جمع الضرائب وتوزيعها على القطاعات المختلفة إلى وزارة المالية بعد تحديد الميزانيات. هذا كله على مستوى النظرية، أما على مستوى التطبيق، فإن (الضرائب) في البلاد الاستبدادية تصرف لتكريس الاستبداد وقمع الشعوب ومصادرة الحريات، وأما في البلاد الديمقراطية فإن قسما من الضرائب تصرف لتكريس الاستعمار، كما يذهب قسم آخر منها بطرق غير مباشرة إلى كبار الأغنياء والشركات العملاقة.

٤. تنمة الهامش (٢) ص ٥٠

وذلك بحسب استطلاع مؤسسة جالوب، الذي كشف عن أن سلوك الشبان العرب تغير بشدة عام ٢٠١٠ عما كان عليه في آخر مرة أجري فيها الاستطلاع وكان ذلك عام ٢٠٠٩، وتركز غضبهم من مستوى معيشتهم خاصة توفير سكن بأسعار معقولة، وقال شبان من ٢٠ دولة من بينها دول شهدت أو تشهد اضطرابات مثل البحرين ومصر وليبيا وتونس



أنهم شعروا بأنهم غير قادرين على الاندماج اقتصادياً بشكل كامل مع مجتمعاتهم على الرغم من طموحاتهم الكبيرة في قطاع الأعمال، وجاء في تقرير الدراسة¹¹ على الرغم من أنهم من أحسن الأجيال صحة في المنطقة وأفضلها تعليماً فإن الشباب العرب مازالوا يواجهون صعوبات في الوصول إلى فرص عمل وفرص في المؤسسات التجارية، وخلص التقرير أيضاً أنه خلافاً لما ترصده النظم التقليدية عن نمو الناتج المحلي الإجمالي وما يشير إليه من نمو اقتصادي ثابت في بعض الدول فإن منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ما زال بها واحد من أعلى معدلات البطالة بين الشباب في العالم.

وتقول جين كيننمونت، المحللة بوحدة الدراسات بمؤسسة إيكونومست: "الواقع الديمغرافي في الخليج وفي سائر دول الشرق الأوسط مقلق، لأن هناك شعوراً شاباً وطبقات حاكمة متقدمة في السن، وتضيف: "المشكلة أن معظم هذه الدول ما تزال تعتمد في اقتصادياتها على مبيعات منتجات النفط والغاز، وهذا يعني أنها عاجزة عن توفير فرص عمل تكفي لجميع المواطنين، فلا يمكن لقطاع الطاقة أن يستوعب كل طلبات التوظيف.

وجاء في بيان نائب البنك الدولي لشؤون شمال أفريقيا والشرق الأوسط شمشاد أختر: إن الربيع العربي أظهر أن الناس يريدون أفضل الخدمات العامة ومناخاً مديناً أكثر نظافة وهذا يعني خدمات في البنى التحتية أكثر فعالية وأفضل مواءمة.

وحذرت أوساط دولية من تأثير الفقر والفارق الكبير في الثروة بدول الشرق الأوسط، في توليد الحركات المتشددة وتشجيع الشباب على الانخراط فيها، مشيرين في هذا السياق إلى حالة اليمن التي نشط فيها تنظيم القاعدة وحركات تمرد مختلفة. والمميز أنه حتى داخل دول الخليج نفسها تبرز فوارق الثروة، ففي السعودية تظهر الفوارق بين العاصمة والمناطق الواقعة على الأطراف. يشار إلى أن أن الدول الإسلامية هي موطن خمس سكان الأرض، ولكنها لا تساهم سوى في ستة في المائة من حجم الإنتاج العالمي.

٥. تنمة الهامش (٢) ص ٦١

حيث اعتبرت المملكة العربية السعودية من أكبر المستوردين للأسلحة بين الدول العربية بشكل عام ودول مجلس التعاون الخليجي بشكل خاص؛ إذ تجاوزت قيمة مشترياتها من الأسلحة مبلغ ٤٠ مليار دولاراً.

ووفقاً لتقرير معهد ستوكهولم لأبحاث السلام الدولي احتلت الإمارات المركز الثالث في قائمة أكبر مستوردي السلاح في العالم منذ عامين إذ ابتاعت في عام ٢٠٠٨ ما نسبته ٦٪ من مبيعات الأسلحة في العالم، فيما يتوقع أن تنفق الدولتان ١٢٣ مليار دولار على تسليحهما في الأعوام الثلاثة القادمة بحسب تقرير لصحيفة الفيننشال تايمز البريطانية.

ولا يزال الشرق الأوسط بشكل عام ودول مجلس التعاون الخليجي بشكل خاص تشكل أفضل سوق جذب لمصدري الصناعات الدفاعية



في العالم برغم استمرار تأثير الأزمة المالية العالمية على خطط تحديث وبرنامج تسليح جيوش دول كبرى كالولايات المتحدة وبريطانيا؛ إذ شهد العام ٢٠١٠ اهتماما كبيرا ومتزايدا من دول عربية عدة؛ كالمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والكويت والمغرب وليبيا باقتناء أحدث ما توصلت إليه التكنولوجيا المتطورة، بالإضافة إلى تحديث برامجها التدريبية العسكرية.

٦. تنمة الهامش (٣) ص ٦٥

وهنالكَ العديد من الأمثلة على البيروقراطية المستخدمة يوميا: الحكومات، القوات المسلحة، الشركات، المستشفيات، المحاكم، والمدارس. يعود أصل كلمة البيروقراطية إلى (بيرو) (bureau)، أي مكتب، المستخدمة في بداية القرن الثامن عشر ليس للتعبير عن كلمة مكتب للكتابة فقط بل للتعبير عن الشركة، وأماكن العمل. وكلمة (قراطية) وهي مشتقه من الأصل الإغريقي (كراتس) (κράτος) ومعناها السلطة والكلمة في مجموعها تعني قوة المكتب أو سلطة المكتب.

٧. تنمة الهامش (٣) ص ١٠٦

وأظهر مسح لآراء ٤٦٩ من الخبراء والقادة الصناعيين أن ارتفاع معدلات البطالة بين الشباب وأزمة التقاعد بين أرباب المعاشات المعتمدين على دول مثقلة بالديون واتساع فجوة الثروات قد نثرت "بذور واقع مرير". ولم يعد الناس يعتقدون ولأول مرة منذ أجيال أن أولادهم سيكبرون ليتمتعوا بمستويات معيشية أفضل. وقال لي هاويل العضو المنتدب للمنتدى

الاقتصادي العالمي المسؤول عن التقرير: "يحتاج الأمر اهتماما سياسيا فوريا وإلا فلن البلاغة السياسية التي تستجيب لهذا الاضطراب الاجتماعي ستتضمن نزعة وطنية وحمائية وتقويض عملية العولمة". وفي عالم يتزايد فيه التداخل والتشابك يظهر تقرير المنتدى أيضا المخاطر التي تشكلها الهجمات الالكترونية على الأفراد والشركات والدول. وقال ستيفي ولسون مسؤؤل مخاطر التأمين لدى زورخ للخدمات المالية: "أظهر الربيع العربي قوة خدمات الاتصالات المترابطة في دعم حريات الأفراد وسهلت التكنولوجيا نفسها الاحتجاجات في لندن." وقال ولسون "إنه أمر محير تماما مدى التعقيد الذي أصبح عليه العالم ومن الصعب إدراك المخاطر التي تأتي من ذلك."

ويقول جوزيف ستيجليتز الاقتصادي والأستاذ بجامعة كولومبيا بنيويورك الحاصل على جائزة نوبل: "الطريقة التي طبقنا بها العولمة فاقمت من عدم المساواة لأنها كانت غير متناسقة للغاية." رأس المال يتحرك بحرية أكبر من الأيدي العاملة."

ولعل هذا يفسر الأرقام الواردة في تقرير التنمية البشرية للأمم المتحدة لعام ٢٠٠٥ الذي يظهر أن دخول أغنى ٥٠ شخصا في العالم مجتمعة يتجاوز دخول أفقر ٤١٦ مليون شخص في العالم، وأن هذا التوزيع غير المتساوي للدخل تفاقم في دول كثيرة في الأعوام العشرين الماضية.

وتقول دراسة صدرت في يونيو حزيران عن معهد السياسة الاقتصادية وهو معهد بحثي: أن متوسط دخل المدير التنفيذي الأمريكي العادي يزيد



٨٢١ مرة عن دخل أقل عامل أجراً، وهو ما يمثل أكبر فجوة على الإطلاق.

وقال بابلو ايزنبرج زميل معهد السياسة العامة بجامعة جورج تاون: "نظامنا السياسي والايديولوجية المحافظة للغاية التي تقول إن السبيل إلى دعم الاقتصاد هو خفض الضرائب المفروضة على شديدي الثراء زادت من عدم المساواة بشدة في مجتمعنا."

ويقول تقرير للبنك الدولي عن الفقر في العالم نشر عام ٢٠٠٠ - ٢٠٠١، والذي جاء ممتلئاً بالأرقام، على ما نشرتها شبكة الأنباء المعلوماتية، وهي تؤكد أن العالم يمشي في طريق متناقض ومتباعد، حيث يزداد الأغنياء غنىً، والفقراء فقراً! ويقول التقرير الذي يحمل عنوان (شن هجوم على الفقر) فإن من بين سكان العالم البالغ عددهم ٦ مليارات نسمة يعيش ٢,٨ مليار على أقل من دولارين يومياً ومن بين هؤلاء الفقراء يعيش ٢,١ مليار على أقل من دولار واحد يومياً، نصفهم تقريباً ٤٤٪ في جنوب آسيا. فمتوسط الدخل في أغنى ٢٠ بلداً في العالم يعادل ٣٧ مرة متوسط الدخل في أفقر ٢٠ بلداً في العالم وهذه الفجوة بين دخول أغنياء العالم الأول وفقراء العالم الثالث تزداد بل تتضاعف بشكل مفرغ، فمنطقة أوروبا الشرقية وآسيا الوسطى التي تجتاز مرحلة التحول إلى اقتصاد السوق، ارتفع عدد الأشخاص الذين يعيشون على أقل من دولار واحد يومياً لأكثر من عشرين ضعفاً، هؤلاء تبلغ نسبتهم حوالي ٢٤٪ من إجمالي عدد السكان هناك.

أما في منطقة شرق آسيا فإن نسبة هؤلاء تبلغ حوالي ٣,١٥٪ وهو يعادل ٢٨٠ مليون إنسان. وبشكل عام لو أردنا أن نوزع غنيمة الأمل والفقر

تلك على مناطق العالم المختلفة، مع ملاحظة أن الفقر الذي نقصده هنا هو الفقر المدقع الذي يقل فيه دخل الفرد عن دولار يومياً وقد ينعدم تماماً، كما يظهر تقرير البنك الدولي، سنجد أن جنوب آسيا هي أكثر المناطق استيعاباً لعدد الفقراء حيث يضم ٥٤,٤٣٪ من إجمالي فقراء العالم، تليه قارة إفريقيا وبالتحديد منطقة جنوب الصحراء التي تأوي ٣,٢٤٪ من الفقراء، ثم منطقة شرق آسيا والمحيط الهادي حوالي ٢,٢٣٪ فأمريكا اللاتينية ٥,٦٪، ثم أوروبا وآسيا الوسطى ٢٪ وأخيراً الشرق الأوسط ٥,٠٪.

هناك ثلاث فئات في تقسيم دول العالم، هي الدول ذات الدخل المنخفض وعددها ٤٥ دولة وهي التي يصل متوسط الدخل فيها سنوياً إلى ٦٩٥ دولاراً فأقل، والدول متوسطة الدخل وعددها ٦٣ دولة، ويتراوح متوسط الدخل فيها ما بين ٦٩٦ - ٨٦٥ دولاراً سنوياً، ودول مرتفعة الدخل وعددها ٢٤ دولة وهي التي يصل متوسط الدخل السنوي بها إلى ٨٦٢٦ دولاراً فأكثر، هذا مع مراعاة وجود حوالي ٧٧ دولة عدد سكانها أقل من المليون ولا تتوافر عنها بيانات كاملة وإن كانت البيانات التقديرية تحدد أن ٧٣ دولة منها ذات دخل منخفض والباقي ٤ دول ذات دخل مرتفع. فإذا اعتبرنا أن ٤٥ دولة من الدول الفقيرة أضفنا إليها من الدول متوسطة الدخل في الحد الأدنى وهي ٤١ دولة إلي جانب الدول التي يقل عدد سكانها عن المليون فسنجد أن ١٥٩ دولة يمكن تصنيفها على أنها دول فقيرة من أصل ٢٥٩ دولة هي عدد دول العالم وذلك بنسبة تبلغ ٧٦٪!

أما اتساع الفجوة بين الفقراء والأغنياء فهي على مستوى الناتج



المحلي الإجمالي العالمي سنجدّه كما تقول الدراسة موزعا كالتالي:

الدول الصناعية الغنية والتي تمثل ٢٠٪ من دول العالم يبلغ الناتج المحلي بها ١٨ تريليون دولار بنسبة ٧٨٪.

أما الدول النامية وهي ٨٠٪ من دول العالم فإن نصيبها من الناتج العالمي ٥ تريليونات دولار بنسبة ٢٢٪ فقط.

مفاجأة أخرى فإن عدد مليارات العالم وعددهم ٣٥٨ مليارديرا يمتلكون ما يزيد على مجموع الدخل السنوي لدول بها ٤٥٪ من سكان العالم!!

وتعتبر فجوة الثروة في الشرق الأوسط وأفريقيا الأكبر في العالم، ففي قطر، يبلغ معدل الدخل الفردي أكثر من ٨٧ ألف دولار، بينما يبلغ في البحرين ٣٥ ألف دولار، وذلك مقابل ٢٤٠٠ دولار باليمن و٢٣٠٠ بالسودان. وتقول منظمة المؤتمر الإسلامي إن ٤٣ في المائة من السكان في اليمن يعيشون على دولارين يوميا، ولذلك فإن الدولة تعتبر بين الأفقر في المنطقة، وقد كان مؤتمر لندن الذي عقد لدعم صنعاء مخصصاً لمواجهة تحول اليمن إلى دولة فاشلة. ويعيش في العالم أكثر من مليار ونصف مسلم يشكلون سوقاً واعدة، ولكن ٣٩ في المائة منهم دون خط الفقر.

ويشير حليم بركات في دراسة (المجتمع العربي المعاصر في القرن العشرين) الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠٠٠ إلى أن فجوة عميقة واسعة ومتزايدة تفصل بين الأغنياء والفقراء في البلدان العربية كافة سواء بالنسبة إلى توزيع ملكية الأراضي والعقارات أو في توزيع الثروة

أو في احتلال مواقع النفوذ أو المكانة الاجتماعية، وبذلك تكون البنية الطبقيّة في المجتمع العربي ككل، بنية هرمية تتشكل قاعدتها الواسعة من الطبقات الدنيا. وأول ما يلفت النظر في هذا السياق أن متوسط معدل نمو سكان الدول العربيّة بلغ في عام ٢٠٠٤ نحو ٢,٣٪. وهو أعلى معدل زيادة في العالم ما عدا أفريقيا جنوب الصحراء، وهو ضعف المعدل العالمي، وأربعة أضعاف معدل الدول المتقدمة اقتصادياً. وتشير الإحصاءات السكانية إلى أن عدد سكان الدول العربيّة يتضاعف كل ثلاثة عقود تقريباً مقارنة بنحو ١١٦ عاماً في الدول المتقدمة.

٨. تنمة الهامش (٢) ص ١٠٧

وبعد الطفرة التي شهدتها سوق القمار الإلكتروني مع ظهور أكثر من ألفي موقع يسمح بالقيام بالرهانات على الألعاب الرياضية عبر بطاقات الائتمان، ودون تحديد سقف للرهانات. وأكدت تقارير دولية أن عوائد ألعاب القمار والميسر بلغت ١٠١ مليار دولار عام ٢٠٠٦، ويتوقع أن تقفز بقوة إلى ١٤٤ ملياراً عام ٢٠١١، مع استمرار النمو المرتفع لهذه النشاطات، والاتجاه العام لنشر مزيد من صالات القمار والملاهي حول العالم. وتظهر ضخامة عوائد القمار عبر مقارنتها بحجم الاستثمارات التي تم ضخها في مجمل دول العالم النامي عام ٢٠٠٦، والتي بلغت ٥٥٠ مليار دولار. وقفزت عوائد القمار في الولايات المتحدة وحدها بمقدار ٦,٧ في المائة سنوياً، ومن المتوقع أن تبلغ عام ٢٠١١ قرابة ٧٩,٦ مليار دولار، علماً أنها بلغت عام ٢٠٠٦ أكثر من ٨٧,٥ مليار دولار. أما منطقة آسيا والباسيفيك، فستزداد فيها



عوائد الميسر بمعدل ١٥,٧ في المائة، حتى تصل إلى ٣٠ مليار دولار عام ٢٠١١ مقارنة بحوالي ١٤,٦ مليار دولار عام ٢٠٠٦، مما سيجعلها ثاني أكبر سوق عالمية لهذه الألعاب. أما أقل المناطق التي ستشهد زيادة في أرباح ألعاب القمار المرخصة، فهي أوروبا وأفريقيا والشرق الأوسط، حيث لن ترتفع العوائد المقدرة حالياً بزهاء ٢٥,٢ مليار دولار، إلا بمقدار ١,٩ في المائة بحلول العام ٢٠١١، أي ستصل إلى ٢٧,٨ مليار دولار. في حين ستبلغ العوائد في كندا بمفردها ٥,٩ مليار دولاراً، بينما لن تتجاوز ٤٩٥ مليون دولار في قارة أمريكا الجنوبية بأسرها. وشهدت الأعوام الماضية إقبال أعداد قياسية من السياح على زيارة نيويورك ولاس فيغاس. ففي عام ٢٠٠٦ استقبلت نيويورك ٤٤ مليون زائر، أما عاصمة نوادي القمار في صحراء نيفادا فقد زارها ٣٨,٩ مليون شخص.

٩. تمة الهامش (٣) ص ١٠٨

ورصد التقرير تجاهل الشركات بالالتزام بالقانون والقيام بمشروعات تتصف بالتهور وعدم الشعور بالمسؤولية وعدم التبصر بالعواقب مثل تنفيذ مبان غير آمنة هندسياً مما يترتب عليه تعرضها للانهايار مع عواقب وخيمة في الأرواح والأموال في تركيا، والأدوية غير الآمنة في نيجيريا، وظروف العمل الاستغلالية في الصين، ونقص المياه في إسبانيا. ورصد زيادة تكاليف المشروعات حيث ذكر نصف المديرين الذين شملتهم الدراسة أن الفساد أدى إلى زيادة تكاليف المشروعات بنسبة تصل إلى ١٠٪ على الأقل كما أن خمس المديرين من الذين شملتهم الدراسة ذكروا أنهم

فقدوا وظائفهم بسبب الرشاوي.

ويسلّط مؤشّر مدركات الفساد للعام ٢٠٠٨ الصادر عن منظمة الشفافية الدولية، الضوء على الصلة القاتلة بين الفقر وفشل المؤسسات والابتزاز. ففي أشد البلدان فقراً، يمكن لمستويات الفساد أن تعني الفرق بين الحياة والموت، عند ما تكون الأموال المخصصة للمستشفيات أو المياه النظيفة على المحك. كما أن استمرار ابتلاء الكثير من المجتمعات بالمستويات العالية من الفساد والفقر قد بلغ حد الكارثة الإنسانية المستمرة بشكل لا يمكن السكوت عليه.

يعرض انتشار الفساد في البلدان المنخفضة الدخل المكافحة الدولية للفقر للخطر ويهدد بعرقلة تحقيق أهداف الأمم المتحدة التنموية للألفية حيث يؤدي بقاء الفساد بدون رادع إلى إضافة مبلغ ٥٠ مليار دولار أمريكي (ما يعادل ٣٥ مليار يورو) إلى تكلفة تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية بشأن المياه والمرافق الصحية. أي ما يقارب من نصف الإنفاق السنوي على المعونات العالمية.

ويقول تقرير منظمة الشفافية الدولية: إن طلب رجال الشرطة وغيرهم من المسؤولين الحكوميين الحصول على رشوة هو مشكلة كبرى في أنحاء العالم النامي. وأضافت المنظمة وهي منظمة غير حكومية مقرها برلين أن مؤشر الفساد العالمي لعام ٢٠٠٦ أظهر أن الرشوة أكثر انتشاراً في أفريقيا حيث قال ٣٦٪ في المتوسط ممن شملهم الاستطلاع أنهم أو أن أحد أفراد عائلتهم دفعوا رشوة خلال الأشهر الاثني عشر الماضية. وفي أفريقيا



بلغ متوسط مبلغ الرشوة التي تدفع للشرطة والقضاء أكثر من ٥٠ يورو (٦٦,٤٣ دولار). أما المبلغ الذي يدفع للمرافق وهي ثاني أكثر المؤسسات تلقياً للرشى في أفريقيا فيقل عن ستة يورو. وكانت أسوأ الدول الأفريقية في هذا الصدد التي شملها الاستطلاع المغرب الذي قال ٦٠٪ من المشاركين أنهم دفعوا رشى، والكاميرون التي بلغت النسبة فيها ٥٧٪ على مدى العام الماضي.

وقالت منظمة الشفافية الدولية إن الشرطة هي أكثر الجهات تلقياً للرشى. وفي أمريكا اللاتينية دفع شخص بين ثلاثة ممن شملهم الاستطلاع رشوة في تعاملهم مع الشرطة. واحتل القضاء المركز الثالث بين أكثر المؤسسات فساداً في أمريكا اللاتينية. وكانت أكبر الرشى تدفع للخدمات الصحية وبلغت في المتوسط ٤٥٠ يورو. وجاءت الرشى التي تدفع للقضاء ومسؤولي الجمارك في المرتبة التالية وزادت على ٢٠٠ يورو.

وتعليقاً على هذه النتائج، قالت رئيسة منظمة الشفافية الدولية هوغيت لابليل: إن هذا الاستطلاع الدولي يظهر عمق الأثر السلبي والمأساوي لظاهرة الفساد على حياة الأفراد اليومية. وأضافت: إن "الفقراء الذين لا يستطيعون دفع رشاي في بعض البلدان، لا يتمكنون من الحصول على الخدمات الأساسية"، وبالتالي "ندعو حكومات كافة الدول إلى تحمل مسؤولياتها ومواجهة هذه الظاهرة بجدية أكبر". وقالت المنظمة: إن حوالي ٢٠٪ من الناس في أنحاء أفريقيا وأمريكا اللاتينية أجبروا في الفترة الأخيرة على دفع رشاي خلال تعاملهم مع المحاكم، وبلغت هذه النسبة واحداً

بالمائة في دول أوروبا. وأوضحت المنظمة أنه عندما يكون النظام القضائي في دولة ما مستقلاً فإن وتيرة النمو الاقتصادي تتسارع بشكل أكبر. وأظهر التقرير أن أسرة واحدة على الأقل من بين كل عشر أسر اضطرت لتقديم رشاً لتمكن من الوصول للعدل في أكثر من ٢٥ دولة، وفي ٢٠ دولة أخرى، قال ٣٠٪ من الأسر إنهم قدموا رشاً للحصول على نتيجة "عادلة" في المحاكم. وقالت رئيس المنظمة أوجيت لابيل إن "الفساد القضاء يعني أن صوت الأبرياء غير مسموع بينما المذنبون يتحركون دون خشية من العقاب". وأضاف التقرير إنه رغم عقود من الإصلاح لحماية استقلال القضاء فإن الضغوط التي تمارس على المحاكم لإصدار أحكام لصالح مصالح سياسية لا تزال هائلة. وأظهر التقرير أن الرشوة والنفوذ السياسي في المحاكم يحرمان المواطنين في العديد من الدول من حقهم الأساسي في محاكمة عادلة، وأن عائلة على الأقل من بين كل عشر عائلات تضطر لدفع رشوة للوصول إلى العدالة في أكثر من ٢٥ دولة. وقال التقرير: "القضاء المطاط يوفر حماية (قانونية) لمن هم في السلطة لتغطية استراتيجيات مربية أو غير قانونية مثل الاختلاس ومحاباة الأقارب والقرارات السياسية". وأشارت المنظمة أيضاً إلى مشكلة الإجراءات غير الفعالة في محاسبة القضاة الفاسدين وضمان بقاء الأفراد المستقلين في أماكنهم.

١٠. تنمة الهامش (١) ص ١٠٨

وفي علم الاقتصاد هي (monopole / monopoly)، بمعنى الحالة التي يكون السوق فيها عبارة عن شركة واحدة فقط تؤمن منتج أو خدمة



أو مجموعة خدمات إلى جميع المستهلكين. وهذه الشركة تكون مهيمنة على كامل السوق، ولهذا تسمى الشركة حينها بالمهيمنة. في هذه الحالة تستطيع الشركة أن تفرض الأسعار كيفما تشاء لأنه لا يوجد شركات أخرى لمنافستها في هذا السوق. وكل الشركات تسعى للوصول إلى هذه المرحلة لكي تتحكم بالمنتج ويسعره وبالتالي كي تزيد من أرباحها. يتشعب من الاحتكار حالات كثيرة، قد يوجد في السوق مثلاً شركات أخرى منافسة على نفس المنتج أو الخدمة ولكن عندما تكون هذه المنافسة هامشية مع الشركة المسيطرة على السوق، تُسمى الحال بالاحتكار الشبه كامل (quasi monopole) عندما يسيطر على السوق عدد قليل من الشركات تُسمى حينها هذه الحالة باحتكار القلة (oligopole / oligopoly).

١١. تنمة الهامش (٢) ص ١١٥

وقد أظهرت دراسة نشرت أن البنوك التي تجري عمليات مصرفية متوافقة مع أحكام الشريعة الإسلامية تسجل ازدهاراً رغم الأزمة المالية العالمية وذلك بفضل "أسلوبها المحافظ في المخاطرة". وجاء في الدراسة التي أجرتها مجلة "ذي بانكر ماغزين" أن الأصول التي تملكها البنوك التي تطبق أحكام الشريعة الإسلامية في كافة عملياتها أو الوحدات المصرفية الإسلامية التي تعمل ضمن بنوك تقليدية ارتفعت بنسبة ٢٨,٦٪ لتصل إلى ٨٢٢ مليار دولار في عام ٢٠٠٩، مقابل ٦٣٩ مليار دولار في عام ٢٠٠٨. ويتناقض ذلك بشكل كبير مع الركود في قطاع البنوك التقليدية،

حيث دلت دراسة على أن أكبر ألف بنك في العالم والتي أجرتها المجلة في تموز/ يوليو الماضي، نمواً سنوياً في الأصول لا يتجاوز ٦,٨٪. وقال محرر المجلة بريان كابلن: إن "الاسلوب المحافظ الذي تتبعه (المصارف الإسلامية في التعامل) مع المخاطر والصلات الوثيقة بين القطاع المالي والأصول الحقيقية ساعد على حماية هذا القطاع من أسوأ أزمة ائتمان".

ويرى خبير أن السبب يعود لواقع أن هذا الاقتصاد: "لا يقوم على سعر الفائدة التي تتسبب في كل الأزمات، فإنها إذا ارتفعت حصل تضخم، وإذا ارتفعت توسعت المصارف في الإقراض كما حدث بأمريكا عبر الرهون العقارية ما أدى إلى التعامل وبيع الديون ثم عجز المدينين عن السداد." ولفت المتخصص في الاقتصاد الإسلامي إلى أن أسسه تجعله بريئاً من كل ما سبب الأزمة لأن ليس فيه اتجار بالديون ولا يقر بسعر الفائدة ولا البيع القصير وبيع ما ليس لدى البائع أو البيع على الهامش." وشرح قائلاً: "تورط العالم في معاملات حجمها ٦٠٠ ترليون دولار وهي في الأصل قمار وميسر، وهي المسماة مشتقات، في حين أن حجم الاقتصاد الحقيقي لا يتجاوز ٦٠ ترليون دولار، بينما المبلغ الباقي ليس فيه تنمية واستثمار." وعن رؤيته لمستقبل الاقتصاد الإسلامي، توقع الخبير أن يكون الاقتصاد الإسلامي "النظام الإسلامي" بعد ما اتجه العالم ككل إلى هذا النظام "بما في ذلك بابا الفاتيكان (بنديكتوس السادس عشر) الذي نصح بالرجوع إليه، وكذلك التعديلات القانونية التي تدخلها دول أوروبية في قوانينها وقيام البنك الدولي بإصدار صكوك إسلامية."



ويرى "فيليب ستيفنس" في صحيفة فايننشال تايمز حول الأزمة الاقتصادية العالمية الحالية: إن اللوم يقع على المصرفيين الجشعين، وعلى قيادة ألن غرينسبان المتهورة للاحتياطي الفدرالي المركزي، وعلى ملاك البيوت العاجزين الذين اقترضوا مبالغ ليس باستطاعتهم أبدا تسديدها. واللموم يقع أيضا على السياسة والمشرعين في أي مكان لأنهم أغمضوا عيونهم على العاصفة الوشيكة.

١٢. تتمة الهامش (٣) ص ١١٦

وقالت المنظمة الدولية للهجرة في دراسة: إن التغيرات المناخية قد تتسبب في تشريد ما يصل إلى مليار شخص على مدى العقود الأربعة القادمة. وذكرت المنظمة الدولية للهجرة نطاقا واسعا من التصورات لأعداد من الأشخاص المتوقع تعرضهم للتشرد. وقال التقرير: "التقديرات رجحت أن ما بين ٢٥ مليونا إلى مليار شخص قد يتشردون بسبب التغيرات المناخية على مدى العقود الأربعة القادمة." لكنها أوضحت أن الحد الأدنى للتوقعات تم تجاوزه بالفعل. وتضاعف عدد الكوارث الطبيعية إلى أكثر من المثلين على مدى العشرين عاماً الماضية، وقالت المنظمة الدولية للهجرة: إن التصحر وتلوث المياه ومشاكل بيئية أخرى ستجعل المزيد من المناطق في العالم غير صالحة للسكنى مع تزايد الانبعاثات الغازية المسؤولة عن ارتفاع درجات الحرارة. وقال التقرير الذي شاركت فيه مؤسسة روكفيلر: "المزيد من التغيرات المناخية بالإضافة إلى زيادة متوقعة في درجات الحرارة عالميا من ٢ إلى ٥ درجات مئوية بحلول نهاية هذا القرن يمكن أن يكون

لهما تأثير كبير على حركة الناس."

وأطلق التقرير على بعض المناطق "بؤر ساخنة في المستقبل" من المتوقع أن تنزح منها أعداد كبيرة من الناس بسبب الضغوط البيئية والمناخية. ومن بين هذه المناطق أفغانستان وبنجلادش وأغلب أمريكا الوسطى وأجزاء من غرب أفريقيا وجنوب شرق آسيا.

ويعيش ٣,٣ مليار شخص في الوقت الحاضر في المدن والمراكز الحضرية حول العالم، وبحلول عام ٢٠٣٠ من المتوقع أن يصل هذا الرقم إلى خمسة مليارات شخص. وسيحدث ٩٥ بالمائة من هذا النمو في الدول النامية. ومع ازدياد عدد سكان المدن يزداد أيضاً عدد الأشخاص الذين لا توجد لديهم مصادر مياه محسنة، حيث سيتضاعف عدد هؤلاء من ١٠٨ ملايين شخص عام ١٩٩٠ إلى ٢١٥ مليون شخص عام ٢٠١٠. وفي بيئات المدينة الكثيفة - وحتى في بيئات الأحياء الفقيرة الأكثر ازدحاماً - يمكن للأمراض المعدية أن تتحول بسرعة إلى أوبئة، مما يجعل عواقب المياه غير الآمنة وضعف خدمات الصرف الصحي أسوأ بكثير من المناطق الريفية. وبالإضافة إلى التأثيرات الواضحة التي تظهر بسبب التوفر الضعيف للماء والصرف الصحي والخدمات الصحية (مرض التهاب ذات الرئة والملاريا والإسهال والسل وفيروس نقص المناعة المكتسب/ الإيدز)، تؤدي ندرة الخدمات إلى استمرار الفاقة والفقر، إذ ينفق الفقراء في المدن نسبة أعلى من دخلهم على معالجة الأمراض وهم أكثر عرضة لفقدان الأجور وفقدان الأمن الوظيفي عند ما يضطرون للغياب عن العمل. وكل هذا يؤدي إلى إضعاف قدرتهم على



التحمل والاستمرار، مما قد يبقي العائلة المتنقلة حبيسة دائرة مغلقة من الفقر المستمر.

وأشارت دراسة علمية إلى أنه قد تكون هناك علاقة بين ظاهرة "لانينا" المناخية والانتشار الوبائي لمرض الأنفلونزا، إذ اكتشف علماء فى الولايات المتحدة الأمريكية أن الانتشارات الوبائية الأربعة الأخيرة للأنفلونزا وقعت بعد أحداث ظاهرة لانينا المناخية التي تتسبب في جلب مياه باردة لسطح المحيط الهادئ في جهته الشرقية، ومن غير الواضح حتى الآن مدى الارتباط بحدوث ظاهرة لانينا، إلا أن الأبحاث الأخيرة أظهرت أن أنماط طيران بعض الطيور البرية وتوقفاتها أثناء رحلاتها وهجراتها اختلفت بين سنوات ظاهرتي النينو ولانينا المناخية، وقال البروفسور شامان "أفضل تقديرانا هي وضع الطيور التي لا تختلط (تحت ظروف ظاهرة لانينا) وذلك سيسمح بحدوث إعادة تشكيل الجينات"، إلا أن حقيقة أن فترات ظاهرة "لانينا" الأخرى لم يتبعها انتشار أوبئة يشير إلى أن هناك عوامل أخرى يجب أن تكون مشتركة في ذلك، ويمثل وباء أنفلونزا الخنازير فى ٢٠٠٩ -٢٠١٠ جزءاً من هذا النموذج، حيث يجب أن تكون هناك علاقة ما لتقاطع السلالات الفايروسية مع الطيور والخنازير كذلك، ومن المحتمل جداً أثناء هجرة الطيور البرية، أن تزور مزارع الدواجن والبط التي تعيش جنبا إلى جنب مع الخنازير خاصة فى البلدان النامية.

١٣ . تنمة الهامش (١) ص ١٢٢

والضريبة على القيمة تستهدف القيمة المضافة عن كل عملية

تجارية. وهي من الضرائب المركبة (الضرائب على الإنفاق العام للاستهلاك وهي تلك الرسوم المفروضة على رقم الأعمال) التي تفرض على جميع الأموال والخدمات المستهلكة محلية الصنع كانت أم مستوردة. وتنتهي هذه الضريبة إلى الضرائب غير المباشرة التي تتميز بخاصة ممنوحة السلطة العامة إذ تدفع من قبل أشخاص يعلمون جيداً بانهم لا يتحملونها بل يتحملها أشخاص لا يدلون بها. إلا أنها محط نزاع مع كثير من الحركات الشعبية والمنظمات الحقوقية لكونها عبئاً على صغار المنتجين والكسبة وطريقة لحصر أرباحهم وإنقاصها ومساعدة لكبريات الشركات ذات كميات الإنتاج الضخمة. (من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة)



كتب أخرى للمؤلف

١. أضواء على حياة الإمام علي (عليه السلام)، مطبوع.
٢. الإمام الحسين (عليه السلام) وفروع الدين، دراسة عن العلاقة الوثيقة بين سيد الشهداء عليه السلام وبين كل فرع فرع من فروع الدين، مخطوط.
٣. الأصول مباحث القطع، مجلدان، مخطوط.
٤. الاجتهاد في أصول الدين، مخطوط.
٥. الأوامر المولوية والإرشادية، مطبوع.
٦. بحوث في العقيدة والسلوك، أربعة مجلدات، مجموعة محاضرات على ضوء الآيات القرآنية الكريمة، ألقى في الحوزة الزينبية وفي النجف الأشرف، طبع المجلد الأول منها.
٧. التصريح باسم الإمام علي عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم، مطبوع.
٨. توبوا إلى الله، مخطوط.
٩. الحجة معانيها ومصاديقها، مطبوع.
١٠. حجية مراسيل الثقات، مخطوط.
١١. الحوار الفكري، مطبوع.
١٢. دروس في أصول الكافي، الجزء الأول كتاب العقل والجهل، مخطوط.
١٣. دراسة عن حجية الأحلام والمنامات، تقارير درس الخارج، ألقى في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، مخطوط.
١٤. رسالة في قاعدة الإلزام، تقارير درس الخارج ألقى في الحوزة العلمية



- في النجف الأشرف، مخطوط.
١٥. رسالة في أجزاء العلوم ومكوناتها، مطبوع.
١٦. شعاع من نور فاطمة الزهراء (عليها السلام)، دراسة عن القيمة الذاتية لمحبة الزهراء (عليها السلام)، مطبوع.
١٧. شرعية وقدسسية ومحورية النهضة الحسينية، مطبوع.
١٨. شرح دعاء الافتتاح، مخطوط.
١٩. شمورى الفقهاء دراسة فقهية أصولية، مطبوع.
٢٠. السيدة نرجس (عليها السلام) مدرسة الأجيال، مطبوع.
٢١. الضوابط الكلية لضمان الإصابة في الأحكام العقلية، مخطوط.
٢٢. فقه الرشوة وأحكامها، تقارير درس الخارج، ألقى في الحوزة في العلمية في النجف الأشرف - مخطوط.
٢٣. فقه حفظ كتب الضلال ومسببات الفساد، تقارير درس الخارج ألقى في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، مخطوط.
٢٤. فقه الخمس، تقارير درس الخارج ألقى في الحوزة العلمية الزينبية، مخطوط.
٢٥. فقه التعاون على البر والتقوى، مطبوع.
٢٦. فقه الاجتهاد والتقليد مباحث الاحتياط، تقارير درس الخارج ألقى في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، مخطوط.
٢٧. في السجن كانت مقالات، مطبوع.
٢٨. فقه الاجتهاد في أصول الدين، تقارير درس الخارج، ألقى في الحوزة

العلمية في النجف الأشرف، مخطوط.

٢٩. كونوا مع الصادقين، بحوث تفسيرية في الآية الشريفة ، مطبوع.
٣٠. لماذا لم يصرح باسم الإمام علي (عليه السلام) في القرآن الكريم؟، مطبوع.
٣١. المبادئ التصورية والتصديقية للفقهاء والأصول، مطبوع.
٣٢. من حياة الإمام الحسن عليه السلام، مخطوط.
٣٣. ملامح العلاقة بين الدولة والشعب، مطبوع.
٣٤. نقد الهرمينوطيقا ونسبية الحقيقة والمعرفة واللغة، مطبوع.
٣٥. نسبية النصوص والمعرفة.. الممكن والممتنع، مطبوع.



فهرس المصادر

❖ القرآن الكريم.

❖ نهج البلاغة.

١. الاحتجاج، لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي،
طبع في مطابع النعمان النجف الأشرف، ١٣٨٦.

٢. إحقاق الحق وإزهاق الباطل، للقاضي السيد نور الله الحسيني
المرعشي التستري الشهيد في بلاد الهند سنة ١٠١٩، من منشورات مكتبة
السيد المرعشي النجفي قم - إيران .

٣. إرشاد القلوب، للشيخ أبي محمد الحسن بن محمد الديلمي،
منشورات الرضي قم.

٤. أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري،
الناشر: مؤسسة الحلبي وشركائه للنشر والتوزيع.

٥. أعلام الدين في صفات المؤمنين، للشيخ الحسن بن أبي الحسن
الديلمي، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الناشر: مؤسسة
آل البيت عليه السلام لإحياء التراث . قم.

٦. الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، للسيد محمد الحسيني
الشيرازي.

٧. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، للشيخ محمد
باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان، الطبعة الثانية المصححة

١٤٠٣هـ — ١٩٨٣ م .



٨. تفسير البيضاوي، للبيضاوي، المطبعة : بيروت — دار الفكر، الناشر : دار الفكر.
٩. تفسير العياشي، لأبي النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي، ط المكتبة العلمية الإسلامية طهران.
١٠. التفسير الكبير للفخر الرازي، الطبعة الثالثة.
١١. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، المعروف بمجموعة ورّام، لأبي الحسين ورّام بن أبي فراس المالكي الأشتري، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٣٦٨.
١٢. توضيح نهج البلاغة: للسيد محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت لبنان، الطبعة المحققة الأولى: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
١٣. تهذيب الأحكام، للشيخ الطوسي، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: ١٣٦٤ ش، المطبعة : خورشيد، الناشر: دار الكتب الإسلامية — طهران.
١٤. جامع أحاديث الشيعة ، للسيد حسين البرجردي، المطبعة العلمية ، قم، ١٣٩٩ هـ شمسي.
١٥. حكومة الرسول ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام.
١٦. الخصال، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المتوفى ٣٨١ هـ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة.
- ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣ هـ .

١٧. الخلاف، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، التاريخ : جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ.

١٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي وبهامشه القرآن الكريم، مع تفسير ابن عباس دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان.

١٩. دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، عن أهل البيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، لأبي حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي، دار المعارف بمصر ١٣٨٣ - ١٩٦٣

٢٠. ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى، لأحمد بن عبد الله الطبري، عن نسخة دار الكتب المصرية، ونسخة الخزانة التيمورية، نشر مكتبة القدسي.

٢١. روائع نهج البلاغة، اختيار وتقديم جورج جرداق، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الطبعة : الثانية، ذو القعدة ١٤١٧ هـ.

٢٢. روضة الواعظين، لمحمد بن الفثال النيسابوري، منشورات الرضي، قم - إيران .

٢٣. السياسة من واقع الإسلام، للسيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله، الطبعة الثانية، ياس الزهراء، قم ، ١٤٣١ هـ.



٢٤. شرح إحقاق الحق، للسيد المرعشي، الناشر: منشورات مكتبة السيد المرعشي النجفي — قم — إيران.
٢٥. شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام)، تحقيق وشرح: حسن السيد علي القبانجي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٦، المطبعة: إسماعيليان — قم، الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر.
٢٦. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى: ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٩ م.
٢٧. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، لعبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني الحذاء الحنفي النيسابوري، مؤسسة الطبع والنشر، مجمع أحياء الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ — ١٩٩٠ م، طهران — إيران.
٢٨. الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام، للسيد محمد الحسيني الشيرازي.
٢٩. الضمان الاجتماعي في الإسلام، للسيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلته).
٣٠. عوالي اللثالي العزيزية في الأحاديث الدينية، للشيخ محمد بن علي بن إبراهيم الأحسائي المعروف بابن أبي جمهور، الطبعة الأولى: ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م، مطبعة سيد الشهداء، قم — إيران.
٣١. كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي،

الناشر : مؤسسة دار الهجرة، الطبعة : الثانية في إيران، تاريخ النشر :
١٤٠٩ هـ .

٣٢. عيون أخبار الرضا، للشيخ أبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن
الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنه ٣٨١ ، منشورات مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات، بيروت - لبنان . ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٣٣. غرر الحكم ودرر الكلم: للقاضي ناصح الدين أبي الفتح عبد
الواحد بن محمد الآمدي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة
الأولى: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

٣٤. فاطمة الزهراء (عليها السلام) أفضل أسوة للنساء، للسيد محمد الحسيني
الشيرازي.

٣٥. فضائل الخمسة من الصحاح الستة ، للسيد مرتضى الحسيني
الفيروزآبادي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان ،
الطبعة الثالثة.

٣٦. الفقه الإدارة، للسيد محمد الحسيني الشيرازي ط٢/١٩٩٢م، دار
العلوم بيروت.

٣٧. الفقه الاقتصاد: للسيد محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم
لطباعة والنشر والتوزيع: بيروت لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

٣٨. الفقه الدولية الإسلامية، للسيد محمد الحسيني الشيرازي.

٣٩. الفقه العولة، للسيد محمد الحسيني الشيرازي.

٤٠. الفقه القضاء، للسيد محمد الحسيني الشيرازي.



٤١. الفقه المرور، للسيد محمد الحسيني الشيرازي.
٤٢. في صحبة العمالقة لجاجر وأورتيز.
٤٣. قرب الإسناد، لأبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، الطبعة: الأولى — ١٤١٣ هـ، المطبعة: مهر — قم .
٤٤. القرن الحادي والعشرون وتجديد الحياة، للسيد محمد الحسيني الشيرازي.
٤٥. الكافي، لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المتوفى سنة ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ، الناشر: دار الكتب الإسلامية، تهران، الطبعة الثالثة (١٣٨٨) .
٤٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦ م.
٤٧. كنز الفوائد، لأبي الفتح الكراجكي، الطبعة: الثانية، المطبعة: غدير، الناشر: مكتبة المصطفوي — قم.
٤٨. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفرنجي المصري، نشر أدب الحوزة، قم — إيران.
٤٩. المجتمع العربي المعاصر في القرن العشرين، حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠٠ .
٥٠. مجلة (نيوزويك).

٥١. مجمع البحرين، للشيخ فخر الدين الطريحي، الإعداد على طريقة معاجم العصرية محمود عادل. الطبعة: الثانية، شهر يور ماه ١٣٦٢ ش. طهران . ناصر سرو. پاسار مجيدي.
٥٢. مجمع البيان في تفسير القرآن، لابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تقديم السيد محسن الأمين العاملي، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ .
٥٣. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، لميرزا حسين النوري الطبرسي المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة المحققة الأولى: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧، بيروت.
٥٤. مستدرك سفينة البحار، للشيخ علي النمازي الشاهرودي المتوفى ١٤٠٥ هـ . ق، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .
٥٥. معالم المجتمع المدني في منظومة الفكر الإسلامي، للمؤلف.
٥٦. مكارم الأخلاق، لأبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، الطبعة السادسة، ٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م.
٥٧. من لا يحضره الفقيه، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، الطبعة الثانية.
٥٨. مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد الواسطي الجلابي الشافعي الشهير بابن المغازلي، الناشر: انتشارات



سبب النبي ﷺ، الطبعة: الأولى ١٣٨٤هـ ش — ١٤٢٦هـ ق.

٥٩. موقع شبكة النبأ المعلوماتية.

٦٠. موقع معهد الإمام الشيرازي الدولية للدراسات — واشنطن

<http://www.siironline.org>.

٦١. موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

٦٢. موقع CNN العربي.

٦٣. موقع <http://woldbank.org>.

٦٤. مهج الدعوات ومنهج العبادات، للسيد ابن طاووس، الناشر :

كتابخانه سنائی.

٦٥. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، للشيخ محمد

بن الحسن الحر العاملي المتوفى سنة ١١٠٤هـ، تحقيق ونشر: مؤسسة آل

البيت ﷺ لإحياء التراث - قم المشرفة، الطبعة: الثانية - جمادى الآخرة

١٤١٤ هـ . ق .



المحتويات

٩	مقدمة الناشر.....
١٣	المقدمة المنهجية للكتاب.....
١٣	مقاربة لموضوع البحث.....
١٤	معضلة البحث.....
١٥	أهداف البحث.....
١٦	منهج البحث ومقارباته البحثية.....
١٧	موضوع الكتاب وعنوانه.....
١٧	نطاق البحث وهيكليته.....
٢١	المدخل.....
٢٢	ما هو الفقر؟.....
٢٦	الإمام علي <small>عليه السلام</small> ومساحات الفقر.....
٣٠	الفقر .. التحدي الأعظم.....



- ٣٢..... لماذا انتخبنا الإمام علياً عليه السلام.....
- ٣٢..... مُنظراً ومعلماً ومرشداً؟.....
- ٩٣..... **الباب الأول**.....
- ٣٩..... العوامل الاقتصادية والغيبية.....
- ٣٩..... لإنتاج الثروة والمحافظة عليها.....
- ٣٩..... وتنميتها والأسباب الرئيسية لتبيد.....
- ٣٩..... الثروة وإيجاد الفقر والحرمان.....
- ٤١..... **الفصل الأول**.....
- العوامل الاقتصادية لإنتاج الثروة والمحافظة عليها وتنميتها ومكافحة
الفقر..... ٤١.....
- الحلول الإستراتيجية..... ٤٣.....
- عوامل إيجاد الثروة أو المحافظة عليها
- أو تنميتها وسبل مكافحة الفقر..... ٤٦.....
- أولاً: منح الأرض والمعادن والثروات كلها للناس..... ٤٦.....
- توفير حق استثمار (المشتركات)..... ٤٨.....
- ثانياً: أن تعطى الأولوية للإعمار والتنمية والاستثمار في البنية
التحتية..... ٤٩.....
- ثالثاً: ترشيده الإنفاق..... ٥١.....
- رابعاً: الضمان الاجتماعي..... ٥٤.....
- خامساً: خلق التوازن بين الريف والحضر..... ٥٦.....
- سادساً: التكافل الاجتماعي..... ٥٨.....

- سابعاً: وضع معايير موضوعية للمسؤولين الاقتصاديين والزامهم بها ٦٠
- ثامناً: تكریس مبدأ المساءلة والمحاسبة ٦٣
- تاسعاً: تنشيط حركة الأموال ٦٤
- عاشراً: تقليص ساعات العمل..... ٦٧
- الحادي عشر: المرونة في الضرائب ٦٨
- الثاني عشر: توفير الحريات ٧٠
- الثالث عشر: على الدولة.. التخطيط والإشراف لا الإنتاج ٧٤
- على الحكام أيضاً العمل..... ٧٦
- سُفَّ الخوص ولا تغصب أموال الآخرين ٧٧
- الرابع عشر: محاربة كافة عوامل تبديد الثروة أو تحطيم الاقتصاد..... ٧٨
- الفصل الثاني ٧٩
- العوامل الغيبية والأخلاقية لإنتاج الثروة والحفاظ عليها وتنميتها
ولمكافحة الفقر..... ٧٩
- وصايا غيبية — أخلاقية ذات نتائج كبرى اقتصادية..... ٨٢
- أ: إتقوا الله..... ٨٢
- ب— (قدموا الاستخارة) ٨٢
- ج: اتخذوا السهولة منهجاً..... ٨٣
- د: اقتربوا من العملاء ٨٣
- هـ: (وتزينوا بالحلم) ٨٤
- و: (وتناهوا عن اليمين)..... ٨٤
- ز: كونوا صادقين ٨٥



- ح: «تجافوا عن الظلم» ٨٥
- ط: انصفوا المظلومين ٨٦
- ي: تجنبوا الربا ٨٧
- ك: عليكم بالنزاهة ٨٧
- ل: تاجروا الله بالصدقة ٨٨
- م: صلوا أرحامكم ٨٩
- ن: استعينوا بمفاتيح الغيب ٩١
- س: أتركوا أموراً ضاراً وعادات مُفكِّرة ٩٣
- ع: قوموا بأفعال نافعة وعبادات جامعة ٩٥
- الفصل الثالث** ٩٩
- محاصرة عوامل تبديد الثروة ٩٩
- وملاحقة بواعث الفقر ٩٩
- محاصرة عوامل تبديد الثروة وملاحقة بواعث الفقر ١٠١
- ١: ملكية الدولة ١٠١
- ٢: كثرة الموظفين ١٠٢
- ٣: سباق التسلح ١٠٣
- ٤: سرقات الحكومة ١٠٥
- ٥: سوء التوزيع ١٠٥
- ٦: المقامرة ١٠٧
- ٧: الفساد المالي ١٠٨

- ٨: الاحتكار ١٠٨
- ٩: الربا ١١١
- ٥١: تلويث البيئة ١١٥
- ١١: الإسراف والتبذير ١١٧
- استثناء الإسراف في أفعال الخير ١١٩
- ١٢: الغش والتطفيف ١٢٠
- ١٣: تزوير العملة ١٢١
- ١٤: فرض الضرائب على الاستهلاك ١٢٢
- ١٥: إغراق الأسواق ١٢٣
- الباب الثاني** ١٢٧
- الفقيه: تثقيفه، واجباته ومسؤولياته، وطرقه نحو الثراء ١٢٩
- تمهيد: ١٢٩
- (المحور الأول) ١٣١
- الرؤية العامة تجاه الفقر وكيف يجب أن تكون ثقافة الفقراء؟
- طلب الحلال عبادة ١٣١
- الكسب فريضة ١٣٢
- من أنواع الجهاد: الجهاد الاقتصادي ١٣٣
- هرم السعادة: التقوى، الصحة، والمال ١٣٤
- (العرض) معانيه ودوائره ١٣٧
- الفقر ضارٌ ١٤١
- أفقر الناس ١٤٢



- ١٤٢..... ثقافة (الأمير) لا (الأمير)
- ١٤٣..... الأعمدة الخمسة
- ١٤٤..... العامل في الدنيا هو الربح في الآخرة.....
- ١٤٤..... العامل أفضل من حواربي عيسى
- ١٤٥..... حتى الأنبياء عليهم أن يعملوا
- ١٤٦..... العمل باليد هو سنة الأنبياء
- ١٤٩..... النظرة المتوازنة للعمال والعمل
- ١٥٠..... الثروة والنعمة قد تتحول إلى نقمة
- ١٥١..... (المحور الثاني).....
- ١٥١..... واجبات الفقير ومسؤولياته
- ١٥١..... عليك بالاكْتفاء الذاتي
- ١٥١..... عَفَّ عن الحرام.....
- ١٥٢..... تكتم على ضرِّك
- ١٥٢..... اترك السؤال
- ١٥٢..... اترك الخضوع.....
- ١٥٣..... كن قانعاً.....
- ١٥٣..... ميِّز بين الإسراف والاقتصاد
- ١٥٤..... إعمل لصالح الأسرة.....
- ١٥٥..... إِسْعَ لكن بدون حرص وشراهة
- ١٥٦..... عليك بقلّة الرغبة والإجمال في الطلب

- ١٥٧.....تعامل مع ما أتاك وما لم يأتك، بحكمة.
- ١٥٨.....أطلب حظك لكن بإجمال.
- ١٥٨.....طيب مكسبك.
- ١٥٩.....تحلّ بالصبر الجميل.
- ١٦٠.....لا تسيء الظن بالله ولا تجحد الحقوق ولا تقتر.
- ١٦١.....اطرق أبواب الرزق الشرعية أو القانونية.
- ١٦٢.....والحديث يتموج بالحكم والمواعظ، ومنها:
- ١٦٣.....(المحور الثالث).
- ١٦٣.....سبل وآليات الإثراء المشروع والخروج من دائرة الفقر.
- ١٦٤.....لا تخاطر مخاطرة غير مدروسة.
- ١٦٥.....حافظ على ما في يدك.
- ١٦٥.....إلتزم بالرفق في المعيشة.
- ١٦٦.....إقتصد في الحياة.
- ١٦٨.....عليك بد(الاقتصاد) دائماً.
- ١٧١.....عليك بحسن التدبير.
- ١٧١.....اتّجه نحو التجارة وتجنّب الوظائف.
- ١٧٢.....ولهذا الحديث دلالات كثيرة ومنها:
- ١٧٣.....سافر أو هاجر.
- ١٧٤.....اتقن الأعمال واحتط.
- ١٧٥.....استثمر حتى النواة.



- يستفاد من هذا الحديث ١٧٥
- استثمر في الزراعة ١٧٦
- عليك بالاكتفاء الذاتي المنزلي ١٧٧
- ساعد أهلك ١٨١
- إعمل ثم إعمل ١٨٢
- استثمر المياه والأراضي ١٨٣
- اتبع سياسة (التفويض) و(توزيع الأدوار) ١٨٣
- تفقه في المكاسب ١٨٤
- عليك باختيار الأكفاء ١٨٥
- تمسك بالدعاء ثم بالإيحاء ١٨٦
- اذكر الله تعالى ١٨٦
- عليك بـ(السماح) فإنه الطريق للأرباح ١٨٧
- أعط أكثر وستربح أكثر ١٨٧
- اختر الموقع المتميز ١٨٨
- تجنب القسم بالله تعالى ١٨٩
- عليك بالمحافظة على الممتلكات ١٨٩
- تجنب التسويق الكاذب ١٩٠
- تجنب الغش ١٩١
- إعمل في بلدك ١٩١
- شارك ذوي الحظوظ والناجحين ١٩٢

- أحسن انتخاب من تستعين بهم ١٩٣
- لا تتعامل مع السفلة..... ١٩٤
- بكر في طلب الرزق ١٩٥
- عليك بالأمانة والانتقان ١٩٥
- اكتف بالضروري ١٩٦
- كن سهلاً ولا تتشدد ١٩٧
- إحذر الكسل ١٩٨
- إترك الأماني وأقبل على العمل ١٩٨
- عليك بالأحلام الإيجابية ١٩٩
- قاوم النوم ١٩٩
- ضع جدولاً لأعمال الليل والنهار ٢٠٠
- تجنب كثرة الأكل..... ٢٠١
- إطلب الرزق بين الطلوعين ٢٠٢
- الملحق** ٢٠٥
- عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر ٢٠٥
- كتابه عليه السلام إلى الأشتر النخعي ٢٠٧
- أخلاق الحاكم ٢٠٧
- مقياس الحاكم الصالح ٢٠٨
- الحاكم والرعية ٢٠٩
- الحاكم في مواجهة الله ٢١٠
- انتهاج العدل والإنصاف ٢١٢



٢١٣ الخواشي والمنتفعون
٢١٤ الوشاة والجواسيس
٢١٥ المستشارون
٢١٥ مواصفات الوزراء
٢١٧ الإحسان للناس
٢١٨ السنة الصالحة
٢٢٠ الجنود
٢٢١ القضاة والعمال والكتّاب
٢٢١ التجار وذوو الصناعات
٢٢١ الطبقة السفلى
٢٢٢ صفات المسؤولين:
٢٢٣ الرعاية الأبوية
٢٢٤ أفضل الرؤساء
٢٢٧ القضاة وصفات القاضي
٢٢٩ صفات الحكام والولاة
٢٣٠ مراقبة الحكام والولاة
٢٣١ عمارة الأرض وانتهاج العدل
٢٣٣ صفات الكتّاب وحسن اختيارهم
٢٣٥ التجار وذوو الصناعات
٢٣٧ المحرومون

٢٤٠	الأيتام وذوو الحاجات.....
٢٤٢	إدارة الوقت:
٢٤٤	احتجاب الحكام والولاء عن الرعية.....
٢٤٥	بطانة الحكام والولاء
٢٤٦	لزوم الحق وطلب عاقبته
٢٤٨	أصالة الصلح والسلام
٢٤٨	العهود والعقود والمواثيق
٢٥١	حقن الدماء
٢٥٢	مواصفات وأخلاقيات الحاكم والوالي
٢٥٩	ملحق الهوامش
٢٨٧	كتب أخرى للمؤلف
٢٩١	فهرس المصادر
٣٠١	المحتويات

Imam Ali's Strategy for Fighting Poverty

(الفقر) من أخطر التحديات التي تواجه البشرية، فهو يتفاعل مع مربع الآفات الاجتماعية والتخلف الإنساني، بأضلاعه الكالحة، (الجهل والمرض وانعدام الأمن)، ليفلق (الفقر) ضلعه الرابع، وليكون فيها سبباً ونتيجة. ولم يعد الفقر حالة متفردة في مجتمعاتنا، بل أصبح ظاهرة واسعة النطاق، وآفة اجتماعية تنخر في بنية المجتمع، رغم كل التطور العلمي والجهود البحثية، ورغم البرامج والخطط الاقتصادية، التي تسعى لمعالجته والحد من خطورته، وعليه فإن دراسة ظاهرة الفقر، ومناقشتها بشكل علمي ومنهجي، باتت من الحاجات الملحة.

يقدم الكتاب رؤية علمية وعملية، ضمن تصورات استراتيجية معمّقة، كون ظاهرة الفقر، في أسبابها ومعالجاتها، تتحرك ضمن عوامل سياسية وإقتصادية وثقافية، تتمثل بدور الدولة ومؤسساتها، وقطاعات الإقتصاد الوطني، كما تضطلع العوامل الاجتماعية، ومؤسسات المجتمع المدني، بأدوارها المحورية في معالجات هذه الآفة.

منهج الكتاب، تحليلي تركيبى، وإحصائي يستند الى معطيات بيانات موضوعية، فضلاً عن المنهج النقلي والاستدلال الشرعي، وقد جرى اختيار النهج الإستراتيجي للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، مرجعية للبحث، الذي تخلد في عهده التأريخي، لملك الأشرار عليه السلام، في رسم إستراتيجية واضحة المعالم، لمرتكزات مكافحة جذرية للفقر. حيث إن للإمام عليه السلام تجربة كبيرة وخبرة باهرة، في التعامل مع هذه المشكلة، كونه خبر حالتي الفقر والغنى، فقد رافق الرسول الأكرم عليه السلام، في فترة الفقر الشديد، ثم شهد فترة الثروات الطائلة، في عهد دولته المباركة، فرأى وتعلّم، كيفية التعامل مع الفقر والغنى، وآلية توظيفهما عبر منهج ورؤية متكاملة، من أجل خير الإنسان.